KÖPRÜLÜ KÜT.
993



الجزء الثالث من كتاب الحيوان

لأبي عمرو عثمان بن بحر الجاحظ

[illegible]

فهرست فصول كتاب

ذكر الحمام ١ — اللطائف الادبية والنوادر الادبية ٢ — الاشعار ١٤

باب في صدق الظن وجودة الفراسة ١٨ — ابيات المحدثين ١٩ — باب من المديح بالجمال وغيره ٢٧

باب آخر ٣٠ — باب آخر في الغضب والجنون ٣١ — باب من الفطن والفهم ٣٥ — خصال الحرم ٤٠

القول في الحمام ٤٢ — القول في الذبان ٩٧ — بعض الحجاج ١٢٥ — جملة القول في الغربان ١٣٤

ذكر نوادر اشعار ١٥٣ — باب ممن يهجا ويذكر في الشوم ١٥٨ — باب من مديح الفقهاء والصالحين ١٦١

القول في المحقرات من حشرات الارض ١٦٣ — القول في الهدهد ١٦٧ — القول في الخنافس ١٧١

تم الكتاب في ١٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن الله التوفيق نذكر الحمام وما أودعه الله جل ذكره
من ضروب المعرفة ومن أصناف الخصال المحمودة ولنعرف بذلك حكمة الصانع
وإتقان صنع المدبر وإن كنا قد أمللناك بالجد وبالاحتجاجات
الصحيحة والمروّجة لكثرة الخواطر وتشحذ العقول فإنا
سننشطك ببعض البطالات وبذكر العلل الظريفة والاحتجاجات
الغريبة فرب شعر يبلغ ببرده ورب احتجاج يبلغ بفرط غباوة
صاحبه من السرور والضحك والاستطراف ما لا يبلغه حشد
النوادر وأجمع المعاني وأنا أستظرف أمرين استظرافا شديدا المعاني
أحدهما استماع حديث الأعراب الفصحاء فإني لم أر قط استماع احاديث
من جهتهم والأمر الآخر استماع احتجاج متنازعين في
الكلام وهما لا يحسنان منه قليلا ولا كثيرا فإنهما يثيران
من غريب الطيب ما يضحك كل ثكلان وإن تشدد وكل غضبان الطرب
وإن أحرقه لهيب الغضب ولو أن ذلك لا يحل لكان في
باب اللهو والضحك والسرور والبطالة والتشاغل ما يجوز في

فمن سيذكر من هذا الشكل علاوة ويرد عليك من
احتجاجات الأغبياء احتجاجا فإنك ممن يستعمل
الملالة ويعجل إليه السآمة فكان من الباب أن ننشط
لقلبك وجماما لقوتك لتبتدئ النظر في باب القول في الحمام
وقد ذهب عنك الكلال وحدث النشاط وإن كنت صاحب
علم وجد وممن تأتوا فيهم وكنت ممن يفكره وسنه وقدرا
مستغن وحلق ببين وكأنك على الكلام بصرك مكانه
من الكتاب وبعطيته الما هو أولى أن علي أني قد عزمت
والله الموفق على أن أدرج هذا الكتاب وأفصل أبوابه
بنوادر من ضروب الشعر وضروب الأحاديث ليخرج قارئ
هذا الكتاب من باب إلى باب ومن شكل إلى شكل فإني قد
رأيت الأسماع تمل الأصوات المطربة والأغاني الحسنة
والأوتار الفصيحة إذا طال ذلك عليها وما ذلك إلا في طريق
الراحة التي إذا طالت أورثت الغفلة وإذا كانت الأوائل ربل
قد سارت في صغار الكتب هذه السيرة كان هذا التدبير



لما طال وكثر أصحر وما غابنا في ذلك كله الا ان يستفيد وخبراه
وقال ابو الوردا أي شيخ نفسي بعض الليالي طال ذكرا هذا أن أحمل
عليها من الحق ما لم احمل من الاحتجاجات الطبية والعلل الملهية
ما حدثني به ابن المديني قال يقول ابو عبد الله الكرخي لطيفة
البلبالي بيا الحربية فادعى انه فقيه وظن ان ذلك يجوز له لمكان
لحيته وسمته فالقى على باب داره حطبا وطلب اليه بعض الجيران
قال فاتاه رجل فقال يا ابا عبد الله رجل ادخل اصبعه في انفه
فخرج عليها دم اي شيء يصنع قال يحتجم قال فعدت طبيبا ام
فقدت فقيها وحدثني غون الطبيب قال كنت عند نادرة
ذي اليمينين طاهر بن الحسين فدخل عليه ابو عبد الله المروزي
فقال له طاهر يا ابا عبد الله منذ كم دخلت العراق قال دخلت
العراق منذ عشرين سنة وانا اصوم الدهر منذ ثلثين سنة
قال يا ابا عبد الله سألناك عن مسئلة فاجبتنا عن مسئلتين ۞
وحدثني ابو الجهجاه قال ادعى شيخ عندنا انه من كندة
من قبل ان يتطربا شي من نسب كندة فقلت له يوما وهو عندي

ل

ممن انت ثبتا فلا ينعال من كندة قلت من ايهم قال ليس هنا موضع هذا
الكلام عافاك الله قال ودخلت على حفص بن برة وكان شيخا بهيا يتجمل
قول الاباضية فسمعته يقول العجب ممن يأخذ النوم وهو لا
يزعم ان الاستطاعة مع الفعل قلت وما الدليل على ذلك فقال
سبحان الله يدل على ذلك الاشعار الصحيحة والامثال السائرة ۞
قلت مثل ماذا قال مثل قوله ۞ ما ان يقع الارض الا وفقا ۞
ومثل قوله ۞ يهوين شتى ويقعن وفقا ۞ ومثل قولهم في المثل
وقع كالعظم عبر ومثل قوله ۞ مكر مفر مقبل مدبر معا ۞
وكقوله ۞
اكف يدي من ان تمس اكفهم اذا نحن اهوينا وحاجتنا معا ۞
ثم اقبل علي فقال اما في هذا مقنع قلت بلى وفي دون هذا ۞
وذكر محمد بن سلام عن ابان بن عثمن قال قال رجل من اهل
الكوفة لهشام بن الحكم اترى الله عز وجل في عدله وفضله
وكرمه كلفنا ما لا نطيق ثم يعذبنا قال قد والله فعل ولكنا
لا نستطيع ان نتكلم قال وحدثني محمد بن الصباح

قال بينا ابو يوسف القاضي يسير بظهر الكوفة وذلك بعد أن
كتب كتاب الحيل اذ عرض له ممرور عندنا طيب الخلق
فقال له يا ابا يوسف قد احسنت في كتاب الحيل وقد بقيت لطيفة فقهية
عليك مسائل في الفطن قال ان اذنت لي سالتك عنها قال قد
أذنت لك فاسأل قال خبرني عن الحِر أكافر هو أم مومن
قال ابو يوسف دين الحر دين المرأة ودين صاحبة الحر
ان كانت كافرة فهو كافر وان كانت مومنة فهو مومن قال
ما صنعت شيئا قال فقل انت اذ لم ترض قولي قال الحر كافر
قال وكيف علمت قال لان المرأة اذا ركعت او سجدت استدبر
الحر القبلة واستقبلت هي القبلة فلو كان دينه دين المرأة
لصنع كما تصنع هذه واحدة يا ابا يوسف قال صدقت قال
فلك لي في اخرى قال نعم قال خبرني عنك اذا اتيت على صحرا
فهجمت على بول وخرا اتدري بول امرأة وخرا امرأة ذاك
ام خرا رجل وبول رجل قال لا والله ما ادري قال اجل والله ما
تدري قال افتعرف انت ذلك قال نعم اذا رأيت البول قد سال على الخرا

وبين يديه فهو بول امرأة وخرا امرأة واذا رأيت البول بعيدا من
الخرا فهو بول رجل وخرا رجل قال صدقت قال وكان
يحكي له ثلث مسائل نسيت منها مسألة فعاودته فاذا هو
لا يحفظها وحدثني ابو ايوب الاعور قال قال الحجاج
العبسي ما بال شعر است المرأة ينبت اسرع واكثف قال
لقربه من السماد وسقي من عل وحدثني محمد بن حيان
قال وقفت على نوفل عريف الكناسين قال واذا موسوس قد حكاية مستظرفة
وقف عليه وعنده كل كناس بالكرخ فقال له الموسوس
ما بال بنت وردان تدع قعر البير وفيه كل خرى وهو لها
مسلم وعليها موفر وتجي تطلب اللطاخة في است احدنا وهو
قاعد على المقعد فتلزم نفسها الكلفة الغليظة وتعرض للقتل
وانما هذا الذي في است احدنا قيراط من ذلك الدرهم وقد دفعنا
اليها الدرهم وافيا قال فضحك القوم فحرك نوفل راسه
ثم قال اتضحكون منه والله سأل الرجل فاجيبوه قال ثم انا قد
فكرت فيها منذ ستين سنة ولكنكم لا تنظرون في شي من امر

بنت وردان دويبة نحو الخنفسا حمراء اللون واكثر ما تكون في الحمامات المصباح المنير

صبا عنكم لا جرم انكم لا ترتفعون أبداً قال له الموسوس قل
يرحمك الله فانت زعيم القوم قال فقال نوفل قد علمنا ان الرطب
اطيب من التمر والحديث اطرا من العتيق والشي من معدنه
اطيب والفاكهة من اشجارها الذ قال فغضب شريكه مسبح
الكتاني فقال والله لقد وحشتنا وهونت علينا حتى ظننا انك
ستجيب بجواب لا يحسنه احد من اصحابنا قال فقال له
الموسوس وما الجواب فاني ما امنت البارحة من الفكر في هذه
المسألة قال مسبح لو ان لرجل الف جارية حسنا ثم
عفهن عنه لبرد شهوته عنهن وفترت ثم ان اي واحدة
دون اخسهن في الحسن اشتهاها من شهوتها فيتبع ردا
تستطرف تلك اللطاخة وقد ملت الاول وبعض الناس القطير
احب اليهم من الخمير وايضا ان الكبر يمنع الشهوة ويورث
الصدود قال فقال الموسوس واستحسن جواب مسبح
بعد ان كان يرى انه لا جواب الا جواب نوفل لا يعرف مقدار
العالم حتى يجلس اليا عنه وانتم اعلم اهل هذه المدينة قد سألت

بحث المفاكهة

هذا معقول الموسوس ٥

علماهم عنهما منذ عشرين سنة فما خلص منهما احد الى شيء ما خلصتم
اليه وقد والله انتم عيني وطاب بكم عيشي قد علمنا ان كل شيء
يستلب استلابا الذ واطيب ولذلك صار الدبيب الى الغلمان
ونيكهم على جهة القهر الذ واطيب وكل ما لا يصيبه الرجل
فهو اعز عليه من المال الذي يرثه او يوهب له قال وحدثني
ابان بن عثمان قال قال الحجاج والله لطاعتي اوجب من طاعة الله
لان الله يقول اتقوا الله ما استطعتم فجعل فيها مثنوية وقال
اسمعوا واطيعوا ولم يجعل فيها مثنوية ولو قلت لرجل ادخل
من هذا الباب فلم يدخل لحل لي دمه قال وحدثني عن محمد
بن سليمن بن عبد الله النوفلي قال قال رجل من اهل الطائف لرجل
من اهل المدينة نحن اشد حبا لرسول الله صلى الله عليه وآل
رسول الله منكم يا اهل المدينة قال فقال له المديني فما بلغ
من حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال وددنا انه قبض رسول
الله وانه لم يكن وصل اليه يوم احد ولا في غيره من الايام شيء
من المكروه الا كان الي دونه قال المديني وعندك غير هذا

نتيجة المقدمات من الحكمة العملية

قاله لعله اسهل ما اشد جوابه على الله

علماها

قال وما يكون ورا هذا قال وددت ان ابا طالب آمن فسر به رسول

الله صلى الله عليه وسلم وانا كافر وحدثني ابان بن

عثمن قال قال ابن ابي ليلى الاسايرن رجلا من وجوه اهل الشام

فر بجمال معه رمان فتناول منه رمانة فجعلها في كمه فعجبت

من ذلك ثم رجعت الى نفسي وكذبت بصري حتى مر بسائل فقير

فاخرجها فناولها اياه قال فعلمت اني رايتها فقلت رايت

منك عجبا قال وما هو قلت رايتك اخذت منه رمانة

من جمال فاعطيتها سائلا قال وانك ممن يقول بهذا اما علمت

اني اخذتها فكانت سيئة واعطيتها فكانت عشر حسنات

فقال ابن ليلى اما علمت انك اخذتها فكانت مثل سيئة واعطيتها

فلم تقبل منك وقال الربيع قلت لاعرابي اتهمز اسرائيل

قال اني اذن لرجل سوء قال قلت اتجر فلسطين قال

اني اذن لقوي قال وحدثنا حاتم بن سلمة قال كان

رجل في الجاهلية معه محجن يتناول به متاع الحاج فاذا

قيل له سرقت قال سرق محجني قال حماد لو كان هذا

لعله ابن ابي ليلى الفقيه المعروف

ابي

وثوب

اليوم

اليوم حيا لكان من اصحاب ابي حنيفة قال وحدثني محمد بن

القسم قال قال الاعمش لجليس له اما تشتهي بنا ريا زرق العيون

نقية البطون سود الظهور وارغفة باردة لينة وخلا حاذقا

قال بلى قال فانهض بنا قال الرجل فنهضت معه ودخل منزله

فقال اجر تلك السلة قال فاذا فيها رغيفان يابسان وسكرجة

كامخ شبث قال فجعل ياكل فقال كل فقلت اين السمك

فقال ما عندي سمك انما قلت تشتهي قال وسئل حفص

بن غياث عن فقه ابي حنيفة فقال كان اجهل الناس بما كان

واعلمهم بما لا يكون واما علة خشنام بن هند فان خشنام

بن هند كان من الغالية وكان ممن اذا اراد ان يسمي ابا بكر

وعمر قال الجبت والطاغوت ومنكر ونكير واف وتف وكسير

وعوير قال وكان [illegible] ادخل داره حمار كساح

وضربه مائة عصا على ان ابا بكر وعمر في جوفه ولهم ارقط

اشد اخضرارا منه وكان مع ذلك ينبذ باصاحب حمام

ويشبه في القد والخرط شيوخ الحربية وكان من بني

اعوذ بالله من هذا الكلام في هذا الامام كيف وهو احد اركان اهل الاسلام رضي الله عنه وعن العلماء اجمعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

غيرهن منهم وكان له ابن شبعة فكان يزني امه في كل حين بباطل
وعند كل احد منهم فقلت له يوما ونحن عند بني بعيق تحل باي وجه
شيء ان تقذف امه بالزنى قال لو كان علي في ذلك حرج لما
قذفتها قلت فلم توجب لمرأة للبرية من قذفها حرج قال اني
قد احتلت حيلة حتى حل لي من اجلها ما كان حرم قلت وما
تلك الحيلة قال انا رجل ارى هذا الغلام عاهرا فقد كنت طلقت
امه وكنت اذا افتريت عليه اثمت فقلت في نفسي ان ارغمها وخذ عنها
حتى انكحها مرة واحدة حل لي بعد ذلك افتراي عليه بان لا يكون
قولي حينئذ فرية فانا اليوم اصدق ولست اكذب في الصدق
ما اجوز ذاته والله وما اشك ان الله اذا علم اني لم ارد بها تلك
المرة الا التحرج من الاثم اذا قذفته فيجعل لي تلك الزنية له طاعة
قلت له فانت الآن على يقين اذ زنيا كهذا وقد فعلت هذا طاعة لله
عز وجل قال نعم وقال الشيخ الاباضي وقد ذهب عني اسمه وكنيته
وهو حيز ابي بكر بن عزيزة وجرى يوما شيء من ذكر التشيع والشيعة
فانكر ذلك واشتد غضبه عليهم فتوهمت ان ذلك انما اعتراه

للاباضية التي فيه فقلت وما علي عاجل الى ان اسأله فانه يقال
ان السائل لا يعدمه ان يسمع في الجواب حجة او حيلة او ملحة
فقلت وما انكرت من التشيع ومن ذكر الشيعة قال انكر
منه مكان الشين التي في اول الكلمة لاني لم اجد الشين
في اول الكلمة قط الا مسخوطة مثل شؤم وشر
وشيطان وشغب وشيخ وشمال وشجب
وشتيت وشيب وشماتة وشح وشك وشوك
وشارب وشارد وشطير وشطور وشعرة
وشاني وشتم وشتيم وشيطرج وشنعة
وشناعة وشامة وشجة وشنق وشطون وشاطن
وشلل وشبص وشاطر وشطانة وشوصة
وشتر وشجوب وشاحب قلت له ما سمعت متكلما
قط يقول هذا ولا يبلغه ولا تقوم لهذا القوم قائمة بعد هذا
قال وحدثني ابو كعب القاص بتفضيل كثير للوصية فاكثر
منه وشرب نبيذ تمر وجلس الى العصر في المساجد يقص على اهله

اذا انفتل الامام عن الصلاة فصار دف زحاما كثيرا ومسجدا
مستورا بالبواري من البرد والريح والمطر واذا المحراب غابر
في الحائط واذا الامام شيخ ضعيف فلما صلى استند بالمحراب
وجلس في زاوية منه كانه فرخ وقام ابو كعب فجعل ظهره
الى وجه الامام ورد وجهه الى وجوه الناس وطبق وجه المحراب
بجسمه وفروته وكسائه وعمامته ولم يكن من فتحته وبين
انف الامام كبير شيء وقص وتحرك بطنه واراد ان يتفرج
بفسوة وخاف ان تصير ضرطة فقال في قصصه قولوا جميعا
لا اله الا الله وارفعوا بها اصواتكم وفسا الفسوة في المحراب
فدارت فيه وجثمت على انف الشيخ ثم كرب ابا كعب بطنه
فاحتاج الى اخرى فقال قولوا جميعا لا اله الا الله وارفعوا
بها اصواتكم وارسل فسوة اخرى فلم تخطئ انف الشيخ واختنق
في المحراب فخمر الشيخ انفه فصار لا يدري ما يصنع ان هو تنفس
قتلته الرائحة وان لم يتنفس مات كربا فما زال يداري ذلك
وابو كعب يقص فلم يلبث ابو كعب ان احتاج الى اخرى

وكلما

وكلما طال لبثه تولد في بطنه من النفخ على حسب ذلك
فقال قولوا جميعا لا اله الا الله وارفعوا بها اصواتكم فقال
الشيخ من داخل المحراب واطلع راسه وقال لا تقولوا لا
تقولوا فقد قتلني انما تريد ان تفسو ثم جذب اليه ثوب ابي كعب
وقال لخبيثها هنا تفسو او تقص فالخبيث يقص واذ قد نزلت
بليتي فلا بد من الصبر لنا ولكم فضحك الناس واختلط المجلس
وابو كعب هو الذي كان يقص في مسجد عتاب في كل
يوم اربعاء فاحتبس عليهم في بعض الايام وطال انتظارهم فبينا
هم كذلك اذ جاء رسوله وقال يقول لكم ابو كعب انصرفوا
راشدين فاني اصبحت اليوم مخمورا واما علة عبد العزيز بن شكست
فان عبد العزيز كان له مال وكان اذا جاء وقت الزكوة وجاءه
القواد بغلام مواجر قال له يا غلام الكل ام الكحوات
الكحالات فيقول الغلام نعم فيقول خذ هذه العشرة الدراهم
او خذ هذا الدينار من زكوة مالي فادفعه اليهم وان شئت
بعد ذلك ان تتركني على جهة المكابرة فافعل وان شئت

وهو والله ثمن الغلام

ان تتصرف فانصرف فيقول ذلك الغلام لا تبيعه بعد أخذ الدراهم
وهو يعلم انه لم يبلغ من صلاح طباع المولدين أن يؤدوا الأمانات
فغير ملوم من عاملهم ولمن ليس له ذكاء الا عند امهات المواجرين
وأخوانهم وخالاتهم وحدثني محمد بن عباد بن كاسب
قال قال لي الفضل بن مرزوق شيخ من طباب الكوفيين وأعيانهم
ان ولد لك مائة ذكر فسمهم كلهم محمدا وكنهم محمد فانك
سترى فيهم البركة تدري لأي شيء كثر مالي قال قلت لا
والله ما أدري قال انما كثر مالي لأني سميت نفسي فيما بيني وبين
الله محمدا فاذا كان اسمي عند الله محمدا فما أبالي ما قال الناس
ويشبه هذا الحديث قول المرزوقي قال قلت لأحمد بن
رباح الجوهري اشتريت كساء طبريا ابيض بأربع مائة درهم
وهو عند الناس فيما ترى عيونهم قومسي يساوي مائة درهم
قال اذا علم الله انه طبري فما علي مما قال الناس قال وكان
عندنا جار يكنى أبا خزيمة فقلت له يوما وقد خطر على
بالي فقلت كيف اكتنيت هذا الرجل بأبي خزيمة فقلت له كان

ابوك

حفظ
في تسمية الابن محمدا

ابوك يسمى خزيمة قال لا قلت فجدك أو عمك أو خالك فقال لا قلت
فلك ابن يسمى خزيمة قال لا قلت فكان لك مولى يسمى خزيمة قال لا
قلت فكان فيكم قريبك رجل صالح أو فقيه يسمى خزيمة قال لا قلت
فلم اكتنيت بأبي خزيمة وانت علج وانت ألكن وانت فقير
وانت جار قال هكذا اشتهيت قلت فلأي شيء اشتهيت
هذه الكنية من بين جميع الكنى قال ما يدريني قلت فتبيعها
الساعة بدينار وتكتني بأي كنية شئت قال لا والله ولا
بالدنيا وما فيها وحدثني مسعدة بن طارق قال قلت للزبادي
ومررت به وهو جالس في يوم غمق وبحذاء على باب داره في
ترعة نهر الجوبار واذا ذلك النهر يبخر في انفه فقلت بعت
دارك وحظك من دار جدك زياد بن أبي سفيان وتركت مجلسك
في ساباط عيسى واشتريت لك في رحبة بني هاشم ومجلسك في
الأبواب التي تلي رحبة بني سليم وجلست على هذا النهر في هذا
اليوم ورضيت به جارا اما لي الكون بقرب هؤلاء البزازين
قال قلت له لو كنت بقرب المقابر فقلت تركت هذا الموضع

للاتعاظ والاعتبار كان ذلك وجها او لو كنت بقرب الحدادين
فقلت لا تذكر بهذه النيران والكيران نار جهنم كان ذلك قولا
ولو كنت اشتريت دارك بقرب الحدادين (العطارين) فاعللت بطيب
رايحة العطر كان ذلك وجها فاما قرب البزازين فعندنا ما لا نعرف
ملكهم دار علة او لك عليهم ديون حالة او هل لك فيهم وعندهم
علما انهم يودون الضريبة او لك في بعضهم شركة مضاربة قال لا
قلت فما تجاوزت من قرب البزازين فلم تكن عنده الا انك
تكون اماما بقرب البزازين وحدثني ثمامة بن اشرس
قال كان عندنا رجل ممرور يقوم كل يوم فياتي دالية
لقوم فلا يزال يمشي مع رجال الدالية على ذلك الجذع ذاهبا
وجائيا في شدة الحر والبرد حتى اذا امسى نزل الى النهر
فتوضا وصلى وقال اللهم اجعل لنا من هذا فرجا ومخرجا
ثم ينصرف الى بيته فكان كذلك حتى مات وحدثني
المكي قال كان رجل يقود اعمى بكراء وكان الاعمى ربما
عثر العثرة وينكب النكبة فيقول اللهم ابدلني به قايدا

جز١

الثاني

خيرا لي منه فيقول القايد اللهم ابدلني باعمى خير لي منه قال
وحدثني بريد مولى اسحق بن عيسى قال كنا في منزل اصحا
اذ خرج واحد من جماعتنا ليبول في البيت الاخر فلم يلبث
الا ساعة حتى سمعناه يصيح اوه اوه فنهضنا جميعا اليه
فزعين فقلنا ما لك ما لك واذا هو نايم على شقه الايسر
وهو قابض بيده على خصيتيه قلنا له لم صحت قال اذا عصرت
خصيتي اشتكيتها واذا اشتكيتها صحت قال فقلنا فلا تعصرها
بعد حتى لا تشتكي قال نعم ان شا الله قال بريد وكانت
لعيسى بن علي مولاة عجوز خراسانية تصرخ الليل كله
من ضربان ضرس لها فكانت قد ادركت الامير اسحق فقلنا
له انها مع هذا الامر تاكل التمر قال فبعثنا اليها بالغداة
فقال لها الا ما كلين التمر بالنهار وتصيحين بالليل قالت
انى اذا اشتهيت اكلت واذا اوجعني صحت وحدثني
ثمامة قال مررت في غب مطر والارض ندية والسما
متغيمة والريح شمال واذا شيخ اصفر كانه جرادة

قد جلس على قارعة الطريق وحجام زنجي يحجمه وقد وضع على كاهله
وأخدعيه كل محجمة كأنها قعب وقد مص دمه حتى كاد يستفرغه
قال فوقفت عليه فقلت له يا شيخ لم تحتجم قال لمكان هذا
الصفار الذي بي وحدثني ثمامة قال حدثني سعيد
بن سلم قال كنا بخراسان في مجلس بعض الدهاقين ونحن شباب
وفينا شيخ قال فأتانا رب المنزل بدهن طيب فدهن بعضنا
رأسه وبعضنا لحيته وبعضنا مسح به شاربه وبعضنا مسح يديه
وأمرّهما على وجهه وبعضنا أخذ بطرف إصبعه فأدخل بعضه
في أنفه ومسح به حاجبيه فعمد الشيخ إلى بقية الدهن فصبه
في أذنيه فقلنا له ويحك خالفت أصحابك كلهم هل رأيت أحدا أتوه
بدهن طيب فصبه في أذنه قال إنه مع هذا يضرني وحدثني
مسعدة بن طارق قال والله إنا لوقوف على صحن دار فلان للقسمة
ونحن في خصومة إذ أقبل سيد بني تميم وموسرهم والذي يصلي على
جنائزهم فلما رأيناه مقبلا إلينا أمسكنا عن الكلام فأقبل
علينا فقال حدثوني عن هذه الدار هل ضم منها بعض إلى بعض شيئا

قال مسعدة فأنا منذ ستين سنة أفكر في كلامه ما أدري ما
عنى به قال وقال لي مرة ما من شيء من ذنب ما قلت ولم ذاك قال
من حب ابتعلقون وحدثني الخليل بن يحيى السلولي
قال نازع التيمي بعض بني عمه في حائط له فبعث إلينا ليشهدنا
على شهادة فأتاه جماعة فيهم الحميري والزهري والزيادي
والبكراوي فلما صرنا إليه وقف بنا على الحائط وقال أشهدكم
جميعا أن نصف هذا الحائط لي قال وقدم ابن عم له إلى عمر بن
حبيب وادعى عليه ألف درهم فقال ابن عمه ما أعرف مما قال
قليلا ولا كثيرا ولا له علي شيء قال أصلحك الله فاكتب لي إنكاره
قال فقال عمر الإنكار ليس يفوتك منه هو في يدك متى أردته قال
وقلت لأبي عتاب الجرار الأنوي عبد العزيز الغزال وما يتكلم
به في قصصه قال وأي شيء قال قال ليتنا أن الله لم يكن خلقني
وأني الساعة أعور قال أبو عتاب قد قصر في القول وأساء في التمني
ولكني أقول ليت أن الله لم يكن خلقني وأني الساعة أعمى مقطوع
اليدين والرجلين ودخل أبو عتاب على عمر بن هداب وقد كف بصره

والناس يعجون لقتل ابن يزيد وكان كالجمل المجموم وله صوت جهير
فقال يا ابا اسيد لا يسوءنك ذهابهما فانك لو رايت ثوابهما في ميزانك
تمنيت ان الله قد قطع يديك ورجليك ودق ظهرك وادمى ظلفك وبينا
داود بن المعتمر الصبيري جالس معي اذ مرت امراة جميلة لها قوام
حسن وعينان عجيبتان وعليها ثياب بياض ونهض داود فلم
اشك انه انما قام ليتبعها فبعثت غلامي ليتعرف ذلك فلما رجع
قلت له قد علمت انك انما نهضت لتكلمها فليس يفعل الجحود
وانما غايتي ان اعرف كيف ابتدات القول واي شي قلت لها
وعلمت انه سيجي باية وكان مليا بالاعابيد فقال ابتدات
القول بان قلت لها لولا ما رايت من سيما الخير لم اتبعك قال
فضحكت حتى استندت الى الحائط ثم قالت انما يمنع مثلك اتباع
مثلي والطمع فيها ما يكون من سيما الخير فاما اذ قد صار سيما
الخير هو الذي يطمع في النسا فانا لله وانا اليه راجعون وتبع
داود بن المعتمر واحدة فلم يزل يطردها حتى اصابت وحلها
على المنزل الذي يمكنه فيه ما يريد فقد دخلت الفاحشة وعرض

لدرجل

له رجل فشغله ساعة وجا الى المنزل وقد قضى القوم حاجتهم واخذت
حاجتها وابت ان تنتظره فلما اتاهم لم يرها قال اين هي قلنا قد
والله فرغنا وذهبت قال فاي طريق اخذت قالوا لا والله لا
ندري قال فاني عدوت على اثرها حتى اقوم على مجامع الطريق فهم
ارووني الجهة قالوا لا والله ما نتجهها قال فقد فاتت الان قالوا
نعم قال فعسى ان يكون لهما خيرا ان شا الله فلم اسمع قط بان انسانا
مسلما شك في ان السلامة من الذنوب خير من غيرها وسال
بعض اصحابنا ابا الفتى المرور دعن الجز الذي لا يتجزا ما هو قال
الجز الذي لا يتجزا هو علي بن ابي طالب فقال له محمد ابو العينا
فليس في الارض جز لا يتجزا غيره قال بلى حمزة جز لا يتجزا
وجعفر جز لا يتجزا قال فما تقول في العباس قال وعباس
ايضا جز لا يتجزا قال فما تقول في ابي بكر وعمر فقال ابو بكر
يتجزا وعمر يتجزا قال فما تقول في عثمن قال يتجزا مرتين وطلحة
يتجزا مرتين والزبير يتجزا مرتين قال فما تقول في معوية قال
معوية لا يتجزا ولا لا يتجزا فقد فكرنا في تاويل الى الغرض

حين جعل الامام جزءاً لا يتجزأ الى اي شي ذهب فلم يقع عليه الا
ان يكون كذا ابو الهذيل اذا سمع المتكلمين يذكرون الجزء الذي لا يتجزأ
هاله ذلك وكبر في صدره وتوهم انه الباب الاكبر من علم الفلسفة
وان الشي اذا عظم خطره سموه الجزء الذي لا يتجزأ وقد تسخفنا
في هذه الاحاديث واستجزنا ذلك لما تقدم من العذر وسنذكر
قبل ذكرنا باب القول في الحمام جملاً من غرر نوادر اشعار
من تسخف وفقر وقصائد بل قصائد شوارد ابيات ليعطي قارئ
هذا الكتاب من كل نوع تذهب اليه النفوس نصيباً ان شا الله
ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعاني
نوع من الاسماء فالسخيف للسخيف والجزل للجزل والافصاح
في موضع الافصاح والكناية في موضع الكناية والانقباض صح
في موضع الانقباض والاسترسال في موضع الاسترسال واذا
كان موضع الحديث على انه مُلهٍ ومضحك وداخل في حد المزح
الطيب فاستعملت الاعراب فيه وانقلب عن جهته وان كان
في لفظه سخف فابدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وضع

على

على ان يسر النفوس يكربها ويأخذ باكظامها ولبعض الناس
اذا انتهى الى ذكر الحر والنيك والاير ارتدع وتخاجل
واظهر التقزز واستعمل باب الورع (التورع) واكثر من تجده كذلك
فانما هو رجل ليس معه من العفاف والكرم والنبل والوقار
الا بقدر هذا التشكل والتصنع ولم يكشف قط صاحب
رياء ونفاق الا عن لؤم مستحل نزاله متمكنه وقد كان لهم
بعبد الله بن عباس مقنع حين سمعه بعض الناس وهو ينشد
في المسجد الحرام

وهن يمشين بنا هميسا   ان تصدق الطير ننك لميسا

فقيل له في ذلك فقال انما الرفث ما كان عند النسا وقال
شبيب بن يزيد الشيباني ليلة بيته عتاب بن ورقا

من ينك العير ينك نياكا

وقال الضحاك لو كان ذلك
القول رفثا لكان قطع لسانه احب اليه من ان يقول هجرا
وقال علي بن ابي طالب عليه السلم حين دخل على بعض الامرا فقال له
من في هذه البيوت فلما ان قال عقائل من عقائل العرب فقال علي

من بطن أبيه ينطق به فيعلي على قول في قتيبة اللفظ والنشر
وقال أبو بكر الصديق حين قال بديل بن ورقاء للنبي صلى الله عليه وسلم
جئتنا بجمرانه وسودانه ولو قد مسّهم حر السلاح لقد
أسلموك فقال أبو بكر عضضت ببظر اللات أنحن نخذله
وقد روي حديثا مرفوعا وهو قوله من يعذرني من ابن أم سباع
مقطعة البظور ولو كان ذلك الموضع موضع كناية لكانت
الكناية هي المستعملة وبعد فلو لم تكن لهذه الألفاظ مواضع
يستعملها أهل هذه اللغة وكان الرأي أن لا يلفظ بها
لم تكن لها ولكونها تعني الا على وجه الخطأ ولكان في الحزم
والصون للغة أن ترفع هذه الأسماء منها وقد أصاب كل الصواب
من قال لكل مقام مقال ولقد دخل علينا فتى حدثنا انه كان
وقع الى أصحاب عبد الواحد ونحن عند موسى بن عمران فأراد
الحديث الى أن قال الفتى افطرت البارحة على رغيف وزيتونة
ونصف أو زيتونة وثلث أو زيتونة وثلثي زيتونة أو ما أشبه
ذلك بل أقول أكلت زيتونة وما علم الله من أخرى فما أكثر

من ذلك قال لنا اسمعيل بن غزوان يا فتى بلغنا أن من الورع ما يبغضه
الله واظن ورعك هذا من ذلك الورع وكان القيني سعيا قال
فقال لي المأمون كذا وكذا حين صار النجم على قمة رأسي أو
حين جاز بي شيئا أو قبيل أن يوازي هامتي هكذا هو عندي
في أغلب ظني واكره أن أجزم على شيء وهو كما قلت ان شاء الله
أو قريبا مما قلت فيتوقف في الوقت الذي ليس من الحديث في
شيء وذلك الحديث انه كان مع طلوع الشمس لم يزده ذلك خيرا
وانه كان مع غروبها لم ينقصه ذلك شيئا هذا ولعل الحديث
نفسه لم يكن قط ولم يكن هو في تلك الليلة البتة وهو مع ذلك
زعم لي انه دخل على أصحاب الكهف فعرف عددهم وكانت عليهم
سيابيهم وكان كلبهم ممعط الجلد وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وسنذكر
من نوادر الشعر جملة فان نشطت لحفظها فانها من أشعار
المذاكرة قال الثقفي
من كان ذا عضد يدرك ظلامته ان الذليل الذي ليست له عضد

تنبو يداه إذا ما قل ناصره ويأنف الضيم إن أثرى له عدد

وقال أبو قيس بن الأسلت

بز امرئ مستبسل حاذر للدهر جلد غير مجزاع

الكيس والقوة خير من الإشفاق والفهة والهاع

وقال عبدة بن الطبيب

رب حبا بأموال المخولة وكل شيء حباه الله تخويل

والمرء ساع لأمر ليس يدركه والعيش شح وإشفاق وتأميل

وكان عمر يردد هذا النصف الأخير ويتعجب من جودة ما قسم

وقال المتلمس

وأعلم علم حق غير ظن وتقوى الله من خير العتاد

لحفظ المال خير من بغاه وضرب في البلاد بغير زاد

وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد

وقال آخر

وحفظك مالا قد عنيت بجمعه أشد من الجمع الذي أنت طالبه

وقال حميد بن ثور الهلالي

أتشغل

أتشغل عنا يا ابن عم فلن ترى أخا البخل إلا سوف يعتل بالشغل

وقال ابن أحمر الباهلي

هذا الثناء وأجدر أن أصاحبه وقد يدوم ريق الطامع الأمل

وقال ابن مقبل

هل الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح

وكلتاهما قد خط لي في صحيفة فلا الموت أهوى لي ولا العيش أر وح

وقال عمرو بن عبد هند

وإن الذي ينهاكم عن طلابها يناغي نساء الحي في طرة البرد

يعلل والأيام تنقص عمره كما تنقص النيران من طرف الزند

وقال أمية إن كان قاله

ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال

وقال الآخر

رمتني وستر الله بيني وبينها عشية آرام الكناس رميم

ألا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم

وقال آخر

لم أعطها سيدي إذ بت أرشفها الا تطاول غصن الجيد بالجيد
كما تطاعم في خضراء ناعمة مطوقان أصاخا بعد تغريد
وإن سمعت بهلك للبخيل فقل بعدا وسحقا له من هالك مودي
وقال أبو الأسود الدؤلي
المرء يسعى ثم يذكر مجده حتى يزين بالذي لم يفعل نحله
وترى الشقي إذا تكامل عيبه يرمى ويقذف بالذي لم يعمل
وقال دريد
رئيس حروب لا يزال ربيئة مشيحا على محقوقف الصلب ملبد
صبور على رزء المصائب حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد
وهون وجدي أنني لم أقل له كذبت ولم أبخل بما ملكت يدي
وقال سعيد بن عبد الرحمن
وإن امرءا يمسي ويصبح سالما من الناس إلا ما جنى لسعيد
وقال أكثم بن صيفي
نربي ويهلك آباؤنا وبينا نربي بنينا فنينا
وقال بعض المحدثين

فالآن سمحت للخطوب فلا يلقى فؤادي من حادث يجب
قلبني الدهر بين قوابله وكل شيء لنوعه سبب
وقال آخر
لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى ذهاب
ألا يا موت لم أر منك بدا أبيت فما تحيف ولا تحابي
كأنك قد هجمت على مشيبي كما هجم المشيب على شبابي
وقال آخر
يا نفس خوضي بحور العلم أو غوصي فالناس من بين معموم ومخصوص
لا شيء في هذه الدنيا يحاط به إلا إحاطة منقوص بمنقوص
وأنشدنا اللاحقي
يا قرب منطلق الليالي كأنه سيد تنصل في حجور سعالي
وقال الآخر
أراقب لوحا من سهيل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل يطرف
وقال خلف الأحمر لم أر أجمع من بيت لامرئ القيس وهو قوله
أفاد وجاد وساد وزاد وقاد وذاد وعاد وأفضل

ولا اجمع من قوله

له ايطلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل

ولم ار في التشبيه كقوله حين شبه شيئين بشيئين في حالين مختلفين

في بيت واحد وهو قوله

كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

قطعة من اشعار النساء قالت اعرابية

رات نضو اسفار امية شاحبا على نضو اسفار فجن جنونها

فقالت من اي الناس ومن تكن فانك مولى فرقة لا تزينها

وقالت امراة من خثعم

فان تسلوني من احب فانني احب وبيت الله كعب بن طارق

احب الفتى الجعد السلولي ذا صلا على الناس معتاد الضرب للمفارق

وقالت اخرى

فما احسن الدنيا وفي الدار خالد وانجحها لما تجهز غاديا

وقالت امراة فروة الغطفانية

ملاما مرني اي ما تقوله تحدر من غر طوال الذوائب

بمنعرج او بطن واد تحدرت عليه رياح الصيف من كل جانب

نفى نسم الريح القذا عن متونه فما ان ترى عيبا يكون لعائب

باطيب ممن يقصر الطرف دونه تقى الله واستحيا بعض العواقب

وقال بعض العشاق

وانت التي كلفتني دلج السرى وجون القطا بالجلهتين جثوم

وانت التي اورثت قلبي حرارة وقرحت قرح القلب وهو كليم

وانت التي اسخطت قومي فكلهم بعيد الرضا داني الصدود كظيم

فقالت له المعشوقة

وانت الذي اخلفتني ما وعدتني واشمت بي من كان فيك يلوم

وابرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضا ارمى وانت سليم

فلو ان قولا يكلم الجلد قد بدا بجلدي من قول الوشاة كلوم

وقال اخر

شهدت وبيت الله انك غادة رداح وان الوجه منك عتيق

وانك لا تجزينني بمودة ولا انا للهجران منك اطيق

فاجابته

شهدت ويبت الله انك بارد الثنايا وان الكشح منك لطيف
وانك مشبوح الذراعين خلجم وانك اذ تخلو بهن عفيف

وقال الاخر

الله يعلم يا مغيرة انني قد دستها دوس الحصان الهيكل
فأخذتها اخذ المقصب شاته عجلان يشويها لقوم نزل

وقال كعب بن سعد الغنوي

وحدثتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب
وماء سماء كان غير مجمة ببرية تجري عليه جنوب
ومنزلة في دار امن وغبطة وما اقتال من حكم علي طبيب

وقطعة من البديع قوله

اذا حداها صاحبي ورجعا   وصاح في اثارها فأسمعا
يتبعن منهن جلالا اتلعا   ارمك في ماء المهاري منقعا

وقال الراجز في البديع المحمود

مذ كنت اذ حبل صباكم مدمش   واذ اهاضيب الشباب تبغش

ومن البديع المستحسن قول حجر بن خالد بن مرثد

سمعت بفعل الفاعلين فلم اجد كفعل ابي قابوس فعلا ونائلا
يساق الغمام الغر من كل بلدة اليك فاضحى حول بيتك نازلا
فأصبح منه كل واد حللته وان كان قد تحوي المرابيع سائلا
فان انت تهلك يهلك الباس والندى وتضحي قلوص الحي جربا حبائلا
فلا ملك ما يلحقنك سعيه ولا سوقة ما يمدحنك باطلا

باب في صدق الظن وجودة الفراسة

قال اوس بن حجر

الالمعي الذي يظن لك الظن كان قد راي وقد سمعا

وقال عمر بن الخطاب انك لا تنتفع بعقل الرجل حتى تعرف صدق ظنه

وقال اوس بن حجر

مليح نجيح اخو مازن فصيح يحدث بالغائب

وقال ابو العصة قاتل احمر بن شميط

فالا يأتكم خبر يقين فان الظن ينقص او يزيد

وقيل لابي الهذيل انك اذا ارادوغت واعتللت وانت تكلم النظام وثبت فاحسن حالاتك ان يشك الناس فيك

وفيه قال الحسن شكا حين تغيّر واحد وقال كثير في عبد الملك

رأيت أبا الوليد غداة جمع به شيب وما فقد الشبابا

ولكن تحت ذاك الشيب حزم إذا ما ظن أمرض أو أصابا

وليس في جودة الظن بيت أحسن من بيت لمعاين قيس

وأبغي صواب الظن أعلم أنه إذا طاش ظن المرء طاشت مقادره

وقال الله عز وجل لقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه

قال ابن أبي ربيعة في الظن

ودعاني إلى الرشاد فؤاد كان للغي مرة قد دعاني

ذاك دهر لو كنت فيه قريني غير شك عرفت لي عصياني

تتقلب في القرائن ولا تعلم إلا الظنون أين مكاني

وقال ابن أبي ربيعة في غير هذا الباب

وخلٍّ كنت عين النصح منه إذا نظرت ومستمعًا سميعًا

أطاف بغيّه فنهيت عنها وقلت له أرى أمرًا شنيعًا

أردت رشاده جهدي فلما أبى وعصى أتيناها جميعًا

وقال معقر بن حمار البارقي

بلغ

الشعر لب المرء يعرضه والقول مثل نوافذ النبل

منها المقصر عن رميته ونوافذ يذهبن بالخصل (نوافر)

أبيات في المجد من حسان

قال العتابي (اسمه كلثوم بن عمرو)

وكم نعمة آتاكها الله جزلة مبرأة من كل خلق يزينها

فسلطت أخلاقًا عليها ذميمة تعاورنها حتى تفرّى أديمها

ولو عاد إسفافًا ونطفًا من الخنا لعور الحجى في الرجال لئيمها

وكنت امرءًا لو شئت أن تبلغ المدى بلغت بأدنى نعمة تستديمها

ولكن فطام النفس أثقل محملًا من الصخرة الصماء حين ترومها

وقال العتابي أيضًا

وكنت امرءًا هيأته لتستقر لي رماحي بأدنى مهجة أستلينها

أوانى أخير للمؤمنين بهمة توقل في نيل المعالي فنونها

رعى أمة الإسلام فهو إمامها وأدى إليها الحق فهو أمينها

وتستنبح العظمى حتى كأنما تغلغل في حيث استقر جنينها

وما كل موصوف له الحق يشتري وما كل من أم الصوى يستبينها



مقيم بمستن العلا حيث يلتقي طوارف ابكار الخطوب وعونها

وقال الحسن بن هاني ابو نواس

قولا لهرون امام الهدى عند احتفال المجلس الحاشد

نصيحة الفضل واشفاقه اخلى له وجهك من حاسد

بصادق الطاعة ديانها وواحد الغائب والشاهد

انت على ما بك من قدرة فلست مثل الفضل بالواجد

اوجده الله فما مثله لطالب ذاك ولا ناشد

وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

من غرر اشعار المحدثين وقال ذو الرماع العاملي

وقصيدة قد بت اجمع بينها حتى اقوم ميلها وسنادها

نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها

وعلمت حتى لست اسل واحدا عن حرف واحدة لكي ازدادها

واجتمع ناس من الشعرا بباب عدي بن الرقاع يريدون مناشدته

ومناقلته فخرجت بنية له صغيرة فقالت

تجمعتم من كل اوب ومنزل على واحد لا زلتم قرن واحد

وقال

الثالث

وقال عبد الرحمن بن حسان وهو صبي

الله يعلم اني كنت معتزلا في دار حسان اصطاد اليعاسيبا

وقال لابيه وهو صبي ورجع اليه وهو يبكي ويقول لسعني طاير

قال صفه يا بني قال كانه ثوب حبرة فقال حسان قال ابني

الشعر ورب الكعبة وكان الذي لسعه زنبورا وقال سهل بن هرون

وهو يختلف الى الكتاب لجار لهم

بنيت بفعلك مبطونا فرعت له فهل تماثل او تاتيه عوادا

وقال طرفة وهو صبي صغير

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري

وقال بعض الشعراء

اذا ما مات ميت من تميم فسرك ان يعيش فجي بزاد

بخبز او بسمن او بتمر او الشي الملفف في البجاد

تراه يطوف في الآفاق حرصا ليأكل راس لقمن بن عاد

الاصمعي الشي الملفف في البجاد الوطب وقال اعرابي

الا بكرت تلحي قبيلة بعدما بدا في سواد الراس اسود واضح

ابيض

لتدرك بالإمساك والمنع ثروة من المال أمستها السنون الجوائح

فقلت لها لا تبعد لبيني فإنما يذكرني الداء البكي على النوائح

وقال بشار وأبيات بشار من المذاكرة في باب المنى وفي باب الحزم وفي باب المشورة وناس يجعلونها للجحجاح الأزدي وناس يجعلونها للعتبي

وهي قوله

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن بحزم نصيح أو نصاحة حازم

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة مكان الخوافي رافد للقوادم

وخل الهوينا للضعيف ولا تكن نؤوما فإن الحزم ليس بنائم

وأدن من القربى المقرب نفسه ولا تشهد الشورى امرأ غير كاتم

وما خير كف أمسك الغل أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم

فإنك لا تستطرد الهم بالمنى ولا تبلغ العليا بغير المكارم

وقال بعض الأنصار

وبعض خلائق الأقوام داء كداء البطن ليس له دواء

وبعض القول ليس له عناج كمخض الماء ليس له إناء

وقال آخر

وبعض الداء ملتمس شفاه وداء الحمق ليس له شفاء

وقال تأبط شرا أو كان قاله

شامس في القر حتى إذا ما ذكت الشعرى فبرد وظل

وله طعمان أري وشري وكلا الطعمين قد ذاق كل

مسبل في الحي أحوى رفل وإذا يغزو فسمع أزل

وذر النار مني ابن أخت مصع عقدته ما تحل

مطرق يرشح موتا كما أطرق أفعى ينفث السم صل

خبر ما نابنا مصمئل جل حتى دق فيه الأجل

كل ماض قد تردى بماض كسنا البرق إذا ما يسل

فاسقنيها يا سواد بن عمرو إن جسمي بعد خالي لخل

وقال سلامة بن جندل

سأجزيك بالود الذي كان بيننا أصعصع إني سوف أجزيك صعصعا

سأهدي وإن كانت قليلا مدحة إليك وإن حلت بيوتك لعلعا

وإن يك محمودا أبوك فإننا وجدناك محمودا الخلائق أروعا

فإن شئت أهدينا ثناء ومدحة وإن شئت أهدينا لكم مائة دعا

فقال صعصعة بن محمود بن بشر بن عمرو بن مرثد الشأو المدحة أجب
البنا وكان أخي بن جندل أسيرا في يده فخلى سبيله من غير فداء
وقال أوس بن حجر في مثل هذا الشكل من الشعر وهو يقع في باب الشكر

لعمرك ما ملت ثواء ثويها حليمة إذ ألقى مراسي مقعد
ولكن تلقت باليدين ضمانتي وحل بفلج فالقنافذ عودي
وقد غبرت شهري ربيع كليهما بحمل البلايا والحباء الممدد
ولم تلههما تلك التكاليف إنها كما شئت من أكرومة وتخرد
سأجزيك أو يجزيك عني مثوب وحسبك أن يثنى عليك وتحمدي

وقال أبو يعقوب الأعور

فلم أجزه إلا المودة جاهدا وحسبك مني أن أود وأجهدا

وأبيات تقصد إلى الإيجاز وحذف الفضول قال بعضهم
ووصف كلابا في حال شدة عدوها وسرعة رفع قوائمها
ووضعها فقال   كأنها توقع ما لم يوضع
ووصف الآخر ناقة بالنشاط والقوة فقال
حرفا إلا أنها صناع

وقال الآخر

وقال الآخر   الليل أخفى والنهار أوضح
ووصف الآخر فرسا فقال   في كفه معطية منوع
وقال الآخر   ومهمه فيه السراب يسبح   يدأب فيه القوم حتى يطلحوا
كأنما دليله مطوح   كأنما أمسوا بحيث أصبحوا

ومن شكل هذا البيت الأخير قوله

فكأنما بان صبيل كتيبة   وكأنما من عاقل أرمام

ومثله

تجاوزت حمران في ليلة   وقلت قساس من الحومل

ومن الباب الأول قوله

عادني الهم فاعتلج   كل هم إلى فرج

وهذا الشعر لجعفر الموسوس وقال الراجز

لما قضى من صحبة زيد أربي   فتى إذا أنبهته لم يغضب
أبيض بسام وإن لم يعجب   ولا يضن بالمتاع المحقب
موكل النفس بحفظ الغيب   أقصى رفيقيه له كالأقرب

وقال دكين

وقد تعللت ذميل العنس   بالسوط في ديمومة كالترس
اذ عرج الليل بروج الشمس   وقال دكين
بوطن ينبطفيه المجتبي   بالمشرفيات نطاف الانفس
وقال الراجز   طال عليهن تكاليف السرى
والنص في حين الهجير والضحى   حتى عجاهن مما جنب العجا
رواعف يخضبن مبيض الحصا   وفي هذه الارجوزة يقول في صفة النحاس
وضحك المزن بها ثم بكا   ومن الايجاز المحذوف قول الراجز
ووصف سهمه حين رمى عيرا كيف نفذ سهمه وكيف صرعه وهو قوله
حتى نجا من جوفه وما نجا   ومما يجوز في الايقاع قول المراة
وهي تطوف بالبيت   انت وهبت الفتية السلاهب
وهجمة يحار فيها الحالب   وغنما مثل الجراد السارب
متاع ايام وكل ذاهب   ومثله قول المسعودي
اخلف دا الحق كل شي زعزعته الريح ذاهب
وقال القتال وكان سيد عنزة في الجاهلية
أهلكت دهري في الرهان لحاجة   ومن الحاجة ما يضر وينفع

قال وسمعت عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر ينشده وكان فصيحا
اذا انت لم ينفع فضر فانما   يرجى الفتى كيما يضر وينفعا
وقال الاخطل
شمس العداوة حتى يستقاد لهم   واعظم الناس احلاما اذا قدروا
وقال حارثة بن بدر الغداني
طربت بفاثور وما كدت تطرب   سفاها وقد جربت فيمن يجرب
وجربت ما اذا العيش الا تعلة   وما الدهر الا منجنون تقلب
وما اليوم الا مثل امس الذي مضى   ومثل غد الجائي وكل سيذهب
وقال حارثة بن بدر الغداني
اذا الهم امسى وهو داء فامضه   ولست بمضيه وانت تعادله
ولا تنزلن امر الشديدة بامرئ   اذا رام امرا عوقته عواذله
وقل للفؤاد ان نزا بك نزوة   من الروع افرخ اكثر الروع باطله
وقال الحارث بن يزيد وهو جد الاحيمر السعدي وهو يقع في باب
العنزة ويمدحهم بعد المعزى
لا اعق ولا احوب ولا اغير على مضر

لكنما عزوي اذا ضج المطي من الدبر

وقال ابن مخفض المازني

ان تك درعي يوم صحن كاظمة اصيبت فما ذاكم علي بعار

الم تك من اسلابكم قبل ذاكم على وقبا يوما ويوم سفار

فخرنا خطرنا الحي بكر بن وائل الى سنة مثل الشهاب وفار

ويوم وطاعون وحمى وحصبة وذي لبد يغشى المجهر ضار

وحكم عدو لا هوادة عنده ومنزل ذل في الحياة وعار

وقال آخر

خذوا العقل ان اعطاكم القوم عقلكم وكونوا كمن سيم الهوان فارتعا

ولا تكثروا فيه الضجاج فانه محا السيف ما قال ابن دارة اجمعا

وقال ابو ليلى

كأن قطاتها كردوس فحل مقلصة على ساقي ظليم

وقال ابو سلمى

لا بد للسودد من ارماح

ومن سفيه دائم النباح ومن عديد يتقي بالراح

وقال الهذلي

وان

وان سيادة الاقوام فاعلم لها صعدا مطلبها طويل

وقال الحرث بن يزيد وانشده سفين بن عيينة

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسودد

وقال ابو نخيلة

وان بقوم سودوك لفاقة الى سيد لو يظفرون بسيد

وقال اياس بن قتادة في الاحنف بن قيس

وان من السادات من لو اطعته دعاك الى نار يفور سعيرها

وقال حميصة بن جزنبذ

ابطلهم قسرا فتبا لسعيه وكل مطاع لا ابا لك يظلم

فاصبح بعد الحلم في الحي ظالما تخمط فيهم والمسود يظلم

وقال اياس بن مدركة الحنفي

عرفت على اقامة ذي صباح لشيء ما يسود من يسود

وقال الآخر

كما قال الحمار لسهم رام لقد جمعت من شيء لامر

وقال ابو حية

اذا املقت لا مال والنفع ساطع يلي فهو واد بالحيا اباجله

وقال

اني رأيت ابا العوراء مرتفقا بشط دجلة يشري التمر والسمكا

كشرة الحبل يبغي عند مدودها والموت اعلم اذ قفى بمن تركا

تلك مساعيك في آباء سادتنا ومن يكن انت ساعيه فقد هلكا

وقال شبيم بن خويلد احد بني غراب بن فزارة

قلت لسيدنا يا حليم انك لم تأس اسوا رفيقا

اعنت عدوا على شأنها يقادي مرتفقا وبغي مرتفقا

زحرت بها ليلة كلها فجئت بها مويدا خنفقيقا

وقال ابن ميادة

اتيت ابن قشرا العجان فلم اجد لدى بابه اذنا يسيرا ولا نزلا

فان الذي ولاك امر جماعة لانقص من يمشي على قدم عقلا

وقال الآخر

ورثنا الأمر عن آباء صدق اساؤا في ديارهم الصنيعا

اذا المجد الرفيع تعاورته ولاة السوء اوشك ان يضيعا

دار الخ

وقال الآخر

اذا المرء اثرى ثم قال لقومه انا السيد المفضي اليه المعمم

ولم يعطهم خيرا ابوا ان يسودهم وهان عليهم رغمه وهو اظلم

وقال آخر

تركت لبحر درهمين ولم يكن ليدفع عني خلتي درهما بحر

فقلت لبحر خذهما فاصطرفهما وانفقهما في غير حمد ولا أجر

امنع سؤال العشيرة بعدما تسميت بحرا واكتنيت ابا الغمر

وقال الهذلي

وكنت اذا ما احدث الدهر نكبة اقول شوى ما لم يصبن صميمي

وقال الآخر في غير هذا الباب

سقى الله ارضا يعلم الضب انها بعيد من الادواء طيبة البقل

بنى بيته في رأس نشز وكدية وكل امرئ في حرفة العيش ذو عقل

وحدثني المكي قال نظر ابو الحارث جمين الى برذون يستقى

عليه الماء فقال المرء حيث يضع نفسه هذا لو فخم لم يبتل

بالنوى وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي

وما لُبُّ اللبيب بغير حظٍّ بأغنى في المعيشة من فتيلِ
رأيتُ الحظَّ يسترُ عيبَ قومٍ وهيهاتَ الحظوظُ من العقولِ

وقال آخر

ذهب الذين أُحبُّ قربهمُ وبقيتُ كالمفقود في خلفِ
من كل مطويٍّ على حنقٍ متصنّعٍ يكفي ولا يكفي

وقال الآخر

ومولًى كعبد العين أمّا لقاؤه فيرضي وأمّا غيبُه فظنونُ

ويقال للمرائي وللمداري إذا رأى صاحبه تحرّك له وأراه الخدمة والبِشر في طاعته فإذا غاب عن عينه خالف ذلك إنما هو عبد عين وقال الله تعالى ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤدّه إليك إلا ما دمت عليه قائمًا وقد ذكرنا أبياتًا تنضاف إلى الإيجاز وقلة الفضول ولي كتاب جمعت فيه آيًا من كتاب الله القرآن صح لتعرف بها فصل ما بين الإيجاز والحذف وبين الزوائد والفضول والاستعارات فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة على الذي كتبته لك في باب الإيجاز وترك الفضول فمنها قوله حين

وصف

وصف خمر الجنة لا يصدّعون عنها ولا ينزفون وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر الدنيا وقوله حين ذكر فاكهة الجنة فقال لا مقطوعة ولا ممنوعة جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني وهذا كثير وقد دللتك عليه فإن أردته فموضعه مشهور

وقال أعرابي من بني أسد

يقولون ثمّر ما استطعت وإنما لوارثه ما ثمّر المال كاسبه
فكله وأطعمه وخالسه وارثًا شحيحًا ودهرًا تعتريه نوائبه

وقال رجل من عنبر

أبلغ قرادًا القدّ حكمهم رجلًا لا يبلغ الوصف بل من جاوز النصفا
كان امرأً ثابرًا والحق يغلبه مجانب السهل سهل الحق ما عسفا
وذاكم أن ذل الجار حالفكم وأن أنفكم لا يعرف الأنفا
إن الحكيم ما لم يرتقب حسبًا أو يرهب السيف أو حد القنا حنفا
من عاذ بالسيف لاقى فرصة عجبًا موتًا على عجلٍ أو عاش منتصفا
يبغو الحيوة بها أدسام مطالبها أمارو اصا وأما مينة أنفا
لنبر أمر منها الدا والمرء يطلبه هاتيك أجساد عادٍ أصبحت جيفا

أبلغ لديك أبا سعيد مغلغلة ان الذي بيننا قد مات أو دنفا
كانت أمور تجافت عن حلومكم ثوب العزيمة حتى مال فانكشفا
إني لأعرف ظهر الضغن أعدله عني وأعلم أني آكل الكتفا

وقال أسقف نجران

منع البقاء تصرف الشمس وطلوعها من حيث لا تمسي
وطلوعها بيضاء صافية وغروبها صفراء كالورس
اليوم يعلم ما يجي به ومضى بفصل قضائه أمس

وقال عبيد بن الأبرص

وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب
من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب
وعاقر مثل ذات رحم وغانم مثل من يخيب
أفلح بما شئت فقد يدرك بالضعف وقد يخدع الأريب
المرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

وقال آخر
إذا الرجال ولدت أولادها واضطربت من كبر أعضادها
وجعلت أسقامها تعتادها فهي زروع قد دنا حصادها

وقال

وقالت بنت عيسى بن جعفر وكانت ملكته محمد المخلوع حين قتل

أبكيك لا للنعيم والأنس بل للمعالي والرمح والفرس
أبكي على فارس فجعت به أرملني قبل ليلة العرس

وقال آخر سلم الخاسر في هذا

بدت فقلت الشمس عند طلوعها بجلد غني اللون عن أثر الورس
فلما كررت الطرف قلت لصاحبي على مرية ما ها هنا مطلع الشمس

وقال آخر

كفى حزنا بدفنك ثم إني نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

باب من المديح بالجمال وغيره

قال مزاحم العقيلي

يزين سنا الماوي كل عشية على غفلات الزين والمتجمل
وجوه لو ان المدلجين اعتشوا بها صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي

وقال الشمردل

اذا جرى المسك يندى في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

يشبهون ملوكاً في تحلّمهم وطول أنضية الأعناق والأمم
النغيّ السهم الذي لم يُرَش يعني أن أعناقهم ملس مستوية والأمم
القامات وقال القتّال

بالبيض والحيّ لبست مغنية لمالك أو لحصن أو لسيّار
طوال أنضية الأعناق لم يجدوا ريح الإماء إذا راحت بأزفار
لم يرضعوا الدهر إلا ثدي واضحة لواضح الوجه يحمي باحة الدار

وقال الآخر

إذا كان نعقل فلم ان تعقلنا الى النسا لم تظلل علينا الاباعر
وانا من الغري ببداء دكم بود بني ذبيان مولى لخناسر
أولئك قوم لا يهان هديهم إذا اصطحبت كل دهيتين أعاصر
مذاليق بالخيل العتاق إذا غزوا بأبنائهم خطية وبواتر

وقال أبو الطمحان القيني في المعنى الذي ذكرناه

كم فيهم من سيد وابن سيد وفيّ بعقد الجار حين يفارقه
يكاد الغمام الغر يرعد إن رأى وجوه بني لام وينهل بارقه

وقال لقيط بن زرارة

واني من القوم الذين عرفتهم إذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وقال بعض التميميين يمدح عوف بن القعقاع بن معبد بن زرارة

بحق لمن سيرو عيينة خاله دانت القعقاع وعم حاجب
دراري نجوم كلما انقض كوكب بدا كوكب ترفض عنه الكواكب

وقال طفيل الغنوي

وكان هريم من سنان خليفة وعمرو ومن أسماء لما تغيبوا
نجوم سماء كلما غار كوكب بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب

وقال الخزيمي وهو يمدح بني خزيم من آل سنان بن أبي حارثة

بقية أقمار من الغر لو خبت لظلت معد في الدجى تتسكع
إذا قمر منها تغور أو خبا بدا قمر في جانب الأفق يلمع

وقال بعض غني وهو يمدح جماعة أخوة منهم أنشدنيها أبو قطن
الذي يقال له شهيد الكرم

حبتنا بني عمرو فانهم الو فضول وانفال واخطار

إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهدوا فالجهد يخرج منهم طيب أخبار

وإن تودّدتهم لانوا وإن شهموا كشفت أذمار شرٍّ غير أشرار

فينون لينون أيسار ذوو يسر سوّاس مكرمة أبناء أيسار

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

وقال رجل من بني نهشل

إني لمن معشر أفنى أوائلهم قول الكماة ألا أين المحامونا

لو كان في الألف منا واحد فدعوا من عاطف خالهم إياه يعنونا

ولن يذهب منا سيد أبداً إلا افتلينا غلاماً سيداً فينا

وفي المعنى الأول يقول النابغة

وذاك بأن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وفي غير ذلك من المديح يقول الشاعر

وأبيت حيا في الحروب محلهم والجيش باسم أبيهم يستهزم

وفي ذلك يقول الفرزدق

ليبك وكيعاً خيل ليل مغيرة تساقى السمام بالردينية السمر

لقوا

لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة دعوها وكيعاً والجياد بهم تجري

وأما قول الشاعر   حامل المجد أو هزام

فإنما ذهب إلى أن الدعوة إذا قام بها خامل الذكر والنسب فلا

يحسن من إصغائه أحد وأما من عهد بيمن النقيبة وبالظفر

المتتابع فذاك أجود ما يكون وأقرب إلى تمام الأمر وقال الفرزدق

تصمم بني ذي بكر وابل وما كان عني ودهم يتصرم

قوارص تأتيني فيحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وقال أيضاً الفرزدق

وما لت أراه واجداً إلا إخاله يوملكه في الوارثين الأباعد

لعلك يوماً أن تريني كأنما بنيّ حوالي الأسود الحوارد

فإن تميماً قبل أن يلد الحصى أقام زماناً وهو في الناس واحد

وقال أيضاً الفرزدق

فإن يك سيف خان أو قدر أبى لميقات يوم حتفه غير شاهد

فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ويقطعن أحياناً مناط القلائد

وإن أحببت أن تروي من قصار القصائد شعراً لم يُسمع مثله قطّ فالتمس
ذلك في قصار قصائد الفرزدق فإنك لم تر شاعراً قطّ يجمع التجويد
في القصار والطوال غيره وقد قيل للكميت إن الناس يزعمون أنك
لا تقدر على القصار فقال من قال الطوال فهو على القصار أقدر
وهذا كلام يخرج في ظاهر الرأي والظن ولم يجده عند التحصيل
على ما قال وقيل لعقيل بن علّفة لم لا تطيل الهجاء فقال يكفيك
من القلادة ما أحاط بالعنق وقيل لجرير إلى كم تهجو الناس
قال إني لا أبتدي ولكني أعتدي وقيل له لم لا تقصر قال إن
الجماح يمنع الأذى وقال عبيد بن الأبرص

أنبئت أن بني جديلة أوعبوا نفراء من سلمى لنا وتكتّبوا
ولقد جرى لهم فلم يتعيّفوا تيس قعيد كالهراوة أعضب
وأبو الفراخ على خشاش هشيمة متنكّب إبط الشمائل ينعب
فتجاوزوا ذاكم إلينا كله عدواً وقرضبة فلما قرّبوا
طُعنوا بمرّان الوشيج لما ترى خلف الأسنة غيرهم يتشخّب
وتبدّلوا اليعبوب بعد إلههم صنماً فقرّوا يا جديل وأعذبوا

وقال

وقال آخر

ألم تر حسان بن ميسرة الذي يجوخني إلى الخير أنه كيف يصنع
مثاريب ما تنفك منهم عصابة إليه سراعاً يحصدون ويزرع

وباب آخر مثل قوله

يريد أن يعربه فيعجمه • وقال الآخر
كأن من يحفظها يضيعها • وقال الآخر
أعوج لا ينفعه التثقيف • وقال بعض المحدثين في هذا المعنى
إذا ما ولو أن شعّبوها رأيتها على الشعب لا تزداد إلا تداعيا

وقال صالح بن عبد القدوس

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد له جهله كذي الضنا عاد إلى نكسه

ومثل هذا المعنى قوله

إذ نبت عن نعم ما هرمت ومن العناء رياضة الهرم

وقال حسان بن عرفطة

ليهنك بغض في الصديق وظنة وتحديثك الشيء الذي أنت كاذبه

وانك مشنوء الى كل صاحب بلاك ومثل الشر تكون جنابته
والمهذا الخنا نطف المناشد بذ السباب رائع الصوت غالبه
فلم ار مثل الجهل ادنى الى الردى ولا مثل بعض الناس غمص صاحبه

وقال الاصمعي قال الزبرقان بن بدر خصلتان كثيرتان في امرئ
السوء شدة السباب وكثرة اللطام وقال طلال بن نضلة

لعمري لرهط المرء خير بقية عليه ولو عالوا به فوق مركب
من الجانب الاقصى وان كان ذا ندى كثير ولا ينبيك مثل المجرب
اذا كنت في قوم عدى لست منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب
فاني لملقى بي حيال دودان لا ارى وان كنت ذا ذنب وان غير مذنب

ولما نادى الاضبط بن قريع بني سعد وتحول عنهم في اخرين
فآذوه فقال بكل واد بنو سعد وقال سحيم بن وثيل

الا ليس بين الرحل نطع ولمرء ولكن بين الرحل يأتي راكبه

وقال اعرابي

ما وجد ملواح من الهيم حليت عن الماء حتى جوفها يتصلصل
تحوم وتغشاها العصي وحولها اقاطيع انعام تعل وتنهل

بلا عن غي علة وتعطفها بالود الا انني اجمل

وقال طلال بن علقة بن الطيفان في عيبه احد العقل والصابئي
دون الدم

اذا الذي اصبحتم تحلبونه دم غير ان اللون ليس باحمرا
فلا توعدوا ولا تحيوا بعد ما رضيتم وزوجتم سبالة مشعرا
وانحب قر دبقص الل حالقا اذا عب منها في الشفيقة ربما
اذا اسكبوا في القعب من ذي انابهم راو لونه في القعب وردا واشقرا

وباب اخر في ذكر الغضب والجنون
في المواضع التي تكون فيها محمودا قال الاشهب بن رميلة

هم الوفادة من لا يستعد لها واعصوصب الشر وارتد المساكين
من كل اشيب قد مالت عمامته كانه من جواد الضيم مجنون

وقال في شبيه ذلك ابو الغول الطهوي

فدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صدقت فيهم ظنوني
فوارس لا يملون المنايا اذا دارت رحى الحرب الزبون
ولا يجزون من حسن بسيء ولا يجزون من غلظ بلين

ولا تبلى بسالتهم وإنهم صلوا بالحرب حينا بعد حين
هم اجموا حمى الوقبى بضرب يؤلف بين أشتات المنون
فنكب عنهم درء الأعادي وداووا بالجنون من الجنون
وقال ابن الطثرية
لو انني لم انل منكم معاقبة الا السنان لذاق الموت مطعون
او لاستمت فاني قد هممت به بالسيف ان خطيب السيف مجنون
وقال آخر
حمراء تامكة السنام كأنها جمل بهودج أهله مظعون
جادت بها يوم الوداع يمينه كلتا يدي عمرو الغداة يمين
ما ان يجود بمثلها في مثله الا كريم الخيم أو مجنون
وفي غير هذا المعنى يقول حسان أو ابنه عبد الرحمن
ان شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يعاص كان جنونا
وفي تشبيه بذلك يقول الشنفرى
دقت وجلت واسبكرت وأكملت فلو جن انسان من الحسن جنت
وقال القطامي حين وصف افراط ناقته في المرح والنشاط

يتبعن سامية العينين تحسبها مجنونة أو ترى ما لا ترى الإبل
وقال ابن أحمر في غير التشبيه والاشتقاق
بجو من قسا ذفر الخزامى تداعى الجربياء بها الحنينا
تفقأ فوقه القلع السواري وجن الخازباز به جنونا
وفي مثل ذلك يقول الأعشى
وإذا الغيث صوبه وضع القدح وجن التلاع والآفاق
لم يزدهم سفاهة شرب الخمر ولا اللهو فيهم والسباق
وقال آخر في باب المزاح والبطالة ما انشدنيه أبو الأصبغ
بن ربعي
أتوني بمجنون يسيل لعابه وما صاحبي إلا الصحيح المسلم
وانشدني ابرهيم بن هاني لعبد الرحمن بن منصور
جنونك مجنون ولست بواجد طبيبا يداوي من جنون جنون
وكان ابرهيم بن هاني لا يفهم بيت شعر ولا ادري كيف
اقام هذا البيت وكان يدعي بحضرة أبي اسحق علم الحساب
والكلام والهندسة والنجوم وانه يقول الشعر

فقال له ابو النجم لم يتحبك في هذه الامور فلك ان تدعيها عندنا
كيف صرت تدعي قول الشعر وانت اذا رويته لغيرك كسرته فقال
اني هكذا هكذا طبعت ان اقيمه اذا قلت واكسره اذا انشدت
قال ابو النجم ما بعد هذا كلام قال وقلت لاعرابي ايما اشد
غلمة المراة او الرجل فانشد

فوالله ما ادري واني لسائل الا ابي ادنى للفجور او الخير
ومن جا هذا من خبا من عبانه واقبل هذا فاتحا يهدر ٢

وانشد بعضهم

اصبح الشيب في المفارق شاعا واكتسى الراس من بياض قناعا
ثم ولى الشباب الا قليلا ثم ياتي القليل الا نزاعا

وانشدني محمد بن بشير لبعضهم

فامت تخاطرني نفسها خود تناطر غادة بكر
كل يرى ان الشباب له في كل مبلغ لذة عذر

وقال الاخر في خلاف هذا وانشدنيه محمد بن هاشم السدري

فلا تعذراني في الاساءة انه شرار الرجال من يسيء فيعذر

وقال ابن فسوة

فليت قلوصي عريت او رحلتها الى حسن في داره وابن جعفر
الى معشر لا يخصفون نعالهم ولا يلبسون السبت ما لم يخصر

وقال الطرماح بن حكيم وهو ابو نفر

لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امري غير طايل
اذا ما راني قطع الطرف بينه وبيني فعل العارف المتجاهل
ملات عليه الارض حتى كانها من الضيق في عينيه كفة حابل

وقال اخر

اذا ابصرتني اعرضت عني كان الشمس من قبلي تدور

وقال الخزيمي في ابي عيينة

اصغي باماديح لمخبري اذا التقينا عمن يحييني
اريد ان اعرف السلام وان افصل بين التعريف والتدول
اسمع ما لا ارى فاكره ان اخطي والسمع غير مامون
لله عيني التي فجعت بها لو ان دهرا بها يوا ابني
لو كنت خيرت ما اخذت بها تعمير نوح في ملك قارون

وقال بعض القدماء

ألم تر جوشنا أمسى يبني قصورا نفعها لبني نفيله

يؤمل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يطرق كل ليله

وقال ابن عباس بعدما ذهب بصره

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وسمعي منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وقال حسان يذكر عبد الله بن عباس

إذا قال لم يترك مقالا ولم يقف لعي ولم يثن اللسان على هجر

يصرف بالقول اللسان إذا انتحى وينظر في أعطافه نظر الصقر

وقال بعض الأعراب في الخصب والجدب

مطرنا فلما أن روينا تهادرت شقاشق فيها رايب وحليب

ورامت رجال من رجال ظلامة وعادت ذحول بيننا وذنوب

ونصت ركاب للصبي فزوحمت لهن بما هاج الحبيب حبيب

ودبر فينا الحي كأنه رحى منهل من كرهن الحبيب

بني عمنا لا تعجلوا بنضوب الثرى قليلا ويشفي المترفين طيب

فلو قد تولى النبت وامتيرت القرى وحنت ركاب الحي ثم توب

وصار غبوق الخود وهي كريمة على أهلها ذو جدتين مشوب

وصار الذي في أنفه خنزوانة ينادي إلى هادي الرحال فيجيب

أولئك أيام تبين ما الفتى أكاب سكيت أم أشم نجيب

قال ولما ولي حارثة بن بدر دستو وكتب إليه أنس بن أبي

إياس الدئلي

أحار بن بدر قد وليت إمارة فكن جرذا فيها تخون وتسرق

وباه تميما بالغنى إن للغنى لسانا به المرء الهيوبة ينطق

ولا تحقرن يا حار شيئا ملكته فحظك من ملك العراق سرق

فإن جميع الناس إما مكذب يقول بما تهوى وإما مصدق

يقولون أقوالا ولا يعلمونها ولو قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

وقال بعض الأعراب

فلما رأينا القوم نارا وجمعهم رعينا الجدب وهو فيهم مضيع

وأدركنا من عرق قلبي حفيظة ولا خير فيمن لا يضر وينفع

ويقال إن رجلا قال لبعض السلاطين الدنيا حديث فإن

بما فيها

استطعت أن تكون من أحسنها حديثًا فافعل وقال
حذيفة بن يزيد لصاحبه يوم جعفر الهباة حين أعطاهم بلسانه
ما أعطى إياك والكلام المأثور وأنشد الأصمعي
كل يوم كأنه يوم الأضحى عند عبد العزيز أو يوم فطر
وذكر لي بعض البغداديين أن سقامد بينا من بباب الفضل
بن يحيى وعلى بابه جماعة من الشعراء فقال
ما لقينا من جود فضل بن يحيى ترك الناس كلهم شعراء
قال الأصمعي ما ألطف الأحمر الفارسي إذا نطق تساكت
والنبطي إذا انطلق أكثر الكلام قال الأصمعي قال
رجل لأعرابي كيف فلان قال أحمق مرزوق قال هذا الرجل
الكامل قال وقال أعرابي لرجل كيف فلان فيكم قال
غني حظي قال هذا من أهل الجنة الأصمعي قال أخبرني جوشن
قال كان يقال بالبدو إذا ظهر السواد قل البياض وإذا
ظهر البياض قل السواد قال الأصمعي يعني بالسواد التمر
وبالبياض اللبن والأقط يقول إذا كانت السنة مخصبة

كثر

كثر الأقط واللبن وقل التمر وإذا كانت السنة مجدبة كثر
التمر وقل اللبن والأقط وقال إذا كان العام خصيبًا ظهر
بأصدقه القطر البياض يعني الأقط وإذا كان جدبًا ظهر
السواد يعني التمر ويقول الفرس إذا زخرت الأودية بالماء
كثر التمر وإذا اشتدت الرياح كثر الحب وحدث
محمد بن سلام عن شعيب بن صخر قال جاء رجل على فرس فوقف
بماء من مياه العرب فقال لم تكون عندكم الريح تكب البعير
قالوا لا قال فتذري الفارس قالوا لا قال فتهدم الحجر
قالوا لا قال فكما تكون ركود مطركم وحدثني الفتى
قال هجمت على بطن من بجيلة فلم أر واديًا أخصب منه
وإذا رجال يركبون على مساحيهم يجولون وإذا وجوه
بهجة وألوان مائسة فقلت وادٍ بكم أخصب واد وأنتم
لا تشبهون المخاصيب فقال شيخ منهم ليس لنا ريح
وقال النمر بن تولب
كأن حمرة أو عزة لها شبهًا في العين يوم تلاقينا بأرام

منها جاد عليها وابل هطل ما رعت لاحتبال فرط أعوام
إذا الجف ثراها ألها ديم من كوكب نزل بالماء سجام
لم يرعها أحد وارتبها زمنا فأو من الأرض محفوف بأعلام
تسمع للطير في حافاتها زجلا كأن أصواتها أصوات جرام
كأن ريح خزاماها وحنوتها بالليل ريح يلنجوج وأهضام
فلم يدع بعض من أهله خصب الوادي وبعض نبت الأذكره
وصدق حديث النبي في قوله فأو من الأرض محفوف بأعلام
وقال الأسدي يذكر الخصب ورطوبة الأشجار ولدونة
الأغصان وكثرة الماء
وكأن أرطاة الجو مخضب بلوى عنيزة من مقيل الترمس
في حيث خالطت الخزامى عرفجا يأتيك قابس أهلها لم يقبس
ذهب إلى أنه من تلك من رطوبة أغصانها وعيدانها أنها إذا
حك بعضها ببعض المقدوح وفي تشبيه بذلك يقول جرير دب
يلا كثرة الأزهار والأنوار
كانت لنا من غطفان جاره حلا له ظعانه مسباره

كانها

كأنها من زبرجد وشان والحلي حلي التبر والمرجان
مدفع مثنى الأقران ثم قال أبا لك أعمى نا تسمعي بلحان
وقال الشاعر
وحدائق كأنه قطع الروض وفيه الصفر والحمر ...

باب ـــــــ من الفطن

وفيه الكنايات والرطانات والفهم والإفهام
الأصمعي قال كانت امرأة من ... منتحية من الحي وتحب العزلة
وكان لها غنم فطرقها اللصوص فقالت لابنها من ها هنا
قالت ها هنا حبار والحبارش وعامر والحرث ودارع عنز
نار وداعبا بهمنا فنحر ما ولِيك أي فيحر أوليك فلما
سمعت حسهم قالت لابنها أخرج سلح بنيه من ها هنا
قال وسلح جمع سلاح وحبار وعامر والحبارش اسما
تيوس لها قال الأصمعي تزوج رجل امرأة فساق
إليها مهرها ثلثين شاة وبعث معها رسولا له وبعث
معه زق من خمر فعمد الرسول فذبح شاة في الطريق فأكلها

وشرب بعض الزق فلما اتى المراة نظرت الى تسع وعشرين شاة
ورأت الزق ناقصا فعرفت ان الرجل لا يبعث الا بالبين ورق
مملوء فقالت للرسول قل له ان سخيلنا قد رثم وان رسولك جانا بين
المحاق فلما اتاه الرسول فاخبره قال يا عدو الله اكلت من
الثلثين شاة وشربت من راس الزق فاعترف بذلك الاصمعي قال
اخبرني شيخ من بني العنبر قال اسر بنو شيبان رجلا من بني العنبر
فقال دعوني ارسل الى اهلي ليفدوني قالوا على ان لا تكلم الرسول
الا بين ايدينا قال نعم فقال للرسول ايت اهلي فقل ان الشجر
قد اورق وان النساء قد اشتكت ثم قال له اتعقل قال نعم قال فما
هذا قال الليل قال اراك تعقل انطلق فقل لاهلي عروا
جملي الاصهب واركبوا ناقتي الحمراء واسلوا حارثا عن امري
وكان حارث صديقا له فذهب الرسول فاخبرهم فدعوا
حارثا فقص عليهم القصة فقال اما قوله ان الشجر قد اورق
فقد تسلح القوم واما قوله قد اشتكت النساء فيقول قد اتخذت
الشكاء وخرزت القرب للغزو واما قوله ما هذا فقال الليل

فانه

فانه يقول اتاكم جيش مثل الليل واما قوله عروا جملي الاصهب
فانه يقول ارتحلوا عن الصمان واما قوله اركبوا ناقتي الحمراء
فيقول انزلوا الدهناء ذلك ان القوم قد تهيئوا لغزوهم تخافوا ان
ينذرهم فانذرهم وهم لا يشعرون فجاء القوم يطلبونهم فلم يجدوهم
وكذلك صنع العطاردي ببني تميم من شعب جبلة وهو كرب
بن صفوان وذلك انه حبس لم يرجع اليهم خبر سألوه بقول ورمى
اليهم بصرتين في احداهما تراب وفي الاخرى شوك فقال لقيس بن
زهير هذا رجل ماخوذ عليه بالحلف هو ينذركم عددا
وشوكة قال الله عز وجل وتودون ان غير ذات الشوكة
تكون لكم وقال ابو نخيلة

لما رأيت الدين دينا يؤفك ... وامست الفتنة لا تستمسك
تفتق من اعراضها وتهتك ... من ردن الباب فسار الدلدك
منها الدجوجي ومنها الارمك ... كالليل الا انها تحترك

وقال الاخر

ليل من النقع لا نجم ولا قمر ... الا جبينك والمذروبة الشرع



وقال الآخر
كأنهم ليل إذا استنفروا أو لجّة ليس لها ساحل
وقال العجاج . كأنما نهارهم لمن جهر
ليل ورد وغزو إذا وغر . سار سرى من قبل العين فجر
وفي هذا الباب ولبس به يقول بشار
مشهور كأن مثار النقع فوق رؤوسهم وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
وقال كلثوم بن عمرو
تبني سنابكها من فوق أرؤسهم سقفا كواكبه البيض المباتير
وهذا المعنى قد غلب عليه بشار كما غلب عنترة على قوله
فترى الذباب بها يغني وحده هزجا كفعل الشارب المترنم
غردا يحك ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الأجذم
فلو أن امرأ القيس عارض عنترة في هذا المعنى لافتضح
وقال بعضهم في غير هذا المعنى
وفلاة كأنما اشتمل الليل عليها بأبنا حام
خضت فيها إلى الخليفة بالرقم بحر ظهيرة وظلام

وقال

وقال العرجي
سميتني خلقا لخلة قدمت ولا جديد إذا لم يلبس الخلق
يا أيها المتحلي غير شيمته ومن خلائقه الإقصار والملق
ارجع إلى خيمك المعروف ديدنه إن التخلق يأتي دونه الخلق
وقال مهلهل
أودى الخيار من المعاشر كلهم واستب بعدك يا كليب المجلس
وتنازعوا في كل أمر عظيمة لو كنت شاهد أمرهم لم ينبسوا
وأبيات أبي نواس على أنه مولد أسقط الشعر من شعر مهلهل
في إطراق الناس في مجلس كليب وهي قوله
على خبز إسماعيل واقية البخل فقد حل في دار الأمان من الأكل
وما خبزه إلا كآوى يرى ابنها ولم ير آوى في الحزون ولا السهل
وما خبزه إلا كعنقاء مغرب تصور في بسط الملوك وفي المثل
يحدث عنها الناس من غير رؤية سوى صورة ما إن تمر ولا تحلي
ثم قال وما خبزه إلا كليب بن وائل ليالي يحمي عزه منبت البقل
وإذ هو لا يستب خصمان عنده ولا الصوت مرفوع بجد ولا هزل

برمال فإن نحنا معشر أجل به الذي أصاب كليبًا لم يكن ذاك عن ذل
ولكن قضاء ليس يستطاع رده بحيلة ذي مكر ولا فهم ذي عقل
والقضية التي لا أحتشم منها ولا أهاب الخصوم فيها أن عامة
العرب والأعراب في البدو والحضر من بلاد العرب أشعر من عامة
شعراء الأمصار والقرى من المولدين والنابتة وليس ذلك بواجب
لهم في جميع ما قالوه وقد رأيت ناسًا يبهرجون أشعار المولدين
ويستسقطون من رواها ولم أر ذلك قط إلا في راوية للشعر
غير بصير بجوهر ما يروي ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن
كان وفي أي زمان كان وأنا رأيت أبا عمرو الشيباني
وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة
أن كلف رجلًا حتى أحضره قرطاسًا ودواة حتى كتبهما وأنا
أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعرًا أبدًا ولولا أن
أدخل في الحكم بعض الفتك لزعمت أن ابنه لا يقول شعرًا
أبدًا وهما قوله
لا تحسبن الموت موت البلى فإنما الموت سؤال الرجال

كلاهما

نسخة ذل السؤال

كلاهما موت ولكن ذا أشد من ذاك على كل حال
وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى والمعاني مطروحة
في الطريق يعرفها العربي والعجمي والقروي والمدني والبدوي
وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج
وكثرة الماء وجودة السبك وصحة الطبع فإنما الشعر
صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير وقيل للخليل
بن أحمد ما لك لا تقول الشعر قال الذي يجيئني لا أرضاه
والذي أرضاه لا يجيئني وأنا أستحسن هذا الكلام
كما أستحسن جواب الأعرابي حين قيل له كيف تجدك
قال أجدني أجد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجد وقيل
لابن المقفع ما لك لا تجوز البيت والبيتين والثلاثة قال
إن جزتها عرفوا صاحبها فقال له السائل وما عليك
أن تعرف بالطوال الجياد فعلم أنه لم يفهم عنه لأن
الفرق بين المولد والأعرابي أن المولد يقول بنشاطه
وجمع باله الأبيات اللاحقة بأشعار أهل البدو

فاذا افتعن انحلت قوته واضطرب كلامه وفي شبيه بمعنى
المهلهل وابي نواس في التعظيم والاطراق عند السادة
يقول الشاعر في بعض بني مرداذ

في كفه خيزران ريحها عبق من كف اروع في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم
اذ قال قال بما يهوى جميعهم وان تكلم يوما ساخت الكلم

وقال ابو نواس في مثل ذلك

فترى السادات ماثلة لسليل الشمس من قمره
فهم شتى ظنونهم حذر المطوي من خبره

وقال ابن هرمة في مدح المنصور وهو شبيه بهذا والشعر

له لحظات عن حفافي سريره اذا كرها فيها عقاب ونائل
فام الذي امنت امنة الردى وام الذي حاولت بالثكل ثاكل

وقال المهلهل وهو يتعجب من ابا الحلق وكيف يعقد

ملنا على وائل واعلتنا يوما عدي بجريعة الذنب
دفعنا عنه الرماح اذ نعتمطا الحلق وطلق ذي يمن

اذكر من عهدنا وعهدهم عهدا ونبقا بمنحر البدن
ما بل الخمر كفا بصوفتها وما اناف الهضاب من حضن
يرينه الليل والنهار معا اشتاتا خراط الجموح في السنن

وقال جابر بن حني التغلبي

لسنا كاقوام لذنب محلهم ولسنا كمن نرضيهم بالتملق
فسائل بني شرحبيل بنا ومحلما غداة تكر الخيل في كل مأزق
لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليلى امه بموفق
فقام ابن كلثوم الى السيف مغضبا فامسك من ندمانه بالمخنق
وعممه عمدا على الراس ضربة بذي شطب صافي الحديدة مخفق

وقال المتلمس

ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرانين ميسما
وما كنت الا مثل قاطع كفه بكف له اخرى فاصبح اجذما
يداه اصابت هذه حتف هذه فلم تجد الاخرى عليها مقدما
فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمما
اطارد انا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما

فقال سألته عن قول عمر بن الخطاب لأبي مريم الحنفي والله لأنا أشد
بغضاً لك من الأرض للدم قال لأن الدم الجاري من بين كل شيء
جار لا يغوص في الأرض ومتى جف وتحلب فقرفته رأيت مكانه
أبيض إلا أن صاحب المنطق قال في كتاب الحيوان كذلك الدماء
إلا دم البعير وقال النمر بن تولب

إذا كنت في سعد وأمك منهم غريباً فلا يغررك أمك من سعد
فإن ابن أخت القوم مصغاً إناؤه إذا لم يزاحم خاله بأب جلد

وقال البعيث

تخير رب العباد لدينه على علمه والله بالعبد أعرف

وقال أيضاً

وما ترك الهاجون لي في أديمكم مصحاً ولكني أرى مترقعا

وقال العكلي لنوح بن جرير

أتسبني فأنا الكم مثلي سبة وأسب جدكم بسب أبينا
ولقد أرى والمقتفي متجوز يا نوح أن أباك لا يوفينا

وقال عمرو بن معدي كرب معا

أي مهزول ومكسر عن إضاعة الحق وأراه أن [illegible] لأن الإناء لوضع الطعام أو الشراب عليها [illegible] وبها قوام [illegible] الإنسان وإما أنه الإناء [illegible] تعرض للأذى [illegible]

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
وصله بالزماع فكل أمر سما لك أو سموت له ولوع

وقال المقنع الكندي

وصاحب السوء كالداء العضال إذا ما ارفض في الجلد يجري ههنا وهنا
يجري ويخبر عن عورات صاحبه وما يرى عنده من صالح دفنا
كمهر سوء إذا رفعت سيرته رام الجماح وإن خفضته حرنا
إن يحي ذاك فكن منه بمعزلة وإن يمت ذاك لا تشهد له جننا

بسم الله الرحمن الرحيم

خصال الحرم

من خصاله أن الذئب يصيد الظبي ويتبعه ويعارضه فإذا
دخل الحرم كف عنه ومن خصاله أنه لا يسقط على
الكعبة حمام إلا وهو عليل يعرف ذلك متى امتحن
وتعرف حاله ولا يسقط عليها ما دام صحيحاً ومن
خصاله أنه إذا حاذى أعلى الكعبة عرقة من طير كالحمام
وغيره انفرقت فرقتين ولم يعلها طائر منها ومن خصاله

انه اذا أصاب المطر الباب الذي من شق العراق كان الخصب
في تلك السنة بالعراق واذا أصاب شق الشام كان الخصب
والمطر في تلك السنة في شق الشام فاذا عم جوانب البيت
كان المطر والخصب عاما في البلدان ه ومن خصال الحرم
انحصار الجمار ترمى في ذلك المرمى منذ حج الناس البيت
على طول الدهر ثم كانت على مقدار واحد ولولا موضع الآية
والعلامة والاعجوبة التي فيها لقد كان ذلك كالجبال هدا
من غير أن تكنسه السيول ويأخذ منه الناس ومن شأنهم
ان كل من علا الكعبة من العبيد فهو حر لا يرون الملك
على من علاها ولا يجمعون بين عز علوها وذل الملك وبمكة
رجال من الصلحاء لم يدخلوا الكعبة قط وكانوا
في الجاهلية لا يبنون بيتا مربعا تعظيما للكعبة والعرب
تسمي كل بيت مربع كعبة ومنه كعبة نجران وكان
اول من بنى بمكة بيتا مربعا حميد بن زهير أحد بني أسد
بن عبد العزى ثم البركة والشفاء الذي يجده من شرب

ماء زمزم على وجه الدهر وكثرة من يقيم عليه فيجد فيه الشفاء
بعد أن لا يدع في الأرض حمة الا اتاها واقام عندها وشرب
منها واستنقع فيها مع شأن الفيل والطير الأبابيل
والحجارة السجيل وانه لم يزل امنا ولقاحا لا يؤدي اتاوة
ولا يدين للملوك ولذلك سمي البيت العتيق لانه لم يزل حرا
لا يملك وقال حرب بن امية

ابا مطر هلم الى الصلاح فيكفيك الندامى من قريش
فتأمن وسطهم وتعيش فيهم ابا مطر هديت بخير عيش
وتنزل بلدة عزت لقاحا وتأمن أن يزورك رب جيش

وقال الله عز وجل واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا
واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقال عز وجل ربنا اني
اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم
ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي
اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون والمدينة
هي طيبة ولطيبها قيل تلفظ خبثها وينصع طيبها

وبين ريح ثراها وتربتها وعرق ترابها ونسيم هوائها والنعمة
التي توجد في سككها وحيطانها دليل على انها جعلت آية
حين جعلت حرما وكل من خرج من منزل لمطيب الى
استنشاق ريح الهواء والتربة في كل بلدة فانه لا بد عند
الاستنشاق والتثبت من ان يجدها منتنة وذلك على طبقات
من سائر البلدان الا ما كان من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
قال وللصياح والعطر والبخور والتضرج من الرائحة الطيبة
اذا كان فيها اضعاف ما يوجد في غيرها من البلدان وان
كان الصياح اجود والعطر اخرد والبخور امر وتربة
بلدة يستحيل فيها العطر ويفسد فيها الطيب وتذهب
رائحته كقصبة الاهواز وقد كان الرشيد هم بالمقام
بانطاكية فكره اهلها ذلك فقال له شيخ منهم وصدقه
يا امير المومنين ليست ولا بلادك لان الطيب الفاخر
يتغير فيها حتى لا ينتفع منه بكبير شيء والسلاح يصدا
فيها لو كان من قلعة الهند ومن طبع اليمن ومطرها ربما

دام شهرين لتغير فيها سكون يوم ثم لم يغيم بها ثم ذكر المدينة
فقال وان الجوهرية السنو والتجار في راسها شيئا من عطر
وشيئا من نضوح ما لا قيمة له لهوانه على اهله فتجد لذلك
خمرة وطيب رائحة لا يعدلها بيت عروس من ذي الاقدار
حتى ان النوى المنقع الذي يكون عند اهل العراق في نهاية
النتن اذا طال انقاعه يكون عندهم في غاية الطيب والحمد لله

القول في الحمام

قال ما حب الحمام الحمام وحنين الى اهله وهوى وطورا الى
وكل طائر يتغرق بالزواج وحسن الصوت والهديل
والدعاء والترجيع فهو حمام وان خالف بعضه بعضا في بعض
الصورة واللون وفي بعض القد ولحن الهديل وكذلك تختلف
اجناس الدجاج ولا تخرجها ذلك من ان تكون دجاجا
كالهندي والخلاسي والنبطي وكالدجاج السندي
والزنجي وغير ذلك وكذلك الابل كالعراب والبخت والفوالج

والبهونيات والصرصرانيات والجوش وغير ذلك من الابل ولا
يخرجها ذلك من ان تكون ابلا وما ذلك الا كما اختلف الجرذان
والفار والنمل والذر وكاختلاف الضان والمعز واختلاف
البقر الاهلية والوحشية وكقرابة ما بينها وبين الجوا ميس
وقد تختلف الحيات والعقارب بضروب الاختلاف ولا
يخرجها ذلك من ان تكون عقارب وحيات وكذلك
الكلاب والغربان وحسبك بتفاوت ما بين الناس
كالزنج والصقالبة في الشعور والالوان وكياجوج
وماجوج وعاد وثمود والكنعانيين والعمالقة
ومن تخالف الماعزة الضائنة حتى لا يقع بينهما تسافد
ولا تلاقح وهي في ذلك غنم وشا قال والقمري حمام والفاختة
حمام والورشان حمام والشفنين حمام وكذلك
اليمام واليعقوب وضروب اخر كلها حمام ومفاخرها
التي فيها ترجع الى الحمام التي لا تعرف الا بهذا الاسم
قال وقد زعم افليمون صاحب الفراسة ان الحمام تتخذ

لضروب منها ما يتخذ للانس وللنسا والبيوت ومنها ما يتخذ
للطيران والتلهي بذلك ومنها ما يتخذ للفراخ ومنها ما يتخذ
للزجال والسباق ومن منافع الحمام حبه للناس وانس
الناس به وانكم لم تروا حيوانا قط اعدل موضعا ولا اقصد
مرتبة من الحمام لان اسفل الناس لا يكون دون ان يتخذها وارفع
الناس لا يكون فوق ان يتخذها وهو شي يتخذه ما بين الحجام
الى الملك الهمام والحمام مع عموم شهوة الناس له ليس شي
مما يتخذونه هم اشد شغفا به ولا اشد صبابة منهم بالحمام
ثم تجد ذلك في الخصيان كما تجده في الفحول وتجده في الصبيان
كما تجده في الرجال وتجده في الشبان كما تجده في الشيوخ
وتجده في النسا كما تجده في الرجال والحمام من الطير الميامين
وليس من الحيوان الذي تظهر له عورة وحجم وقضيب كالكلب
والحمار وما اشبه ذلك فيكون مما يحب على الرجال دورهم
وقال المثنى بن زهير من العجب ان الحمام ملقى والسكران
موقى يا نشوة ابن بشير قول الخزيمي



وأعددته ذخرًا لكل ملمة وسهم المنايا بالذخائر مولع

ومتى رأى إنسان عطشان الديك والدجاجة يشربان الماء ورأى
كلبًا وذئبًا يلطعان الماء لطعًا ذهب عطشه من قبح
حسو الديك نغبة نغبة ومن لطع الكلب وإنه ليرى الحمام
وهو يشرب الماء وهو ريان فيشتهي أن يكرع في الماء بعده
والديك والكلب في السفاد وفي طلب الأرزاق كما قال
أبو الأخزر الحماني فإنه يقول

لا مبتغي الضنء ولا بالعازل

والحمام أكثر معاناة في
طلب الولد فإذا علم الذكر أنه قد أودع رحم الأنثى
ما يكون منه الولد تقدما في نقل القصب وشقق
الخوص وأشباه ذلك من العيدان الخوارة الدقاق
حتى يعملا أفحوصة وينسجاها نسجًا متداخلًا
وفي الموضع الذي قد رضياه واتخذاه واصطنعاه
بقدر جثمان الحمامة ثم أشخصا لتلك الأفحوصة
حروفًا غير مرتفعة لتحوط البيض وتمنعه من التدحرج

ولتلزمه كنفي الجؤجؤ ويكون رفدًا لصاحب الحضن وسندًا
للبيض ثم يتعاوران ذلك المكان ويتعاقبان ذلك القرموص
وتلك الأفحوصة يسخنانها ويدفيانها ويطيبانها وينفيان
عنها طباعها الأول ويحدثان لها طبيعة أخرى مشتقة
من طباعهما ومستخرجة من رائحة أبدانهما وقواهما الفاصلة صح
منهما لكي تقع البيضة إذا وقعت في موضع أشبه المواضع
طباعًا بأرحام الحمام مع الحضانة والوثارة كي لا تنكسر
البيضة بيبس الموضع وكي لا ينكر طباعها طباع المكان
وليكون على مقدار من البرد والسخونة والرخاوة والصلابة
ثم إذا ضربها المخاض وطرقت ببيضتها بادرت إلى الموضع
الذي قد أعدته وتحاملت إلى المكان الذي قد اتخذته
وصنعته إلا أن يفزعها رعد قاصف فتلقيها بحيث رمت بها
دون موضعها الذي اختارته والرعد ربما مرق عنده
وفسد ما فيه كالمرأة التي تسقط من الفزع فإذا وضعت
البيض في ذلك المكان فلا يزالان يتعاقبان الحضن حتى إذا

بلغ ما في البيض مداه واستهتت ايامه انصدع القيض عن الفرخ
وايا ما علي ذلك ويعلمان عند ذلك ان الفرخين لا تتسع حلوقهما
وحواصلهما للغذاء فلا يكون لهما هم عند ذلك الا ان ينفخا
في حلقه الريح لتتسع الحوصلة بعد التحامها ثم تتفتق
بعد ارتتاقها ثم يعلمان ان الفرخ وان اتسعت حوصلته
شيئا انه لا يحتمل في اول اغتذائه ان يزق بالطعم فيزق
عند ذلك باللعاب المختلط بقواهما وقوى الطعم وهم يسمون
ذلك اللعاب اللباء ثم يعلمان ان طبع حوصلته يرق عن
استمراء الغذاء وان الحوصلة تحتاج الي دبغ وتقوية وتحتاج
الي ان يكون لها بعض المتانة فياكلان من شورج اصول
الحيطان وهو شي بين الملح الخالص وبين التراب الملح فيزقانه
به حتي اذا علما انه قد اندبغ واشتد زقاه بالحب الذي
قد غب في حواصلهما ثم زقاه بعد ذلك الحب الذي هو
اطرا واقوى فلا يزالان يزقانه بالحب والماء علي قدر قوته
وهو يطلب ذلك منهما حتي اذا علما انه قد اطاق اللقط

منعاه بعض المنع ليحتاج الي اللقط فيتعوده حتي اذا علما
ان اداته قد تمت وان اسبابه قد اجتمعت وانهما ان فطماه
فطما مقطوعا مبتا قوي علي اللقط وبلغ لنفسه منتهى حاجته
ضرباه اذا سالهما الكفاية ونفياه متي رجع اليهما ثم
تنزع عنهما تلك الرحمة العجيبة منهما وينسيان ذلك
العطف المتمكن ويذهلان عن تلك الاثرة له والكد عليه
ثم يبتديان العمل ابتداء علي ذلك النظام وعلي تلك المقدمات
وما اعجب حالات الطعم الذي يصير في اجواف الحيوان
وكيف يتصرف به الحالات في اجناسه في الوجوه فمنه
ما يكون مثل زق الحمام لفرخه والزق في معنى القيء او التقيو
وليس بهما وجرة البعير والشاة والبقرة في معنى ذلك وليس
به والبعير يريد ان يعود في طحنه الاول واستقصاء
طعمه وربما كانت الجرة رجيعا والرجيع ان يعود
علي ما قد اعاد عليه مرة حتي ينزعه من جوفه ويقلبه عن
جهته والحمام يخرجه من حوصلته ومن مستكنه

وقراره وموضع حاجته واستمرائه بالأثرة والبر الى حوصلة ولده
فذ ملك ذلك وطابت نفسه به ولم تتقذر من صنيعه ولم تخبث ولم
تتغير شهوته ولعل لذته في إخراجه تكون كلذته في إدخاله وإنما
اللذة في مثل هذا بالمجاري كيفما تعتري مجرى النطفة فهذا
شأن قلب الحمام في جوفه وإخراجه بعد إدخاله والتمساح
يخرجه على أنه رجيعه ونجوه الذي لا مخرج له ولا فرج له
بسواه وقد يعتري ذلك الإنسان بما يعرض من الداء فلا
يعرض الا الأكل والقيء ولا يعرف النجو الا الحبى
على بعض الشدة وليس ما عرض بسبب آفة كالذي يجري
على أصل تركيب الطبيعة والسنور والكلب على خلاف
ذلك كله لأنهما يخرجانه بعارض يعرض لهما من خبث
النفس والفساد ومن التشويه والانتقاص ثم يعودان مع
ذلك فيه من ساعتهما مشتهيين له حريصين عليه والانسان
إن دعا ذلك لم يكن شيء أبغض إليه منه وربما استقاء
وتكلف ذلك لبعض الأمر وليس التكلف في هذا الباب إلا له

ولذوات الكروش كلها تقصع بالجرة فإذا أجادت مضغه
أعادته والجرة هي الفرث وأشد من ذلك أن تكون رجيعا
فإن تجيد مضغها وإعادتها إلى أماكنها إلا أن ذلك مما لا
يجوز أفواهها وليس عند أحد من ذلك قليل ولا كثير
بوجه من الوجوه وقد يعتري سباع الطير شبيه بالقيء
وهو الذي يسمونه الزرق وبعض السمك يقيء قيئا ذريعا
كالبال فإنه ربما دسع الدسعة فتلقى بعض المراكب
فيلقون من ذلك شدة والناقة الضجور ربما دسعت بجرتها
في وجه الذي يرحلها أو يعالجها فيلقى من ذلك الأذى
ومعلوم أنها تفعل ذلك على عمد فلذوات الأفواه
في ذلك مذهب ولذوات الكروش من الظلف والخف في ذلك
مذهب ولذوات الأنياب في ذلك مذهب وللسمك والتمساح
الذي يشبه السمك في ذلك مذهب ويزعمون أن جوف
التمساح هو الأمعاء التي فيه وانه في صورة الجراب
مفتوح الفم مسدود الدبر ولم أحقق ذلك وما أكثر من

يعرف إلا كفه ثم رجع بنا القول في الحمام بعد أن استغنى ولده
عنه وبعد أن نزعت الرحمة منه وذلك أنه يبتدئ الذكر
الدعاء والطرد ويبتدئ الأنثى بالتأني والاستدعاء ثم تزيف
وتتشكل ثم تمكن وتمنع وتجيب وتصد بوجهها ثم يتعاشقا
ويتطاوعان ويحدث لهما من التغزل والتقتيل ومن السوف
والقبل ومن المص والرشف ومن التنفج والتنفخ ومن الخيلاء
والكبرياء ومن إعطاء التقبيل حقه ومن إدخال الفم في جوف
الفم وذلك من التطاعم وهي المطاعمة وقال الشاعر
لم أعطها بيدي إذ بت أرشفها / إلا تطاول غصن الجيد بالجيد
كما تطاعم في خضراء ناعمة / مطوقان أصاخا بعد تغريد
هذا مع إرسالها جناحيها وكفيها على الأرض وهو مع تدرعها
وتبعلها ومع تصاوله وتطاوله ومع تنفجه وتنفخه مع ما
يعتريه من الحكة والتفلي والتنفش حتى تراه وقد ركبه
فيه بشكله ثم الذي ترى من كسحه بذنبه وارتفاعه بصدره
ومن ضربه بجناحيه ومن فرحه ومرحه بعد قمطه والفراغ

من شهوته ثم يعتريه ذلك في الوقت الذي يفتر فيه أنكح الناس
وتلك الخصلة يفوق بها جميع الحيوان لأن الإنسان الذي هو
أكثر الخلق في قوة الشهوة وفي دوامها في جميع السنة وأكثر
الناس في التصنع والتغزل والتشكل والتقتيل أفتر ما يكون
إذا فرغ وعندها يركبه الفتور ويحب فراق الزوج إلى أن
يعود نشاطه وترجع إليه قوته والحمام أنشط ما يكون
وأمرح وأقوى وأجذل إثر ما يكون الإنسان أفتر هذا
وفي الإنسان ضربان من القوى أحدهما فضل الشهوة والآخر
دوام الشهوة في جميع الدهر والآخر قوة التصنع والتظرف
وأنت إذا جمعت خصاله كلها كانت دون قوة الحمام عند
فراغه من حاجته وهذه فضيلة لا تنكر ومزية لا تجحد
وبعد فإن الناس لم يجدوا مثل نشاط الحمام في وقت فترة
الإنسان إلا ما وصفوه في البغال فإن البغال الخمل
أثقالها عشية فتنشر نفقته بوجهها وسواد ليلتها
وصدر نهارها غدها حتى إذا حط عن جميع أصناف الدواب

أنثاها لم يكن لشيء منها همة ولا لمن ركبها من الناس إلا
المراغة والماء والعلف إلا البغال فإنها في وقت إعياء جميع
الدواب وشدة كلالها وشغلها بأنفسها ما ترى بها لعبها
عمل الأذن لي أيورها وتسيط وتضرب بها بطونها وتخطها
وترفعها وفي ذلك الوقت لو رأى المكاري امرأة حسناء لما
انتشر ولما همّ بها ولو كان منعظا ثم اعتراه بعض ذلك
الإعياء لذهب الإنعاظ وهذه خصلة تخالف فيها البغال
جميع الحيوان وتزعم العوام أنها تلتمس بذلك الراحة وتداوي
به فليس العجب من أن كان ذلك حقا إلا في إمكان ذلك لها
في ذلك الوقت وذلك لا يكون إلا عن شهوة وشبه آخر
وشكل من هذا وذلك الذي يوجد عند الأتراك عند
بلوغ المنزل وسير الليل كله وبعض النهار فإن الترك
في ذلك الوقت ليس لهم هم إلا أن يمددوا ويبردوا دوابهم
والتركي في ذلك الوقت إذا عاين ظبيا أو بعض الصيد
ابتدأ الركض بمثل نشاطه قبل أن يسير ذلك السير

وذلك وقت نهم الخارجي والخصي أنفسهما فأما الملكوران
بالصبر على ظهر الدابة ولبن في الأرض بهيمة تقطع ولدها
من اللبن دفعة واحدة بل تجد الظبية والبقرة والأتان
أو الناقة إذا ظنت أن ولدها قد أطاق الأكل منعته
بعض المنع ثم لا تزال تزيد المنع وتزيده تدريجا حتى
إذا علمت أن به غنى عنها إذ هي فطمته فطاما لا رجعة
فيه منعته كل المنع والعرب تسمي هذا التدبير من
البهائم التعفير ولذلك قال لبيد

لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب لا يمن طعامها

وعلى مثل هذه السيرة والعادة تكون عمل الحمام في فراخه
ومن عجيب أمر الحمام أنه أيام يقلب بيضه حتى يصير الذي
كان منه يلي الأرض يلي بدن الحمام من بطنه وباطن
جناحه حتى يعطي جميع البيضة نصيبها من الحضن
ومن مس الأرض لعلمه أن خلاف ذلك التمل يفسده
وخصلة أخرى محمودة في الحمام وذلك أن البغل المتولد

من بين الحمار والرمكة لا يبقى له نسل والراعبي المتولد فيما
بين الحمام والورشان يكثر نسله ويطول عمره وله
والبخت ان ضرب بعضها في بعض خرج الولد معقوص
الخلق لا خير فيه والحمام كيف ما أدرته وكيف ما زاو
بين متفقها ومختلفها يكون الولد تام الخلق مأمول
الخير فمن نتاج الحمام اذا كان مركبا مشتركا الراعبي
والورداني وعلى ان للورداني غرابة لون وظرافة
قد وللراعبي فضيلة في عظم البدن والفراخ وله من
الهدير والقرقرة ما ليس لأبويه حتى صار ذلك سببا
للزيادة في ثمنه وعلة في الحرص على اتخاذه والغنم
على قسمين ضان ومعز والبقر على قسمين احدهما الجواميس
الا ما كان من بقر الوحش والظباء فاذا اختلف لم
يكن بينهما تسافد ولا تلاقح فهذه فضيلة الحمام
في جهة الانسال والالقاح وانتساخ الأرحام
لاصناف القبول وعلى ان بين اصناف الحمام

من الورشان

من الورشانين والقماري والفواخت تسافدا وتلاقحا ومما أشبه
فيه الحمام الناس ان ساعات الحضن على البيض أكثرها على
الانثى وانما يحضن الذكر في صدر النهار يسيرا كالمرأة
التي تكفل الصبي فتقمطه وتمرخه وتعهده بالتمهيد
والتحميل حتى اذا ذهب الحضن وانصرم وقته وصار البيض
فراخا وصار في البيت العيال وما يحتاجون اليه من الطعام
والشراب صار أكثر ساعات الرزق على الذكر كما
كان أكثر ساعات الحضن على الانثى ومما يشبه فيه الحمام
الناس ما قال مثنى بن زهير وهو امام الناس في البصرة بالحمام
وكان يجيد الفراسة حاذقا بالعلاج عارفا بتدبير
الخارجي اذا ظهرت فيه مخيلة الخير واسم الخارجي عندهم
المجهول وعارفا بتدبير العريق المنسوب اذا ظهرت فيه علامات
الفسولة وسوء الهداية وقد يكون ان تخلف ابن قرشيين
وينجب ابن خوزي من نبطية وانما فضلنا نتاج العلية
على نتاج السفلة لان النجابة فيهم أكثر والسقوط في

أولاد السفلة أعم فليس بعجب أن تكون السفلة لا تلد إلا السفلة
والعلية لا تلد إلا العلية وقد يلد المجنون العاقل والسخي
البخيل والجميل القبيح وقد زعم الأصمعي أن رجلا من العرب
قال لصاحب له إذا تزوجت امرأة فانظر إلى أخوالها
وأعمامها وإخوتها فإنها لا تكاد تخطئك بواحد منهم فإن كان
هذا الموصي المعلم جعل ذلك حكما عاما فقد أسرف في
القول وإن كان إنما ذهب إلى التخويف والترهيب كي يحتاط
لنفسه ولأن التحرز أكثر نجابة فقد أحسن قال المثنى
بن زهير لم أر شيئا قط في رجل وامرأة إلا وقد رأيت
مثله في الذكر والأنثى من الحمام رأيت حمامة لا تريد
إلا ذكرها كالمرأة التي لا تريد إلا زوجها أو سيدها
ورأيت حمامة لا تمنع شيئا من الذكور ورأيت امرأة لا
تمنع يد لامس ورأيت حمامة لا تزيف إلا بعد طرد شديد
وشدة طلب ورأيتها تزيف لأول طالب يريدها ساعة يقصد
ورأيت حمامة لها زوج وهي تمكن ذكرا آخر ما تعدوه

ورأيت

ورأيت مثل ذلك في النساء ورأيتها تزيف لغير ذكرها وذكرها
يراها ورأيتها لا تفعل ذلك إلا وذكرها يطير أو يحضن
ثم رأيت حمامة تقمط الحمام الذكر ورأيت حمامة تقمط
الحمامة ورأيت الحمام الذكر يقمط الحمام الذكر
ورأيت أنثى كانت لا تقمط إلا الإناث قال ورأيت
تقمط الإناث فقط ولا تدع أنثى تقمطها قال ورأيت
ذكرا يقمط الذكورة وتقمطه ورأيت ذكرا يقمطها
ولا يدعها تقمطه ورأيت أنثى تزيف للذكورة ولا تدع
شيئا منها يقمطها ورأيت هذه الأصناف كلها في النساء
من المذكرات والمؤنثات وفي الرجال الحلقيين واللوطيين
ومن الرجال من لا يريد إلا النساء ومن النساء من لا يريد إلا
الرجال أما أنه استعث علي خصلة فوالله لقد رأيتها
لأنثى كما رأيت من النساء من تزني أبدا وتساحق أبدا
ولا تتزوج ومن الرجال من يلوط أبدا ويزني أبدا ولا
يتزوج فرأيت حماما ذكرا يقمط ما لقي ولا يزاوج

ورأيت حمامة تمكن كل حمام أرادها من ذكر وأنثى وتقمط
الذكورة والإناث ولا تزاوج ورأيتها تزاوج ولا تبيض
وتبيض فيفسد بيضها كالمرأة تتزوج وهي عاقر وكالمرأة
تلد وتكون خرقاء ورهاء أو يعرض لها العقوق والغلظة على
الأولاد كما يعتري ذلك العقاب وأما أنا فقد رأيت الجفاء
بالأولاد شائعا في اللواتي حملن من الحرام ولربما ألقت من
زوجها ويكون عطفها وتحننها كتحنن العفيفات الستيرات
فما هي الا أن تزني أو تقحب فكأن الله لم يضرب بينها وبين
ذلك الولد بشبكة رحم وكأنها لم تلده وقال مثنى ورأيت
ذكرا له أنثيان بأعيانهما فهو يحضن مع هذه ومع تلك
ويزق مع هذه ومع تلك ورأيت أنثى تبيض بيضة ورأيت أنثى
في أكثر حالاتها تبيض ثلاث بيضات وزعم أنه انما جزم بذلك
فيها ولم يظن بالذكر لأنها قد كانت قبل ذلك عند ذكر
آخر فكذلك كانت تبيض ورأيت أنا حمامة في المنزل لم
يعرض لها ذكر الا اشتد نحوه بحدة ونزق وتسرع

حتى تنفر ان صادفت منه حتى يصد عنها كالهارب منها وكان
زوجها جميلا في العين رائعا وكان لهما في المنزل بنون
وبنو بنين وبنات وبنات بنات وكان في العين كأنه أشب
من جميعهن ولقد بلغ من حظوته الى أن ما رأيته أراد واحدة
من عرض تلك الإناث فامتنعت عليه وقد كن يتشعرن من
غيره فبينا أنا يوما جالس حيث أراهن اذ رأيت تلك الأنثى
وقد زافت لبعض بنيها فقلت لخادم لي ما الذي غيرها عن
ذلك الخلق الكريم قال إن خليلها زوجها من القفا طول فذهب
دهرا منذ شهر قلت فهذا عذر وقال مثنى وقد رأيت
الحمامة تزاوج هذا الحمام ثم تتحول عنه الى آخر ورأيت
ذكرا فعل ذلك في الإناث ورأيت الذكر كثير النسل
قويا على القمط ثم يصفي كما يصفي الرجل اذا أكثر من
الجماع ثم عد مثنى بن زهير أبوابا غير ما حفظت مما يصاب
مثله في الناس وزعموا أن مثنى كان ينظر الى العاتق أو
المحلف فيظن أنه يجيء من الغاية فلا يكاد ظنه يخطئ

قمط الطائر انثاه يقمطها اي سفدها صحاح

وكان اذا اظهر ابتياع حمام اغلوه عليه وقالوا لم يطلبه الا
وقد راى فيه علامة النجابة من الغاية فكان يدس في ذلك فيفطنوا
له ويحفظوا منه وربما اشترى نصفه او ثلثه فلا يقصر عند
الرجال من الغاية وكان له خصي يجري مجراه فكانا اذا
تناظرا ابن شاذ طالبوا لم يخلف فراستهما قال والحمام يبيض
عشرة اشهر من السنة فان صانوه وحفظوه واقاموا له الكفاية
واحسنوا تعهده باض في جميع السنة قال والدجاجة تبيض
كل السنة ما خلا شهرين ومن الدجاج عظيم الجثة يبيض
بيضا كثيرا وقلما يحضن ومن الدجاج ما يبيض ستين بيضة
واكثر الدجاج العظيم الجثة يبيض اكثر من الصغير الجثة
قال فاما الدجاج الذي ينسب الى ادريانوس الملك فهو طويل
البدن يبيض في كل يوم وهي صعبة الخلق وتقتل فراريجها
ومن الدجاج الذي يربى في المنازل ما يبيض مرتين في اليوم
ومن الدجاج ما اذا باض بيضا كثيرا مات سريعا لذلك العرض
قال والخطاف يبيض مرتين في السنة وتبني بيتها في اوثق مكان

من خصي والجمع خصيان

واعلاه فاما الحمام والفواخت والاطرغلة والحمام البري
فانها تبيض مرتين في السنة والحمام الاهلي يبيض عشر مرات
واما القبج والدراج فهما يبيضان بين العشب ولا سيما فيما
طال منه والتوى قال واذا باض الطير بيضا لم تخرج البيضة
من جهة الحديد واللطيف بل يكون الذي يبدأ بالخروج الجانب
الاعظم وكان الطرف يسترخي الى ان الراس المحدد هو الذي
يخرج اولا قال وما كان من البيض مستطيلا محدد
الاطراف فهو للاناث وما كان مستديرا عريض الاطراف
فهو للذكورة قال والبيضة عند خروجها لينة القشر
غير جاسية ولا يابسة قال والبيض الذي يتولد من
الريح والتراب اصغر والطف وهو في الطيب دون الاخر
ويكون بيض الريح من الدجاج والقبج والحمام والطاووس
والاوز قال وحضن الطير وجثومه على البيض صلاح
لبدن الطائر كما يكون صلاحا لبدن البيض وكذلك
الحضن على الفراخ والفراريج والا فربما هلك الطائر

عن ذلك السبب قال وزعم ناس ان بيض الريح انما كان عن سفاد
متقادم وذلك خطأ من وجهين اما احدهما فان ذلك قد عرف
من فراريج لم يرين ديكا قط والوجه الاخر ان بيض الريح
لم يكن منه فرخ قط الا ان يسفد الدجاجة ديك بعد ان
يتم ايضا خلق البيض قال وبيض الصيف المحضون اسرع
خروجا منه في الشتاء ولذلك تحضن الدجاجة في الصيف
ثماني عشرة ليلة قال وربما عرض غيم في الهواء ورعد في
وقت حضن الطائر فيفسد البيض على حال فساده
في الصيف اكثر والموت فيها في ذلك الزمان اعم واكثر ما
يكون فساد البيض في الجنائب وكان ابن الجهم لا يطلب
من نسائه ولدا الا والريح شمال وهذا عندي تعرض للبلاء
وتحكك بالشر واستدعاء للعقوبة قال وبعضهم يسمي بيض
الريح البيض الجنوبي لان اصناف الطير تقبل الريح في اجوا
وربما افرخ بيض الريح بسفاد كان ولكن يكون لونه متغيرا
وان سفد الانثى طائر من غير شكلها غير خلق ذلك المخلوق

الذي

الذي كان من الذكر المتقدم وهو في الابتداء اعم ويقولون
ان البيض يكون من اربعة اشياء فمنه ما يكون من التراب
ومنه ما يكون من السفاد ومنه ما يكون من نسيم ريح اذا
وصل الى ارحامها في بعض الزمان ومنه شيء يعتري الحجل
وما شاكله في الطبيعة فان الانثى ربما كانت على سفالة
الريح التي تهب من شق الذكر في بعض الزمان فتحتشي من ذلك
بيضا ولم ارهم يشكون ان النخلة المطلعة تكون بقرب
الفحال وتحت ريحه فتلقح بتلك الرائحة وتكتفي بذلك
وبيض اناث الطير اصغر وكذلك اولاد النسا
الى ان تتسع الارحام وتنتفخ الجنوب ويكون هذا في
الحمام الفتي صبيلا فاذا زق مرارا فتق الزق جلد غبغبه
وحوصلته فخرج الصوت اغلظ واجهر وهم لا يثقون
بحيوة البكر من الناس كما يثقون بحيوة الثني ويرون
ان طبيعة الشباب والاشر لا يعطيانه شيئا الا
اخذه تضايق مكانه من الرحم ويحبون ان تبكر بجارية

واطرد ذلك لما كان لسنن خوفهم على الذكور في الجملة انهم
لا يتيمنون بالبكر الذكر فان كان البكر ابن بكر تشاءموا
به فان كان ابن بكر بكر فانه في الشؤم مثل قيس بن زهير
ومثل البسوس فان قيسا كان ازرق وبكرا ابن بكر بكر
ولا احفظ شان البسوس حفظا احزم عليه قال
واما الحمام فانه اذا انمط تنفش وتكبر ونفض ذنبه
وضرب بجناحيه واما الاوز فانه اذا سفد اكثر
من السباحة في الماء واعتراه في الماء المرح مثل ما
يعتري الحمام في الهواء قال وبيض الدجاج يتم
خلقه في عشرة ايام واكثر شيئا واما بيض الحمام
ففي اقل من ذلك والحمامة ربما احتبس البيض في جوفها
بعد الوقت لامور تعرض لها اما لامر عرض لعشها وللجو
واما لنتف ريشها واما للوجع من اوجاعها واما لصوت
رعد فان الرعد اذا اشتد لم ينقطا يرى على الارض واقعا
الاعداء من الفزع وان يطير رمى بنفسه الى الارض قال

علقمة بن عبدة
رغا فيهم سقب السماء فداحض بشكته لم يستلب وسليب
كانهم صابت عليهم سحابة صواعقها لطيرهن دبيب
وليس التقبيل الا للحمام والانسان ولا يدع ذلك ذكر
الحمام الا بعد الهرم وكان في النظر اذا احوج ما كان
الى ذلك التهييج بعد الكبر والضعف ويزعم العوام
ان لسان الغربان هو قطاعها بالمناقير وان الفاصحا
انما يكون من ذلك الوجه ولم ار العلماء يعرفون هذا
قال وان اناث الحمام اذا تسافدت ايضا قبل بعضهن
بعضا وتزعم انها تبيض عن ذلك ولكن لا يكون لذلك البيض
فراخ وانه في سبيل بيض الريح قال وبيض الريح خلق
الفراخ اذا مضت ثلثة ايام بلياليها وذلك في شباب
الدجاج فاما في المسان منها ففي اكثر من ذلك الوقت
توجد الصفرة من الناحية العليا من البيضة عند
الطرف الحاد وحيث يكون ذلك اول نقرها ما للقلب يستبين

في بياض البيضة مثل نقطة من دم وهي تختلج وتتحرك والفرخ
انما يخلق من البياض ويغتذي الصفرة ويتم خلقه لعشرة
ايام والراس يكون وحده اكبر من ساير جسده قال
ومن الدجاج ما يبيض بيضا له صفرتان في بعض الاحايين
خبرني بذلك كم شيت من ثقات اصحابنا وقال
صاحب المنطق وقد باضت دجاجة فيما مضى ثماني عشرة
بيضة لكل بيضة محان ثم حضنت وسخنت فخرج
من كل بيضة فرخان ما خلا الذي كان فاسدا
من الاصل وقد يخرج من البيضة فرخان ويكون احدهما
اعظم جثة وكذلك الحمام وما اقل ما يتعاد الحمام
ان يكون احد الفرخين ذكرا والاخر انثى قال وربما
باضت الحمامة واشباهها من الفواخت ثلث بيضات
فاما الاطرغلات والفواخت فانها تبيض بيضتين
وربما باضت ثلث بيضات ولكن لا يخرج منها اكثر
من فرخين وربما كان واحدا فقط قال وبعض الطير

لا يبيض

لا يبيض الا بعد ما مر الحول كملا والحمامة في اكثر امرها يكون
احد فرخيها ذكرا والاخر انثى وهي تبيض اولا البيضة
التي فيها الذكر ثم تقيم يوما وليلة ثم تبيض الاخرى وتحضن
ما بين السبعة عشر يوما الى العشرين يوما على قدر اختلاف
طباع الزمان والذي يعرض لها من العلل والحمامة ابر بالبيض
والحمام ابر بالفراخ قال واما جميع اجناس الطير
مما ياكل اللحم فلم يظهر لنا انه يبيض ويفرخ اكثر من مرة
واحدة ما خلا الخطاف فانه يبيض مرتين والعقاب يبيض
ثلث مرات [بيضات] فتخرج لها فراخ ثم اختلفوا فقال بعضهم لانها
لا تحضن الا بيضتين وقال بعضهم قد يخرج لها ثلثة ولكنها
ترمي بواحد استثقالا للتكسب على ثلثة وقال اخرون
ليس ذلك لما يعتريها من الضعف عن الصيد كما يعتري النفسا
من الضعف والوهن وقال اخرون العقاب طاير سيي الخلق
ردي التربية وليس يقوى شي من الحيوان على تربية الاولاد
الا بالصبر وقال اخرون لا ولكنها شديدة النهم والشره

وإذا لم تكن أم الفراخ ذات أثرة لها ضاعت وكذلك
قالوا في العقعق عند إضاعتها لفراخها حتى قالوا أحمق من
عقعق كما قالوا أحذر من عقعق قالوا فأما الفرخ الذي
تخرجه العقاب فإن المكلفة وهي الطائر التي يقال لها
قبنا تقبله وتربيه والعقاب تحضن ثلثين يوما وكذلك كل
طائر عظيم الجثة مثل الإوز وأشباه ذلك فأما الوسط
فهو يحضن عشرين يوما مثل الحداة وأصناف البزاة والحداة
تبيض بيضتين وربما باضت ثلث بيضات وخرجت منهن ثلثة
أفرخ قال وأما العقبان السود الألوان فهي تبيض
وتحضن وجميع الطير المعقف المخاليب تطرد فراخها عن
أعشاشها عند قوتها على الطيران وكذلك سائر أصناف
الطير فإنها تطرد الفراخ ثم لا تعرفها ما خلا الغداف
فإنها لا تزال لولدها قابلة وحاله متفقدة وزعم غيره أن
العقبان والبزاة التامة والجهاردانك واليميتات
والزرافقة لها كلها عقبان فأما الشواهين والصقور

والبواشق فإنها أجناس أخر قال وفراخ البزاة سمينة
طيبة جدا قال فأما الإوز فهي التي تحضن دون الذكر
وأما الغربان فعلى الإناث الحضن والذكورة تأتي الإناث
بالطعم وأما الحجل فإن الزوج منها يهيئان للبيض عشين
ويبيض فيقعدون عليهما فيحضن أحدهما الذكر والآخر
الأنثى وكذلك هما في التربية وكل واحد منهما يعيش
خمسة عشر سنة ولا تلقح الأنثى بالبيض ولا تبلغ الذكر
إلا بعد ثلث سنين وقال وأما الطاووس فأول
ما تبيض ثماني بيضات وتبيض أيضا بيض الريح والطاووس
يلقي ريشه في زمن الخريف إذا بدا أول الشجر يلقي
ورقه وإذا بدا الشجر يكتسي ورقا بدأ الطاووس يكتسي
ريشا قال ومن كان من الطير الثقيل الجثة فليس
يهيئ لبيضه عشا من أجل أنه لا يجيد الطيران ويثقل
عليه النهوض ولا يحلق مثل الدراج والقبج وإنما يبيض
على التراب وفراخ هذه الأجناس كفراخ الدجاج

وكذلك فراريج البط الصيني فانهن كلها تخرج من البيض كيسة
كاسية تلقط من ساعتها وتكفي نفسها قال واذا
دنا الصياد من عش القبجة ولها فراخ درجت من بين يديه
مراغيًا غير مثبتة واطمعته في نفسها ليتبعها فتمر الفراخ
ولئلا تغلط في رجوعها الى موضع عشها فانه ليس
معها من الهداية ما مع امها وعلى ان القبجة سيئة الهدا
وكذلك كل طاير يعجل له الكيس والكسوة والكسب
في صغرها وهذا انما اعتراها بقرابة ما بينها وبين الديك
قال اذا امعن الصياد في طلبها وقد درجت الفراخ من
موضعها طارت وقد تخبت الى حيث لا تهتدي الرجوع
الى موضع عشها فاذا سقطت قريبًا دعتها باصوات لها
حتى تجتمع اليها قال واناث القبج تبيض خمس عشرة
بيضة الى ست عشرة بيضة قال والقبج طير منكر وهي تفر
ببيضها من الذكر لان الانثى تشتغل بالحضن عن طاعة الذكر
في طلب السفاد والقبج الذكر يوصف بالقوة على السفاد

قال م
كما يوصف الديك والحجل والعصفور فاذا اشتغلت عنه بالحضن
طلب مواضع بيضها حتى يفسدها فلذلك توغل الانثى عشها
في مخابي اذا احست بوقت البيض قال واذا قاتل بعض
ذكورة القبج بعضًا فالمغلوب منها مسفود والغالب
سافد وهذا العرض يعرض للديكة ولذكورة الدراريج قال
واذا دخل بين الديكة ديك غريب فما اكثر ما تجتمع عليه
حتى تسفده وسفاد ذكورة هذه الاجناس انما يعرض لها
لهذه الاسباب فاما ذكورة الحمير والخنازير والحمام
عند فان بعض ذكورتها تثب على بعض من جهة الشهوة وكان
يعقوب بن الصباح الاشعثي حدثنا ان فحلان احدهما يكوم
الاخر في اداة من غير اكراه ومن غير ان يكون المسفود
يريد من السافد مثل ما يريد منه السافد وهذا الباب شايع
في كثير من الاجناس الا انه في هذه الاجناس اوجد ثم رجع
بنا القول الى ذكر الحمام وصفه من غير ان نشتاب بذكر
غيره زعم صاحب المنطق ان الزراقة عشرة اجناس

فمنها ما يضرب الحمامة والحمامة جاثمة ومنها ما لا يضرب الحمام
إلا وهو يطير ومنها ما لا يضرب الحمام في حال طيرانه ولا في
حال جثومه ولا يعرض له إلا إذ يراه في بعض الأغصان أو على بعض
الأنشاز والأشجار بعدد أجناس صيدها ثم ذكر أن الحمام
لا يخفى عليه في أول ما يرى البازي في الهواء أي البزاة هو
وأي نوع صيده فيخالف ذلك لمعرفة الحمام بذلك من البازي
أشكالا أو لذلك أن الحمام في أول نهوضه يفصل بين
النسر والعقاب وبين الرخمة والبازي وبين الغراب والصقر
فهو يرى الكركي والطبرزين فلا يستوحش منهما
ويرى الزرق فيتضاءل لذلك أي الشاهين فعند رأي السم
الناقع والنجعة ترى الفيل والزندبيل والجاموس
والبعير ولا يهدها ذلك وترى السبع الذي لم تره قبل
ذلك فتخافه وعضو من أعضاء تلك البهائم أعظم وهي
أشنع وأهول بل ترى الأسد فتخافه وكذلك الفهد
وكذلك النمر فإذا رأت الذئب وحده اعتراها منه وحشة

مثل ما اعتراها من تلك الأجناس مجموعة في مكان واحد
وليس ذلك عن تجربة ولا لأن منظره أشنع وأعظم وليس
في ذلك علة إلا ما طبعت عليه من تمييز الحيوان عندها
فليس يستنكر أن تفصل الحمامة بين الرخمة والبازي
كما فصلت بين البازي والكركي فلا تذعر إذا
أبصرت مخالبه ومنقار الكركي أشنع وأعظم وأفظع
وأطول فأما طرف منقار الأبغث فما كل سنان وإن
كان مذربا ليبلغه وقد قال صاحب الديك كيف
يكون للحمام من الفطنة والمعرفة مثل ما تذكرون
وقد جاء في الأثر كونوا بلها كالحمام وقال صاحب الديك
تقول العرب أخرق من حمامة ومما يدل على ذلك قول عبيد
بن الأبرص

عيّوا بأمرهم كما عيّت ببيضتها الحمامه
جعلت لها عودين من نشم وآخر من ثمامه

فإن كان عبيد إنما عنى حمامكم هذا الذي تفخرون

بل فقد أكثرهم في ذلك تدبيرها المواضع بيضها واحكامها
لصنعة عشاشها وافاحيصها وان قلتم انما عنى بعض
اجناس الحمام الوحشي والبري فقد اخرجتم بعض الحمام
من جنس التدبير وعيبة لم يخص حماما دون حمام وحدث
اسامة بن زيد قال سمعت بعض اشياخنا منذ زمان
يحدث ان عثمن بن عفان اراد ان يذبح الحمام وقال
لولا انها امة من الامم لامرت بذبحهن ولكن قصوهن
قال فدل بقوله قصوهن على انها انما تذبح لسوء صنعة
من يتخذهن ويلعب بهن من الفتيان والاحداث والشطار
واصحاب المراهنة والقمار والذين يتشرفون على
حرم الجيران ويختدعون بفراخ الحمام اولاد الناس
ويرمون بالجلاهق وما اكثر من فقا عينا وهشم
انفا وهتم فما وهو لا يدري ما صنع ولا مقدار ما
ركب به القوم ثم تذهب جنايته جبارا ويعود
ذلك الدم مطلولا لا يجد عقلا ولا قودا ولا قصاص

ولا ارش

السابع

ولا ارش وكان صاحبه مجهولا وعلى شبهة بذلك كان
عمر امر بذبح الديكة وامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب
قالوا وفي ما ذكرنا دليل على ان اكل لحوم الكلاب لم يكن
من دينهم ولا من اخلاقهم ولا من دواعي شهواتهم ولولا
ذلك لما جاء الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمر وعثمن بذبح
الديوك والحمام وبقتل الكلاب ولولا ان الامر على ما قلنا
لقالوا اقتلوا الديوك والحمام كما قالوا اقتلوا الكلاب
وفي تفريقهم بينهما دليل على افتراق الحالات عندهم
قال وحدثنا اسامة بن زيد وابرهيم بن ابي يحيى ان عثمن
شكوا اليه الحمام وانه قال من اخذ منهن شيئا فهو له
ونحن قد علمنا ان القضاء اذ كان قد وقع على شكاية الحمام
ان المعنى انما هو في شكاية اصحاب الحمام وليس في الحمام
معنى يدعو الى شكاية قال وحدثنا عمر قال سئل
الحسن عن الحمام الذي يصطاده الناس قال لا تاكله
فانه اموال الناس فجعله مالا ونهى عن اخذه بغير اذن

أهله وكل ما كان مما لا فيه حسن ما بيناه عند جابر فكيف يجوز
لشيء هذه صفته أن يذبح الآن يكون ذلك على طريق العقاب والزجر
لمن أكله لما لا يحل قال وروى عن الزهري عن سعيد بن
المسيب قال نهى عثمان عن ذكر الحمام وعن رمي الجلاهق
فهذا يدل على ما قلنا والناس يقولون آمن من حمام مكة
ومن غزلان مكة وهذا شايع في جميع الألسنة لا يرد ذلك
أحد ممن يعرف الأمثال والشواهد وقال عقيبة الأسدي
لابن الزبير ملحداً صح
ما زلت مذ حج بمكة محرماً في حيث يأمن طاير وحمام
فلتنهضن العيس تنفح بالبرا لحسين عرض مخارم الأعلام
أبني المغيرة مثل آل خويلد يا للرجال لخفة الأحلام
وقال النابغة في الغزلان وأمنها كقول جميع الشعراء في الحمام
لا والذي آمن الغزلان تمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند
ولو أن الظباء ابتليت ممن يتخذها بمثل ما ابتليت به الحمام
ثم ركبوا المسلمين في الغزلان بما ركبوهم به في الحمام لسارد

ق

في ذبح الغزلان كتشبيههم في ذبح الحمام قلنا لو أنه لم يبلغ
من تعظيم الحمام لحرمة البيت الحرام أن أهل مكة يشهدون
عن آخرهم أنهم لم يروا حماماً قط سقط على ظهر الكعبة
إلا من علة عرضت له فإن كانت هذه المعرفة اكتساباً
من الحمام فالحمام فوق جميع الطير وكل ذي أربع وإن كان
هذا إنما كان من طريق الإلهام فليس ما ألهم كما لا يلهم
وقد قال الشاعر في أمن الحمام



لقد علم القبائل أن بيتي تفرع في الذوائب والسنام
وإنا حيث أمن بيتي بمكتها البيوت مع الحمام
وقال كثير عزة إذ عيره ابن بني سهم في أمن الحمام
لعن الله من يسب علياً وحسيناً من سوقة وإمام
أيسب المطيبين جدوداً والكرام الأخوال والأعمام
يأمن الظبي والحمام ولا يأمن آل الرسول عند المقام
عليه السلام
رحمة الله والسلام عليكم كلما قام قائم بسلام
طبتم بيتاً وطاب أهلك أهلاً أهل بيت الرسول والإسلام
صلى الله عليه

وذكر شأن ابن الزبير وابن الحنفية فقال

ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى من الناس يعلم انه غير ظالم
سمي النبي المصطفى وابن عمه وفكاك اغلال ونفاع غارم
أبى فهو لا يشري هدى بضلالة ولا يتقي في الله لومة لائم
ونحن بحمد الله نتلو كتابه حلولا بهذا الخيف خيف المحارم
بحيث الحمام آمنات سواكن وتلقى العدو كالولي المسالم

قال صاحب الحمام اما العرب والاعراب والشعرا فقد اطبقوا على ان الحمامة هي كانت دليل نوح ورايده وهي التي استجعلت عليه الطوق الذي في عنقها وعند ذلك اعطاها الله تلك الحلية ومنحها تلك الزينة بدعاء نوح عليه السلام حين رجعت اليه ومعها من الكرم ما معها وفي رجليها من الطين والحماة ما برجليها فعوضت من ذلك الطين خضاب الرجلين ومن حسن الدلالة والطاعة طوق العنق وفي طوقها يقول الفرزدق

ومن يك خائفا لأذاة شعري فقد أمن الهجا بنو حرام
هم قادوا سفيههم وخافوا قلائد مثل اطواق الحمام

وقال بكر بن النطاح في ذلك

اذا شئت غنتني ببغداد قينة وان شئت غناني الحمام المطوق
لباسي الحسام او ازار معصفر ودرع حديد او قميص مخلق

فذكر الطوق ووصفها بالغنا والاطراب وكذلك قال حميد بن ثور في دمانة الذي يقول

رقود الضحى لا تقرب الجيرة القصى ولا الجيرة الأدنين الا تجشما
وليست من اللاي يكون حديثها امام بيوت الحي ان وانما

ثم قال

وما هاج هذا الشوق الا حمامة دعت ساق حر في حمام ترنما
مطوقة خطبا تصدح كلما دنا الصبح وانزال الربيع فانجما

ثم قال بعد ذكر الطوق

اذا شئت غنتني باجزاع بيشة او النخل من تثليث او بيبنما
عجبت لها انا يكون غناؤها فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما
فلم ار محزونا له مثل صوتها ولا عربيا شاقه صوت اعجما

وقال في ذكر الطوق وان الحمامة نواحة عبد الله بن أبي بكر

الصديق وهو شهيد يوم الطف

لم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير شي تطلق

أعاتك لا أنساك ما هبت الصبا وما ناح قمري الحمام المطوق

وقال جهم بن خلف يذكرها بالنوح والغنا والطوق ودعوة نوح وهو قوله

وقد شاقني نوح قمرية طروب العشي هتوف الضحا

من الورق نواحة باكرت عسيب أشاء بذات الغضا

فغنت عليه بلحن لها يهيج للصب ما قد مضا

مطوقة كسيت زينة بدعوة نوح لها إذ دعا

فلم أر باكية مثلها تبكي ودمعتها لا ترا

أضلت فريخا فطافت به وقد علقته حبال الردا

فلما بدا اليأس منه بكت عليه وماذا يرد البكا

وقد صادها ضرم ملحم حثوث الجناح حثيث النجا

حديد المخالب عاري الوظيف ضار من الزرق فيه قنا

قال صاحب الديك أما قوله

مطوقة

مطوقة كساها الله طوقا ولم يخصص به طير سواها

فكيف لم يخصص بالطوق غير الحمام والدراج أحق بالأطواق والحسن منها أطواقا وهي يذكرونها أعم وعلى أنه لم يصف بالطوق الحمامة التي فاخرتم الديك بها لأن الحمامة ليست بمطوقة وإنما الأطواق لذكورة الوراشين وأشباه الوراشين من نوائح الطير وهواتفها ومغنياتها وكذلك قال الشاعر حيث يقول

أعاتك لا أنساك ما هبت الصبا وما ناح قمري الحمام المطوق

ثم قال الآخر

وقد شاقني نوح قمرية طروب العشي هتوف الضحا

ثم وصفها فقال

مطوقة كسيت زينة بدعوة نوح لها إذ دعا

قال زعمتم أن الحمام والقمري والفواخت والدبسي والشفانين والوراشين حمام كله قلنا إن بعض الناس يزعم أن ذكورة الدراج وذكورة القبج وذكورة الحجل ذوات كلها

فان كان ذلك كذلك فالفخر بالطوق نحن اولى به قال
صاحب الحمام العرب تسمي هذه الاجناس كلها حماما فجمعوها
بالاسم العام وفرقوها بالاسم الخاص وان كان في الاجسام
بعض الاختلاف وفي الجثث بعض الاختلاف وكذلك المناقير
وقد وجدناها تتشابه من طريق الزواج ومن طريق الدعا والغنا
والنوح كذلك هي في القدود وصور الاعناق وقصب الريش
وصيغة الرووس والارجل والسوق والبراثن والاجناس
التي عددتم ليس يجمعها اسم ولا بلد ولا صوت ولا زواج
وليس بين الديكة وبين تلك الذكور نسب الا انها موصوفة
بكثرة السفاد واذ فراخها وفراخها تخرج من بيضها كا
كاسية وانها لا تعلو في الهوا اذا طارت وفراخ البط
الصيني تخرج من بيضها كاسية كاسية والبط طاير
متقل وقد ينبغي ان تجعلوا فرخ البط فروجا والانثى دجاجة
والذكر ديكا ونحن نجد الحمام والورشان تتسافد
وتتلاقح وتجي بينها الراعبي والورداني وتجد الهولجن

والعماري تتسافد وتتلاقح مع ما ذكرنا من التشابه في تلك
الوجوه وهذا كله يدل على ان بعضها من بعض كالبخت والعر ابـ
وتناجهما بينهما وكالبراذين والعتاق وكلها خيل
وتلك كلها ابل وليس بين التدرج والقبج والحجل والدجاج
هذه الامور التي ذكرنا على انا قد وجدنا الاطواق
عامة في ذوات الاوضاح من الحمام لان فيها من الالوان
ولها من الشيات واشكال الوان الريش ما ليس لغيرها
من الطير ولو احتججنا بالغنا دون التلاقح لكان
لنا بذلك مقال لكنا وجدناها تجمع الخصلتين لانا قد
نجد شغف الناس ومن لا يتقزز من الاحداث ومن تشتد
غلمته عند احتلامه وتقلط طرقه وتطول عزبته
كالمعزب من الرعاة (اي بالجماع) فان هذه الطبقة لم يدعوا ناقة
ولا بقرة ولا شاة ولا اتانا ولا رمكة ولا حجرا ولا
كلبة الا وقد وقعوا عليها ولولا ان في نفوس الناس
وشهواتهم ما يدعو الى هذه القاذورة لما وجدت هذا

هذا العمل أشياعنا في هذه الصفة ولو جمعتهم لجمعت أكثر
من أهل بغداد والبصرة ثم لم يبلغ أحد منهم شيئاً من هذه الأجناس
على أن بعض هذه الأجناس يبلغني ذلك بالشهوة المفرطة ولقد
خبّرني من إخواني من لا أتّهم خبره أن مملوكاً لبعض أهل القطيعة
أعني قطيعة الربيع كان يكوم بغلة مولاه وأنها كانت
تتودّد وتتلطّف وأنها في بعض تلك الأحوال تأخرت وهو
موعب فيها ذكره تطلب الزيادة فلم يزل المملوك يتأخر
وتتأخر البغلة حتى أسندته إلى زاوية من زوايا الإصطبل
فضغطته حتى برد ودخل بعض من دخل فإذا هو على
تلك الحال فصاح بها فتأخرت فخرّ العبد ميتاً وأخبرني
صديق لي قال بلغني عن برذون لرزقان المتكلم أنه كان
يدربخ للبغال والحمير والبراذين حتى تكومه فإذا قبلت
يوماً في ذلك الإصطبل فتناولت الجرفة وأنه لأكثر
من ذراع ونصف وأنه لخشن غليظ غير محكوك الرأس
ولا مملّس فدفعته حتى بلغ أقصى العود وامتنع من الدخول

بين الجرفة وحلف أنه ما رآه ناظر ولا تثنى قال أصحاب
الحمام فهذا فرق ما بيننا وبينكم وذكروا ما وصف به الحمام
في الأشعار من حسن الغناء والإطراب والنوح والشجي
قال الحسن بن هاني

إذا تنته الغصون جللني فينان ما في أديمه جوب
تبيت في مأتم حمائمه كما توفي العوائد السلب
يهب شوقي وشوقهن معاً كأنما يستخفنا طرب

وقال الآخر

لقد هتفت في جنح ليل حمامة على فنن وهناً وإني لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً لما سبقتني بالبكاء الحمائم

وقال نصيب

ولو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهاج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وقال أعرابي

عليك سلام الله قاطعة القوى على أن قلبي للفراق كليم

يعرّفه نوح الحمام إذا دعا وإن هبّ من ريح الجنوب نسيم

وقال المجنون أو غيره

ولو لم تهجني الرائحون لهاجني حمائم ورق في الديار وقوع

تجاوبن فاستبكين من كان ذا هوى نوائح ما تجري لهن دموع

وقال الآخر

ألا يا سيالات الرحائل بالضحى عليكن من بين السيال سلام

أرى الوحش آجالا إليكن بالضحى لهن إلى أفيائكن بغام

وإني لمجلوب إلى الشوق كلما ترنم في أفنانكن حمام

وقال عمر بن الوليد

حال من دون أن أصاحبه النأي وصرف النوى وحرب عقام

فتبدلت من مساكن قومي والقصور التي بها الآطام

كل قصر مشيد ذي أواس تتغنى على ذراه الحمام

وقال الآخر

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد لقد هاج لي مسراك جهدا من الجهد

أأن هتفت ورقاء في رونق الضحى على غصن غض النبات من الرند

بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن جليدا وأبديت الذي لم تكن تبدي

وقد زعموا أن المحب إذا دنا يمل وأن النأي يشفي من الوجد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا على ذاك قرب الدار خير من البعد

وقال صاحب الحمام مجاهيل الحمام ومغموره فائته خارجيات ومنسوبات والذي تشتمل عليه دواوين أصحاب الحمام أكثر من كتب النسب التي تضاف إلى الكلبي والشرقي بن القطامي وإلى أبي اليقظان وأبي عبيدة النحوي بل إلى دغفل بن حنظلة وابن لسان

الحرم بن ابي حجار العبدي وابي السطاح اللخمي بل الي النخار
العذري وصبح الطاي بل الي منجوف بن غيلان الضبي والي
سطيح الذيبي بل الي ابن شرية الجرهمي وزيد بن الكيس
النمري والي الكيس النسابة راوية وكل مبرز علامة ووصف
الهذيل المازني المثنى بن زهير وحفظه لانساب الحمام
فقال والله لهو انسب للحمام من سعيد بن المسيب وقتادة
بن دعامة للناس بل هو انسب من جبير بن مطعم بل هو
انسب من ابي بكر الصديق لقد دخلت علي رجل اعرف بالامهات
المنجبات من سحيم بن حفص واعرف بما دخلها من الهجنة
من يونس بن حبيب قال ومما اشبه فيه الحمام الناس في
الصورة والشمايل ورقة الطباع وسرعة القبول والانقلاب
انك اذا كنت صاحب فراسة فمر بك رجال بعضهم كوفي
وبعضهم بصري وبعضهم مدني وبعضهم شامي لم يخف
عليك في الصورة والشمايل والقدود والنغم ايهم بصري
وايهم كوفي وايهم شامي وايهم مدني وكذلك الحمام

لا ترى صاحب حمام يخفى عليه نسب الحمام وجنسها وبلادها
اذا راها وللحمام من الفضيلة والفخر ان الحمام الواحد
يباع بخمسماية دينار ولم يبلغ ذلك باز ولا شاهين ولا
صقر ولا عقاب ولا طاوس ولا تدرج ولا ديك ولا
بعير ولا حمار ولا بغل ولو اردنا ان نحقق الخبر بان
برذونا او فرسا بيع بخمسماية دينار لما قدرنا عليه
الا في حديث السمر وانت اذا اردت ان تتعرف مبلغ
ثمن الحمام الذي جا من الغاية ثم دخلت بغداد او البصرة
وجدت ذلك بلا معاناة وفيه ان الحمام اذا جا من الغاية
بيع الفرخ الذكر من فراخه بعشرين دينارا واكثر
وبيعت الانثى بعشرة دنانير واكثر وبيعت البيضة بخمسة
دنانير واكثر فيقوم الزوج منها في الغلة مقام ضيعة
وحتى ينهض بمؤونة العيال ويقضي الدين ويبنى من غلاته
واثمان رقابه الدور الجياد وتبتاع الحوانيت المغلة
هذا وهي في ذلك حلي عجيب ومنظر انيق ومعتبر

لمن فكر ومن دخل الجو وأي قصورها المبنية بالسامان وكيف
أفذاذ تلك الفلاة وخفة تلك المؤونات ومن شهد أرباب
الحمام وأصحاب الزجل والهدي وما يحملون فيها من الكلف
الغلاظ والمؤن العظام أيام الزجل بحملانها على
ظهور الرجال وقبل ذلك في بطون السفن وكيف تفرد
بالبيوت وكيف تجمع إذا كان الجمع أمثل وكيف تنقل
الإناث عن ذكورتها وكيف تنقل الذكور عن إناثها
إلى غيرها وكيف يخاف عليها الضوى إذا تقاربت
أنسابها وكيف يخاف على أعراقها من دخول الخارجي
فيها وكيف يحتاط في تعرف صحة طرقها ونجلها لأنه لا
يأمن أن تقمط الأنثى ذكر من عرض الحمام فيضرب فيها
النجل بنصيب فيعتريه الهجنة والبيضة في ذلك تنسب
إلى طرقها وهم لا يحوطون أرحام نسائهم كما يحوطون
أرحامها لأن منجبات الحمام ومن شهد أصحاب الحمام
عند زجلها من الغاية والذين يعلمون الحمام كيف يختارون

لصاحب العلامات وكيف يتخيرون الثقة وموضع الصدق
والأمانة والبعد من الكذب والرشوة وكيف يتوخون
ذا التجربة والمعرفة اللطيفة وكيف تسخو أنفسهم بالجعالة
الرفيعة وكيف يختارون لحملها من رجال الأمانة
والجلد والشفقة والبصر وحسن المعرفة ليعلم عند ذلك
صاحب الكلب والديك أنهما لا يجريان في هذه الحلبة
ولا يتعاطيان هذه الفضيلة قال وللحمام من حسن
الاهتداء وجودة الاستدلال وثبات الذكر وقوة
النزاع إلى أربابه والإلف لوطنه ما ليس لشيء وكفاك
اهتداء ونزاعا أن يكون طائر من بهائم الطير يجيء من
رغمة لا بل من العليق أو من خرشنة أو من الصفصاف
لا بل من لؤلؤة ثم الدليل على أنه يستدل بالمعرفة والعقل
والعناية أنه إنما يجيء من الغاية على تدريج وتدريب
وعلى ترتيب وتنزيل والدليل على علم أربابه بأن تلك المقدمات
قد نجعت فيه وعملت في طباعه أنه إذا بلغ الرقة غمر و

به بكرة إلى الدرب وما فوق الدرب من بلاد الروم بل لا يجهلون
ذلك لتغير المكان والمقدمات والترتيبات التي قد عملت فيه
وحذقته وقرنته ولو كان الحمام مما يرسل بالحيل لكان
مما يستدل بالنجوم لأنا رأيناه يلزم بطن الفرات وبطن دجلة
أو من بطون الأودية التي قد مر بها وهو يرى ويبصر ويفهم
انحدار الماء ويعلم بعد طول التجول أن بغداد الرجال إذا هو أشرف
على الفرات أو دجلة أن طريقه وطريق الماء واحد وأنه ينبغي
أن ينحدر معه وما أكثر ما يستدل بالجواد من الطرق
إذا غيبته بطون الأودية فإن لم يدر أمصعد هو أم
منحدر تعرف ذلك بالريح ومواضع قرص الشمس في السماء
وإنما الجناح إلى ذلك كله إذا لم يكن وقع بعد على رسم
يعمل عليه فربما كسر حين يرحل غبنا وشمالا
وجنوبا وشمالا وصبا ودبورا الفراسخ الكثيرة
وفوق الكثيرة وفي الحمام الغمر والمجرب وهم لا يجاوزون
بالأعمار لوجهين أحدهما أن يكون الغمر غير بقا

فصاحبه

فصاحبه يضن به وهو على أن يدربه أدير منه ثم يكلفه بعد
التي الذي له اصطنعه وأحبه وأما أن يكون الغمر مجهولا
فهو لا يتعنى ويشقى نفسه بتوقع الهداية من الأغمار
المجاهيل وأحرى أن المجهول إذا رجع مع الهدي
المعروفات فحمله معها إلى الغاية فجاء سابقا لم يكن
له كبير ثمن حتى يلاحق له أولاد فإن أنجب فمن صار
أبا مذكورا وصار نسبا يرجع إليه زاد ذلك في
ثمنه فأما المجرب غير الغمر فهو الذي قد رفع فوق الورود
والتحصيب لأنه متى لم يقدر على أن ينقض حتى يشرب الماء من
أوساط الأودية والأنهار والغدران ومناقع المياه
ولم يتحصب بطلب بزور البراري وصار وعطش الثمر
مواضع الناس وإذا أنس بالقرى والعمران سقط وإذا
سقط أخذ بالشباك وبالقفاعة وبالقفف وبالدبق
وبالأشباك وبالرمي بالجلاهق وغير ذلك من أسباب الصيد
والحمام طائر ملقى غير موقى وأعداؤه كثيرة وسباع

الطير تطلبه أشد الطلب وهو يرتفع مع الشاهين وهو
للشاهين أخوف والحمام أطير منه ومن جميع سباع الطير
ولكنه يذعر فيجهل باب المخلص وكذلك يعتري الحمار
إذا رأى الأسد والشاة إذا رأت الذيب والفارة إذا
رأت السنور والحمام أشد طيرانا من جميع سباع
الطير إلا في الانقضاض والانكدار فإن تلك تنحط
انحطاط الصخور وفي المقت رامة من سباع الطير
وجعل له من بيان الطير أوكن على عرقه وخبط ممدود
وكلما يعتريها عند ذلك التقصير عما كانت عليه إذا
كانت في غير جماعة ولم تر جماعة طير أكثر
طيرانا إذا كثرن من الحمام فإنهن كلما التففن وضاق
موضعهن كان أشد لطيرانهن وقد ذكر ذلك النابغة في قوله

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام سراع وارد الثمد

يحفه جانبا نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فقد

فحسبوه فألفوه كما زعمت تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد

فكملت مائة فيها حمامتها وأسرعت حسبة في ذلك العدد

قال الأصمعي لما أراد مدح الحاسب وسرعة إصابته
شدد الأمر وضيقه عليه ليكون أحمد له إذا أصاب
فجعله حزر طيرا والطير أخف من غيره ثم جعله
حماما والحمام أسرع من الطير وكثر العدد
لأن الحمام يشتد طيرانه عند المسابقة والمنافسة
وكان يحفه جانبا نيق وتتبعه فأراد أن الحمام إذا
كان في مضيق من الهوا كان أسرع من أن يتسع
عليه الفضا فصاحب الحمام قد كان يدرب ويمرن
وينزل بالرجال الغاية يومئذ واسط فكيف يصنع

اليوم بتعريفه الطوق وتعريفه الورد والخضيب والبغداديون
يختارون للزجال من العامة الاناث والبصريون يختارون
الذكور وحجة البغدادي ان الذكر اذا سافر وبعد عهده
بغط الاناث وتاقت نفسه الى السفاد ورأى انثى في طريقه
وفيحيئه ترك الطلب. ان كان بعد في الجولان او نزل السنن
ان كان وقع على القصد ومال الى الانثى ففي ذلك الفساد
كله وقال البصري الذكر احن الى بيته لمكان انثاه
وهو اشد متنا واقوى بدنا وهو احسن اهتدا الا يجب
الا يدع تقديم الشي الفاضل الى بقعني قد يعرض وقد لا يعرض وسمعت
شدقويه السباحي يقول العبد السالم ابن ابي عامر ذو نحو من
خمسين سنة اجعل كعبة حمامك في صحن دارك فان
الحمام اذا كان متى خرج من بيته الى الجلاة لم يصل الى
معلاته الا جمع النفس والجناحين والنهوض والمكابدة
للصعود اشتد متنه وقوي جناحه ولحمه ومتى اراد
بيته فاحتاج الى ان ينكس وجري منقضا كان اقوى له على

ورود المدن بطون الاودية واقوى له على الارتفاع في الهواء
ان يرد وقد تعلمون ان الباطنيين اشد متنا من الظاهرين
وان النفر لا يصيب الباطني في رجليه لين وذلك الا لانه
يصعد على العلالي فوق الكناديج درجة بعد درجة
وكذلك تردده فلو دربتم الحمام هذا التدريب كان
اصوب ولا يعجبني تدريب العتق وما فوق العتق لان من
الاماكن القريبة لان العاتق كالفتاة العاتق وكالصبي
الغرير فهو لا يعدمه ضعف البدن وقلة المعرفة وسوء
الالف ولا يعجبني ان يتركوا الحمام حتى اذا صار في عدد
المسان واكتهل وقد البطون بعد البطون واخذ ذلك
من قوة شبابه حملتموه على الرجل وعلى التمرين ثم رميتم

به اقصى غاية لا ولكن التدريب مع الشباب وانتهاء
الحدة وكمال القوة من قبل ان تاخذ القوة في النقصان
فانه يلقن بقربه من الحداثة ويعرف بخروجه من حد الحداثة
فانه يبدو به التعليم والتمرين في هذه المنزلة الوسطى

وهم اذا ارادوا أن ينشوا الفراخ أخرجوها وهي جائعة حتى
اذا القي لها الحب أسرعت النزول ولا تخرج والريح
عاصف وتخرج قبل المغرب وانتصاف النهار وحذاقهم
لا يخرجونها مع ذكورة الحمام فان الذكورة تغريها
النشاط والطيران والتباعد ومجاوزة القبيلة فان
طارت الفراخ معها سقطت على دور الناس من رياضتها
شديدة ونحتاج الى معرفة وفراغ وعناية والى صبر
ومطاولة لان الذي يراد منها اذا اجيز اليه بعد هذه
المقدمات كان ايضا من العجب العجيب وخبرني بعض من
أثق به ان يعقوب بن داود قال لبعض من دخل عليه وقد
ذهب عني اسمه ونسبه بعد أن كنت قد عرفته اما ترى
كيف أخطأت ظنوننا واخطأ رأينا حتى عم ذلك ولم نخص فما
كان في جميع من اصطنعنا واخترنا وتوسمنا فيه
الخير وأردناه به واحد يكفينا معرته ومؤونته الا ونحتاج
عنه حتى صرنا لا أفرح الا بهم ولا اعجب الا باختيارهم

قال فقال له الرجل ان الحمام مختار من جهة النسب ومن
جهة الخلقة ثم لا يرضى له أربابه بذلك حتى يربوه ويبلوه
ثم تحمل الجماعة منه بعد ذلك الترتيب والتدريب الى
الغاية فيذهب الشطر ويرجع الشطر أو شبيه بذلك
أو قريب من ذلك وأنت عمدت الى حمام لم تنظر في أنسابها
ولم تتأمل مخيلة الخير في خلقها ثم لم ترض حتى ضربت بها
بكرة واحدة الغايات فليس بعجب ولا منكر ان لا يرجع
اليك واحد منها وانما كان العجب في الرجوع فأما
في الضلال فليس في ذلك عجب وعلى انه لو رجع منها واحد
أو اكثر من الواحد لكان خطؤك موفرا عليك لم ينقصه
خطأ من أخطأ لانه ليس من الصواب أن تجيء طائرا من
الغاية على غير عرق وعلى غير تدريب فقال صاحب
الحمام ومن كرم الحمام الالف والانس والنزاع والشوق
وذلك يدل على ثبات العهد وحفظ ما ينبغي أن يحفظ
وصون ما ينبغي أن يصان وانه لحي صدق في بني آدم

نكبر للكالخلق في بعض الطير وقد قالوا عمر الله البلدان بحب
الاوطان وقال ابن الزبير ليس الناس بشي من اقسامهم اقنع
منهم باوطانهم ولخبر الله عن طبايع الناس فقال
قالوا ما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا وقال ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم وقال الشاعر
وكنت فيهم كممطور ببلدته فسر ان جمع الاوطان والمطرا بيت شعر
فتجده يرسل من موضع فيجي ثم لخرج من بيته الى اضيق موضع
والى رخام دنقاد فيرسل من ابعد من ذلك فيجي ثم يصنع به مثل
ذلك المرار الكثيرة ويزاد في الفراسخ ثم يكون جزاؤه ان
يعمر به من الرقة الى لولوة فيجي ويبرق من منزل صاحبه فيقص
جناحه فيغير هناك حولا واكثر من الحول ويحين ينبت جناحه
حتى الى الفه ويرجع الى وطنه وان كان الموضع الثاني
انفع له وانعم لباله فيذهب فضل ما بينهما الموضع تربيته
وسكنه كالانسان الذي لو اصاب في غير بلاده الرف

كله لم يقع ذلك على قلبه وهو يصالحهم على ان يعطي عشر
ما هو فيه مع
ذلك في وطنه ثم ربما باعه صاحبه فاذا وجد مخلصا رجع
اليه حتى ربما فعل ذلك مرارا عدة وربما طار دهره وجال
في البلاد والف الطيران والتقلب في الهواء والنظر الى البلدان
فيبدو لصاحبه فيقص جناحه ويلقيه في ديماس فيلبث
جناحه ولا يذهب عنه ولا يتغير له حتى ربما حذف وهو
مقصوص فما صار اليه وانما بلغ عذرا ومتى قص احد
جناحيه كان اعجز له عن الطيران ومتى قصهما جميعا
كان اقوى له عليه ولكنه لا يبعد لانه اذا كان
مقصوصا من شق واحد اختلف خلقه ولم يعتدل وزنه
وصار احدهما صوابيا والاخر هنبا واذا قص الجناحان
جميعا كان وان كان مقصوصا فقد يبلغ بذلك التعديل
من جناحيه اكثر مما كان يبلغ بهما اذا كان احدهما
وافيا والاخر مبتورا فالكلب الذي تدعون له الالف
وثبات العهد لا يبلغ هذا وصاحب الديك يفخر للديك
الذي لا

بشي من الوفاء والحفاظ والألف أحق بأن لا يعرض في هذا الباب
قال وقد يكون الإنسان شديد الحضر فإذا قطعت إحدى
يديه وأراد العدو كانت خطاه أقصر وكان عن القصد
والسنن أذهب وكانت غاية مجهوده أنقص
وخبرني من شئت من أشد الفتيان أن نباتة الأقطع حين
قطعت من دوين المنكب وكان ذلك في شقه الأيسر
فكان إذا صار إلى القتال وضرب بسيفه فإن أصاب الضريبة
ثبت وإن أخطأه سقط لوجهه إذ لم يكن جناحه الأيسر
يمسكه ويثقله حتى تعدل بدنه وقد طعن قوم في أجنحة
الملائكة وقد قال الله الحمد لله فاطر السموات والأرض
جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع
يزيد في الخلق ما يشاء وزعموا أن الجناحين كاليدين
وإذا كان الجناح اثنين أو أربعة كانت معتدلة وإذا
كان ثلاثة صار صاحب الثلاثة كالجاذف من الطير
الذي أحد جناحيه مقصوص فلا يستطيع الطيران

ع الحضر العدو الجري أحضر يحضر

بحرم التعديل وإذا كان أحدهما وافيا والآخر مقصوصا
اختلف خلقه وصار بعضه يذهب إلى أسفل والآخر إلى فوق
وقالوا إنما الجناح مثل اليد ووجدنا الأيدي والأرجل
في جميع الحيوان لا تكون إلا أزواجا فلو جعلتم لكل واحد
منهم ما يتجناح لم ننكر ذلك وإن جعلتموها أنقص بواحد
ولا أكثر بواحد لم نجوزه قيل لهم قد رأينا من ذوات
الأربع ما ليس له قرن ورأينا ما له قرنان أملسان ورأينا
ما له قرنان لهما شعب في مقاديم القرون ورأينا بعضها
جما ولأخواتها قرون ورأينا منها ما لا يقال له أجم لأنه ليس
له شكل ذوات القرون ورأينا لبعض الشاء عدة قرون
نابتة في عظم الرأس أفرادا وأفرادا ورأينا قرونا جوفا
فيها قرون ورأينا قرونا لا قرون فيها ورأينا مصمتة
ورأينا بعضها ينصل قرنه في كل سنة كما تسلخ الحية
وتنفض ورقها الأشجار وهي قرون الأيائل وقد زعموا
أن للحمار الهندي قرنا واحدا وقد رأينا طائرا شديد الطيران

بلا ريش كالخفاش ورأينا طائرا لا يطير وهو وافي الجناح
ورأينا طائرا لا يمشي وهو الزرزور ونحن نؤمن بأن جعفرا
الطيار ابن أبي طالب له جناحان يطير بهما في الجنة
جعلا عوضا من يديه اللتين قطعتا على لواء المسلمين
يوم مؤتة وغير ذلك من أعاجيب أصناف الخلق وقد يستقيم
وهو سهل سائغ جائز مفهوم معقول قريب غير بعيد
أن يكون إذا وضع طباع الطائر على هذا الوضع الذي
نراه أن لا يطير إلا بالأزواج فإذا وضع على غير هذا الوضع
وركب على غير هذا التركيب صارت ثلثة أجنحة وفق
تلك الطبيعة ولو كان الوطواط في وضع أعضائه وأخلاطه
وامتزاجاته كسائر الطير لما طار بلا ريش وزعم البحريون
أنهم يعرفون طيرا لم يسقط قط وإنما يكون سقوطه من
لدن خروجه من بيضه إلى أن يتم قصب ريشه ثم يطير فليس
له رزق إلا من بعوض الهواء وأشباه البعوض إلا أنه
قصير العمر سريع الانحطام فليس بمستنكر أن يمزج

الطائر ويعجز غير عجز الأول فيعيش ضعف ذلك العمر
وقد يجوز أيضا أن يكون موضع الجناح الثالث بين الجناحين
فيكون عون الثالث للثاني كعون الثاني للأول وتكون
كل واحدة عاملة في الثالثة التي تليها من ذلك البدن
فتستوي في القوى والحصص ولعل الجناح الذي أنكره
الملحد الضيق العطن أن يكون مركز قوايمه في طرف
الصلب ولعل ذلك الجناح أن يكون الريشة الأولى منه
معينة للجناح الأيمن والثانية معينة للجناح الأيسر
وما هذا مما يضيق عنه الوهم ويعجز عنه الجواز
فإذا كان ذلك ممكنا في معرفة العبد بإحاطة الرب
عز وجل كان ذلك في قدرة الله جل وعز أجوز وما أكثر
من يضيق صدره لقلة علمه وقد علموا أن كل ذي أربع فإنه
متى مشى قدم إحدى يديه وقد يجوز أن يستعمل اليد الأخرى
فيقدمها بعد الأولى حتى يستعمل الرجل المخالفة لتلك
اليد إذ كانت تلك اليد المتقدمة اليمنى حرك الرجل

اليسرى فإذا حرك الرجل اليسرى لم يحرك الرجل اليمنى وهي
أقرب إليها وأشبه بها حتى يحرك اليد اليسرى وهذا كثير
في طريق آخر وقد تبيّنّا أن كل إنسان فإنما ركبته في
رجله وجميع ذوات الأربع فإنما ركبها في أيديها وكل
إنسان وكل ذي كف وبنان كالإنسان والقرد والأسد
والضب والدب فكفه في يده والطائر كفه في رجله
وما رأينا أحدا ليس له يدان إلا وهو يعمل برجليه فائدة
ما كان يعمل بيديه وما أقف على شيء من أعمال الأيدي
إلا وأنا قد رأيت أولئك يتكلفونه بأرجلهم ولقد رأيت
واحدا منهم وادعى أن يفرغ برجليه ما في دستيجة
نبيذ في قناني رطليات ودفعنا عيابا فراهنوه وأرى
أمره وكثيرة عند ثقات لا أشك في خبرهم فزعموا أنه
وفى وزاد قلت قولكم وفى فما قولكم وزاد قال وهو أنه
لو صب من رأس الدستيجة حوالي أفواه القناني كما
يعجز عن ذلك صاحب الكمال في الجوارح لما أنكرنا

ذلك ولقد فرّغ ما فيها في جميع أفواه القناني فما ضيّع أوقية
واحدة وخبرني الجرامي عن مليك أخيه أنه متى
شاء أن يدخل في بيت ليلا بلا مصباح ويفرغ قرابة في قناني
فلا يصيب إستارا واحدا أفعله ولو حكى إلى الجرامي
٢ هذا الصنيع ولا أعمى أو عمي في صباه كان يعجبني منه
أقل مما من يقود أن يفعل مثل ذلك وهو بصير لما أشد
عليه أن يفعله وهو مغمض العين فإن كان لحوله قد كان
يقدر على مثل ذلك إذا غمض عينيه فهو عندي عجب
فإن كان يبصر في الظلمة فأشبه من هذا الوجه
السنور والعلة فإن هذا عجب عندي آخر وغرائب
الدنيا كثيرة عند من كان كلفا بتعرفها وكان له
في العلم أصل وكان بينه وبين التبيين نسب وأكثر الناس
لا تجدهم إلا في حالين إما في حال إعراض عن التبيين
وإهمال للنفس وإما في حال تكذيب وإنكار وتسرع
إلى أصحاب الاجتهاد وتتبع الغرائب والرغبة في الفوائد

ثم يرى بعضهم ان له بذلك التكذيب فضيلة وان ذلك باب من التوقي
وجنس من استعظام الكذب وانه لم يكن كذلك الا من رجاحة في
الرغبة في الصدق وبين الشيء عادة الانكار والرد وبين
الشيء عادة الاقرار والقبول والحق الذي امر الله به ورغب فيه
وحث عليه ان تنكر من الخبر ضربين احدهما ما تناقض واستحال
والاخر ما امتنع في الطبيعة وخرج من طاقة الخلقة فاذا
خرج الخبر من هذين البابين وجرى عليه حكم الجواز
فالتدبير في ذلك التثبت وان يكون الحق هو ضالتك والصدق
هو بغيتك كائنا ما كان وقع منك بالموافقة او وقع منك
بالمكروه ومتى لم تعلم ان ثواب الحق وثمرة الصدق اجدى عليك
من تلك الموافقة لم تقو على ان تعطي التثبت حق التثبت
قال وهم يصفون الرماد الذي بين الاثافي بالحمامة ويجعلون
الاثافي اظآرا للاخثا الذي في اعالي تلك الاحجار ولانها
كانها متعطفات عليها وحانيات على اولادها قال ذو الرمة
كان الحمام الورق في الدار جثمت على خرق بين الاثافي جوازله

شبه الرماد بالفراخ قبل ان تنهض والجثوم في الحبل مثل الربوض
في الغنم وقال الشماخ
وارث رماد كالحمامة ماثل ونؤيين في مظلومتين كداهما
وقال ابو حية
من العرصات غير مخد نؤي كباقي الوحي خط على امام
وغير خوالد لوحن حتى بهن علامة من غير شام (جمع شامة)
كان بها حمامات ثلاثا مثلن ولم يطرن مع الحمام
وقال العرجي كجثمان
ومربط افراس وخيم مصرع وهاب كجثمان الحمامة هامد
وقال البعيث
وسفع ثوين العام والعام قبله وسحق رماد كالضبيب
من العصب
وقالوا في نوح الحمام ما لحزان العود
واستقبلوا واديا صوت الحمام به كانه صوت
انباط مثاكيل

وقالوا في ارتفاع مواضع بيوتها وعلائها قال الأعشى
ألم تر أن العرض أصبح بطنه نخيلا وزرعا نابتا وفصافصا
وذا شرفات يقصر الطرف دونه ترى للحمام الورق فيه قرامصا
وقال عمر بن الوليد
فبدلت من مساكن قومي والقصور التي بها الآطام
كل قصر مشيد ذي أواسي تتغنى على ذراه الحمام
والحمام أيضا ربما سكن أجواف الركايا ولا يكون
ذلك إلا للوحشي منها وفي البئر التي لا تورد وقال الآخر
بدلو غير مكربة أصابت حماما في مساكنه فطارا
يقول استقى بشعرته من هذه البئر ولم يستق بدلو وهذه
بئر قد سكنها الحمام لأنها لا تورد وقال جهم بن خلف
وقد هاج شوقي أن تغنت حمامة مطوقة ورقاء تصدح في
الفجر
هتوف تبكي ساق حر ولا ترى لها دمعة يوما على
خدها تجري

فغنت بلحن فاستجاب لصوتها نوائح بالأصياف في
فنن السدر
إذا فترت كرت بلحن شج لها يهيج للصب الحزين
جوى الصدر
دعتهن مطراب العشيات والضحى بصوت يهيج المستهام
على الذكر
فلم أر ذا وجد يزيد صبابة عليها ولا ثكلى تبكي
على بكر
فأسعدنها بالنوح حتى كأنما شربن سلافا من
معتقة الخمر
تجاوبن لحنا في الغصون كأنها نوائح ميت يلتدمن
لدى قبر
بسوق وأدم من نبات مؤنق كسا جانبيه الطل واعتم
بالزهر
فقلت لقد هيجن صبا متيما حزينا وما منكن صاحبة تدري

قال ويقال هدر الحمام يهدر قال ويقال في حمام الوحش
من القماري والفواخت والدباسي وما أشبه ذلك قد هدل
يهدل هديلا فاذا طرب قيل غرد يغرد تغريدا والتغريد
يكون للحمام والانسان وأصله من الطير واما أصحابنا
فيقولون الحمل يهدر ولا يكون بالام والحمام يهدل
وربما كان بالراء وبعضهم يزعم ان الهديل من اسما الحمام
الذكر وقال الراعي

كهداهد كسر الرماة جناحه يدعو بقارعة الطريق هديلا

ويزعم الأصمعي ان قوله هتوف تبكي ساق حر انما هو
حكاية صوت يحسن الطير من هذه النواحات وبعضهم
يزعم ان ساق حر هو الذكر وذهب الى قول الطرماح
في تشبيه الرماد بالحمام

بين أظآر مظلومة كسراة الساق ساق الحمام

وقال الشاعر يصف فرسا

يخيد من مثل حمام الأغلال وقع يد عجلى ورجل شملال

الاغلال جمع غلل وهو الما الذي يجري بين ظهري شجر قال
والمعنى ان الحمام ترد الما فهو أسرع لها وقوله شملال
أي خفيفة وقال صاحب الحمام للبري في الارض جنس يعرفه
الاوضاح والشيات ويكون فيها المصمت والبهيم اكثر
الوانا أصنافا والتحاسين كما يكون في الحمام فمنها
ما يكون اخضر مصمتا واحمر مصمتا واسود مصمتا
وأبيض مصمتا وصنوف بين ذلك كلها مصمتة الا ان
المداية للخضر والنمر فاذا ابيض الحمام كالنقيع فمثله
من الناس الصقلابي فان الصقلابي وطير حام لم تنضجه
الارحام اذ كانت الارحام في البلاد التي شمسها
ضعيفة وان اسود الحمام فانما ذلك احتراق وتجاوزه
لحد النضج ومثل سود الحمام من الناس الزنج فان ارحامهم
جاوزت حد الانضاج الى الاحراق وشيطت الشمس
شعورهم فقبضتها والشعر اذا ادنيته من النار تجعد
فان زدته تفلفل فان زدته احترق وكما ان عقول

سودان الناس وحمرانهم دون عجمهم السمر وكذلك بيض الحمام
وسودها دون الخضر في المعرفة والهداية واصل الخضرة
انما هو للريحان والبقل ثم جعلوه بعد اجد بالخضر والحمام
اخضر والسما خضرا حتى سموا بذلك الكحل والليل

وقال الشماخ بن ضرار

ورحن رواحا من زرود فنازعت زبالة جلبابا من الليل اخضرا

وقال الراجز

حتى انتضاه الصبح من ليل خضر مثل انتضاء البطل السيف الذكر
نضو هوى بات على نضو سفر

قال الله عز وجل ومن دونهما جنتان فباي الاء ربكما
تكذبان مدهامتان يعني خضراوان من الري سوداوان
وسواد العراق لون سعف نخله ونباته والاسودان
الماء والتمر والابيضان الماء واللبن فالماء اسود اذا
كان مع التمر وابيض اذا كان مع اللبن ويقولون سود
البطون وحمر الكلى ويقولون سود الاكباد يريدون

العداوة

العداوة وان الاحقاد قد احرقت اكبادهم ويقال للجائع
اسود البطن لان الجائع لا يكون في بطونهم شحم ويقولون
نحن بخير ما رأينا سواد فلان بين اظهرنا يريدون شخصه وقالوا
بل يريدون ظله فاما خضر محارب فانما يريدون السود ولذلك
خضر غسان ولذلك قال الشاعر

ان الخضارمة الخضر الذين دووا اهل البرنض ثماني منهم الحكم

وهو قول القرشي

وانا الاخضر من يعرفني اخضر الجلدة من بيت العرب

واذا قالوا فلان اخضر القفا فانما يعنون انه قد ولدته
سوداء واذا قالوا اخضر البطن فانما يريدون انه حائك لان
بطن الحائك لطول التزاقه بالخشبة التي يكون عليها
الثوب يسود وكان سبب عداوة العوصي لابرهيم
النظام انه كان يسميه الاخضر البطن والاسود البطن
وكان يكشف بطنه للناس يريد تكذيبه اي اسحق
حتى قال له اسمعيل بن غزوان انه انما يريد انك من ابناء الحاكة

فجاءا به لذلك وإذا قال الأخضر النواجذ فإنما يريد أنه من أهل
القرى ممن يأكل البصل والكراث وإذا قيل للثور خاضب
فإنما يريدون أن البقل قد خضب أظلافه بالخضرة وإذا قيل
للظليم خاضب فإنما يريدون حمرة وظيفيه فإنهما يحمران في
القيظ وإذا قيل للرجل خاضب فإنما يريدون الحناء فإذا
كان خضابه بغير الحناء قيل صبغ ولا يقال خضب ويقولون
في شبيه بالباب الأول الأحمران الذهب والزعفران والأبيضان
الماء واللبن والأسودان الماء والتمر ويقولون أهلك الناس
الأحمران الذهب والزعفران وأهلك الناس الأحامر الذهب
والزعفران واللحم والخمر والجديدان الليل والنهار وهما
الملوان والعصران الدهر وصلاة العصر وصلاة العشي والعصران
الغداة والعشي وقال الشاعر

وأمطله العصرين حتى يملني ويرضى بنصف الدين والأنف راغم

ويقال البايعان بالخيار وإنما هما بايع ومشتر دخل المبتاع
في البايع وقال الله عز وجل ولأبويه لكل واحد منهما

السدس دخلت الأم في الأب كما يجمعون على أبيه الاسمين
وكقولهم ثبيرين والبصرتين وليس ذلك بالواجب وقد قالوا
سيرة العمرين وأبو بكر فوق عمر وقال الفرزدق

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

وأما قول ذي الرمة

وليل كجلباب العروس ادرعته بأربعة والشخص في العين واحد



فإنه ليس يريد لون الجلباب ولكنه يريد سبوغه ولذلك
قول الأعرابي قيل له بأي شيء تعرف حمل شاتك قال إذا استبانت
خاصرتاها ودجت شعرتاها والواحد ها هنا الاثنين قال
الأصمعي في مسعود بن قيد الفزاري الأبير وبه يقول
كان ذلك وثوب الإسلام داج وأما لفظ الأصمعي فإنه
قال كان ذلك منذ جاء الإسلام يعني أنه البكر الثاني
ثم رجع بنا القول إلى شيات الحمام وزعموا أن الأوضاح
كلها ضعف قليلها وكثيرها إلا أن ذلك بالحصص
على قدر القلة والكثرة وكذلك هي في جميع الحيوان سوا

مستقبلها ومستدبرها وليس ذلك بالنواجب حتى لا يغادر شيئا
البتة لان الكلبة السلوقية البيضا اكرم واصيد واصبر
من السود او البياض في الناس على ضروب فالمعيب منه
بياض المغرب والاشقر والاحمر وهو اقل في الضعف والفسا
اذا كان مشتقا من بياض البهق والبرش والبرص والشيب
والمغرب عند العرب لا خير فيه البتة والتقبيع لا يحب
وليس عنده الاحسن بياضه عند من اشتهى ذلك وزعم
محمد بن سلام الجمحي انه لم ير قط بلغا ولا ابلق جا سابقا
وقال الاصمعي لم تسبق الحلبة اقصر قط لانهم يمدحون
المجفر من الخيل ويقولون الفرس بعنقه وبطنه حدثني
بعض اصحابنا انه راى فرسا للمامون ابلق سبقت الحلبة
وهذا نادر غريب والحمام طاير الوف مالوف
محبب موصوف باللطافة حتى انه لا يجانى ولا
تنزله كتلاح الدجاج والديكة وقد يتعالج بذرقه
صاحب الحصاة وللفلاحين فيه منافع والحبارى يلقي

الشي منه في العجين لينتفخ العجين ويعظم الرغيف ثم لا
يستبين ذلك فيه ولا ذوقها علامة يعرف ذلك اصحاب
الخبز وهو يصلح في بعض وجوه الدبغ وقال
صاحب الديك الحمام طاير لئيم قاسي القلب فان بر عمه
ببره ولا غيره وصنع به كما يصنع بفرخه وذلك انهما
يحضنان كل بيضة وبر فان كل فرخ دنا منهما الا
في الفرط واما لومه فانه يرى بعينه الذكر الذي هو اضعف
منه وهو يطرد انثاه ويكسح بذنبه حولها ويتطوس
لها ويستميلها وهو يرى ذلك بعينه ثم لا يرى ذلك قط
وانت ذكرا عند ذلك فان قلت انه يشد عليه ويمنعه
اذا جثمت له واراد ان يعلوها فكل ذكر هناك
يفعل ذلك وليس ذلك من الذكر الغريب على طريق الغيرة
ولكنه ضرب من النفاسة واذا لم يكن من ذكرها
الامثل ما يكون من جميع الحمام علم ان ذلك منه ليس
من طريق الغيرة وانما ابت النواهض يفعل ذلك

وتقطع على الذكر بعد أن يعلو على الأنثى قال وأما ما
ذكر ثمامة أن الحمام مقصور على واحدة ما دامت محتاجة
إلى الزق فإذا استغنت نزعت منها الرحمة فليس ذلك
كما قلتم الحمام طائر ليس له عهد وذلك أن الذكر ربما
كانت الأنثى معه السنين ثم سفد وتوارى عنه شهرا
واحدا ثم تظهر له مع زوج أضعف منه فيراها طول
دهره وهي إلى جنب بيته ومتاربه فإنه كان لا يعرفها
بعد معرفة العمر الطويل إذا غابت عنه الأيام اليسيرة
فليس يوجد ذلك الجهل الذي يعامل به واحدة بعد أن كبر
الأنثى العبادة وسوء الذكر وأن الزوج حين استوى
ريشه وأشبه غيره من الحمام جهل الفصل بينهما وإن
كان يعرف أنثاه وهو يجدها مع ذكر ضعيف وهو
مستسلم لذلك وقانع به وقليل الاكتراث له فهذا من لؤم
في أصل طبيعته قال وباب آخر من لؤمه والقسوة
من الأم اللؤم وذلك أن الذكر ربما أراد الأنثى إذ ربما

استضعف الذكر فنقر رأسه والآخر مستخذ فإن أمكنه
من رأسه خاضعا له شديد الاستسلام لأمره فهو
لا يرحمه لضعفه وعجزه عنه ولا هو يرحمه لخضوعه
له وهو ميل ولا له عنه وتر ثم لا يزال ينقر يافوخه حتى
ينقب عنه ثم لا يزال ينقر ذلك المكان بعد النقب حتى
يخرج دماغه ويموت بين يديه فلو كان مما يأكل
اللحم ويشتهي الدماغ كان ذلك له عذرا إذا لم يعد
ما طبع الله عليه سباع الطير فإذا رأينا من بعض
بهائم الطير من القسوة ما لا نرى من سباع الطير لم يكن لنا
إلا أن نقضي عليه من اللؤم الأعلى شكل أشبا بيته لشكل البهيمة
ونربه في ذلك على ما مع جوارح الطير من السبعية
وقال صاحب الديك زعم أبو الأصبغ بن ربعي
قال كان روح أبو همام صاحب المعمى عند مثنى بن
زهير فبينا هو يوما وهو معه في السطح إذا جاءه
قد صعد فلم يلبث أن صعد آخرون ثم لم يلبث أن

جاءتهم فأقبل عليهم فقال أي شيء جمعكم اليوم قالوا
هذا اليوم الذي يرجع فيه من أجيل الحمام من الغاية
قال ثم ماذا قالوا نتمتع بالنظر إليها إذا أقبلت قال
لكني أتمتع بتغميض العين إذا أقبلت وترك النظر إليها
هو النظر ثم نزل وجلس وحده وقال مثنى بن زهير
ذات يوم ما تلهى الناس بشيء كالحمام ولا وجدنا شيئا
مما يتخذه الناس للهو واللعب يخرج من أبواب الجد
ويقع في أبواب الحق كالحمام وأبو إسحق حاضر فغاظه
ذلك وكظم على غيظه فلما رأى مثنى سكوته عن الرد
عليه طمع فيه فقال يبلغ والله من كرم الحمام ووفائه
وثبات عهده وشدة حنينه إلى أهله أني ربما قصصت
الطاير وهو من أبعد الطاير عندي دهرا حتى نبت جناحه
نبت كنباته الأول ولم يدع سوء صنيعي إليه إلى النفار
عني وربما بعته فيقصه المبتاع حينا فما هو إلا أن
يجد بجناحه قوة على النهوض إلا أتاني جاهدا فإن كان

أو غير جاهد فربما فعلت ذلك به مرارا كل ذلك لا يزداد
إلا وفاء قال أبو إسحق أما أنت فأراك دائبا تحمده وتذم
نفسك دليل كان رجوعه إليك من الكرم أن إخراجك
إياه لمن اللؤم وما يعجبني من الرجل يقطع نفسه لصلة
طاير وينسى ما عليه من جنب ما البهيمة ثم قال له أخبرني
عنك حين تقول رجع إلي مرة بعد مرة وكلما زهدت
فيه كان في أرغب وكلما باعدته كان لي أطلب
ألك جاء وإليك حن أم إلى عشه الذي درج منه ووكره
الذي ربي فيه أفرأيت لو رجع إلى وكره وبيته ولم يجدك
والفناك عائبا أو مثنيا أكان يرجع إلى موضعه الذي
خلفه وعلى أنك تتعجب من هدايته وما لك فيه مقال غيره
فأما شكرك له على إرادته لك فقد تبين خطؤه وأما بقي
الآن حسن الاهتداء والحنين إلى الوطن فقد اجتمعوا على
أن الرخم والغربان من لئام الطير ويعلم أنها لتبيض من
عنانها وأجرارها وهما من قواطع الطير ومن موضع

فقطعها الينا ثم رجعها اليه من عندنا اكثر واطول
من مقدار ابعد غايات حمامكم فاذا كان وقت خروجها
من اوطانها الينا خرجت تقطع الصحاري والبراري
والجزاير والغياض والبحار والجبال حتى تصير الينا
في كل عام فان قلت انها البتة تخرج على سمت مجيها
ولا على هداية ولا دلالة ولا على امارة وعلامة وانما
هربت من الثلوج والبرد الشديد وعلمت انها تحتاج الى
الطعم وان الثلج قد البس ذلك العالم فخرجت هاربة
فلا تزال في هربها الى ان تصادف ارضا بيضا ودفا
فتقيم عندنا الى ما تجده فما تقول فيها عند رجوعها ومعرفتها
بانحسار الثلج عن بلادها السرمة اهتدت طريق الرجوع
ومعلوم عند اهل تلك الاطراف وعند اصحاب التجارب
وعند القناص ان طير كل جزيرة اذا قطعت رجعت
الى بلادها وجبالها واوكارها وغياضها واعششتها
فتجد هذه الصفة في جميع القواطع من الطير كرامها ولئامها

وبهايمها

وبهايمها كسباعها ثم لا يكون اهتداوها على تمرين وتوطين
ولا عن تدريب وتجريب ولم تعقل بالتعليم والترتيب
ولم تثبت بالتدبير والتقويم فان القواطع لانفسها تصير
الينا ولانفسها تعود الى اوكارها وكذلك الاوابد
من الحمام لانفسها ترجع والفها للوطن الذي نشت فيه يقوم
على جميع الطير فقد بطل جميع ما ذكرت ثم قال
واعجب من جميع قواطع الطير قواطع السمك كالاسبور
والجواف والبرستوج فان هذه الانواع تاتي دجلة
البصرة من اقصى البحار تستعذب الماء في ذلك الابان
كانها تتحمض بحلاوة الماء وعذوبته بعد ملوحة ما
البحر كما تتحمض الابل فتطلب الحمض وهو ما ملح بعد
الخلة وهو ما حلا وعذب والاسد اذا اكثر
من حسو الدماء والدماء حلوة واكل اللحم واللحم حلو
طلب الملح ليتملح به ويجعله كالحمض بعد الخلة
ولولا موقع الملح لم يدخله الناس في اكثر الطعام

والأسد خروج للتملح فلا يزال يسبح حتى يجد ملاحة وربما
اعتاد مكانًا فيجده ممنوعًا فيقطع الفراسخ الكثيرة بعد
ذلك فإذا امتلح عاد إلى موضع غيضته عرينه وغابه وعريسته
وإن كان الذي قطع خمسين فرسخًا ونحن بالبصرة نعرف
الأشهر التي تقبل إلينا فيها هذه الأصناف وهي تقبل
في كل سنة مرتين ثم يجد في أضراها أسمن فيقيم كل جنس
منها عندنا شهرين إلى ثلاثة أشهر فإذا مضى ذلك الأجل وانقطع
عنه ذلك الجنس أقبل الجنس الآخر فهم في جميع أقسام شهور
السنة من الشتاء والربيع والصيف والخريف في نوع من
السمك غير النوع الآخر إلا أن البرستوج يقبل إلينا قاطعًا
قاطعًا من بلاد الزنج فيستعذب من دجلة البصرة يعرف
ذلك جميع الزنج والبحريين وهم يزعمون أن الذي بين البصرة
والزنج أبعد مما بين الصين وبينها وإنما غلط ناس فزعموا
أن الصين أبعد لأن بحر الزنج حفرة واحدة عميقة
واسعة وأمواجها عظام ولذلك البحر ريح تهب من

عمان إلى جهة الزنج شهرين وريح تهب من بلاد الزنج نحو
جهة عمان شهرين على مقدار واحد فيما بين الشرق واللين
إلا أنها إلى الشرق أقرب فلما كان البحر عميقًا والريح قوية
والأمواج عظيمة وكان الشراع لا يحط وكان سيرهم
مع الوتر ولم يكن مع القوس ولا يعرفون الحب والمكلأ
صارت الأيام التي تسير فيها السفينة إلى الزنج أقل فقال
فالبرستوج سمك يقطع أمواج الماء إلى البصرة من الزنج ثم
يعود ما فضل عن صيد الناس إلى بلاده ونجومه وذلك
أبعد مما بين البصرة إلى العليق المراد الكثيرة ولا يصيدون
من البحر فيما بين البصرة إلى الزنج من البرستوج شيئًا إلا في
أيام مجيئها إليها ورجوعها عنها وإلا فالبحر منها فارغ
خال فهداية الطير أعجب من الحمام وهداية السمك أعجب
من الطير والطير ذو جناحين يحلق في الهواء فله سعة
الإدراك وبلوغ الغاية بالطيران وله إدراك العالم بما فيه
بعلاماته وأماراته إذا هو حلق في الهواء وعلا فوق

كل شيء السمكة تسبح في غمر الماء ولا تسبح في اعلاه والنسيم
الهواء الذي تعيش به الطير لو دام على السمك ساعة لقتله
وقال ابو العباس بن ابي النخيلة الراجز وذكر السمك

يغمه النشر والنسيم ... فلا يزال مغرقا يعوم
في البحر والبحر له تخميم ... وامه الوالدة الرؤوم
تلهمه جهلا ولا يريم ... يقول النشر والنسيم

الذي يحيي جميع الحيوان اذا طال عليه الجوع واللحن والعفن
والرطوبات الغليظة يغم السمك ويكربه وامه التي ولدته
تاكله لان السمك ياكل بعضه بعضا وهو في ذلك لا
يريم هذا الموضع وقال رؤبة

والحوت لا يكفيه شيء يلهمه ... يصبح ظمآن وفي البحر فمه

وصفه بانه لا تصل له بالماء وانه شديد الحاجة اليه وان كان
غرقا فيه ابدا وانشدني محمد بن بشير لبعض المدنيين يهجو رجلا
وهو يقول ... لو رأى في الجو فرخا لزاحمني يوما
او رأى في البحر فرخا صار للتغلاظ حوتا

وقال الذكواني في وصف الضفدع

يدخل في الاشداق ما ينصفه ... كيما يقوق والنقيق يتلفه

قال يقول الضفدع لا يصوت ولا يتهيا ذلك له حتى يكون
في فمه ماء واذا اراد ذلك ادخل فكه الاسفل في الماء
وترك الاعلى حتى يبلغ الماء نصفه والمثل الذي يتمثل به
الناس فلان لا يستطيع ان يجيب خصومه لان فمه ملآن
ماء وقال شاعرهم ... هو ابو نواس

وما انسيت مكان الامر بك بزاجر الوشاة ولكن في فمي ماء

وانما جعلوا ذلك مثلا حين وجدوا الانسان اذا كان
في فمه ماء على الحقيقة لم يستطع الكلام فهذا تاويل
قول الذكواني ... يدخل في الاشداق ما ينصفه
بفتح الياء وضم الصاد فانه يذهب الى قول الشاعر

وكنت اذا جاري دعا لمضوفة ... اشمر حتى ينصف الساق مئزري

المضوفة الامر الذي يشفق منه وكقول الشاعر

فان الظن ينصف او يزيد ... وهذا كثير من الانصاف

الذي هو العدل انما هو بلوغ نصف الساق واما قوله
كيما يتق القبق يتلفه فانه ذهب الى قول الشاعر
ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر
وقد يعني سمعناه في باب معرفة طبايع الحيوان
من الفلاسفة وقرأناه في كتب الاطبا والمتكلمين
الاولين فقد وجدناه او قريبا منه او مثله في اشعار
العرب والاعراب في معرفة اهل لغتنا وملتنا ولولا
ان يطول الكتاب ذكرت ذلك اجمع وعلى اني قد تركت
تفسير اشعار كثيرة وشواهد عديدة مما لا يعرفه
الا الراوية النحرير من خوف التطويل قال
افليمون صاحب الفراسة اجعل حمام النسب المسرولا
العظام الجسام ذوات الاختيال والتبختر والهدير
واجعل حمام الفراخ ذوات الانساب والاعراق
الكريمة فان الفراخ انما تكثر عن حسن التعهد ونظافة
القراميص والبروج واتخذ لهن بيتا محفورا على خلقة الصومعة

محفورا من اسفله الى مقدار ثلثي حيطانه بالتماريد ولتكن واسعة
ولتكن بينها اجواز واجود ذلك ان تكون تماريدها محفورة
في الحايط على ذلك المثال وتعهد البرج بالكنس والرش
في زمان الرش ولتكن مخارجهن من كوى في اعلا الصومعة
ولتكن متصدلة في السعة والضيق بقدر ما يدخل منه ويخرج
منه الواحد بعد الواحد فان استطعت ان يكون البيت بقرب
مزرعة فافعل فان الحمام المنسوب منها فالتمس ذلك
بالفراسة التي لا تخطي وانما يخطي المتفرس قال وليس كل الهدي
يقوى على الرجعة من حيث ارسلت لان منها ما تفضل قوته
على هدايته ومنها البطي وان كان قويا ومنها السريع
وان كان ضعيفا عاجزا من الجبن والاعتراء ولا بد لجميعها
من الصرامة ومن التعليم اولا ومن التوطين اخرا وقال جماع
الفراسة لا تخرج من اربعة اوجه اولها التقطيع والثاني
المجسة والثالث الشمايل والرابع الحركة والتقطيع انتصاب
العنق والخلقة واستدارة الراس من غير عظم ولا صغر ثم عظم

الترس من الفراسه
والحركس

القرطمين واتساع المنخرين وانهرات الشدقين وهذا من اعلام الكرم
في الاستزواج ثم حلقة العينين وقصر المنقار من غير دقة
ثم اتساع الصدر وامتلا الجؤجؤ وطول العنق واشراف
المنكبين وطول القوادم في غير افراط ولحوق بعض الخوافي
ببعض وصلابة العصب في غير انتفاخ ولا يبس واجتماع
الحلق من غير الجعودة والكزازة وعظم الفخذين وقصر
الساقين والوظيفين وافتراق الاصابع وقصر الذنب وخفته
من غير تفنن وتفرق ثم توقد الحدقتين وصفا اللون فهذه اعلام
الفراسة في التقطيع واما اعلام المجسة فوثاقة الخلق
وشدة اللحم ومتانة العصب وصلابة القصب ولين الريش من
غير رقة وصلابة المنقار في غير دقة واما اعلام
الشمايل فقلة الاختيال وصفا البصر وثبات النظر وشدة
الحذر وحسن التقلب وقلة الرعدة عند الفزع وخفة
النهوض اذا طار وترك المبادرة اذا التقط واما اعلام
الحركة فالطيران في علو ومد العنق في سمو وقلة الاضطراب

في جو السما وضم الجناحين في الهوا وتدافع الركض في غير اختلاط
وحسن القصد في غير دوران وشدة المد في الطيران فاذا
اصبته جامعا لهذه الصفة فهو الطاير الكامل والابعد
ما فيه من هذه المحاسن تكون هدايته وفراهته قال
واعلموا ان الحمام من الطير الرقيق الذي تسرع اليه الافة
وتعتوره الادوا وطبيعته الحرارة واليبس فاكثر ادوايه
الخنان والكباد والعطاش والسل والقمل فهو يحتاج
الى المكان البارد النظيف والى الحبوب الباردة كالعدس
والماش والشعير المنخول والقرطم لانه بمنزلة اللحم للانسان
لما فيه من قوة الدسم وقال لمما يعالج به الكباد
الزعفران والسكر الطبرزذ وما الهندبا يجعل في سكرجة
ثم يوجر ذلك او يمج في حلقه مجا فهو علاج الريق ومما يعالج
به الخنان ان يلين لسانه يوما او يومين بدهن البنفسج
ثم بالرماد والملح يدلك بهما حتى ينسلخ الجلدة العليا التي
غشيت لسانه ثم يطلى بعسل ودهن ورد حتى يبرا

ومما يعالج به السل أن يطعم الماش المقشور ويلح به حلقه
اللبن الحليب ويقطع من وظيفته عرقان ظاهران في أسفل
ذلك مما يلي المفصل من الباطن ومما يعالج به القمل أن تطلا
أصول ريشه بالزيبق المحلل بدهن البنفسج يفعل ذلك به أيام
حتى يسقط قمله وينظف مكانه الذي يكون فيه كنسا
نظيفا وقال اعلم أن الحمام والطير كله لا يصلح
التغمير به من البعد وهذا ينبغي على قدر التعليم والتو طير
وأول ذلك أن تخرج إلى ظهر سطح يعلو عليه وينصب
عليه علم يعرفه ويكون طيرانه لا يجاوز محلته ويكون
علفه بالغداة والعشي يلقى له فوق ذلك السطح قريبا
من علمه المنصوب حتى يألف مكانه ويتعود الرجوع
إليه ولكن لينظر من أي شي يتخذ العلم فإنه لا ينبغي أن يكون
أسود ولا يكون شيئا يرى من بعيد أسود وكان أعظم وكلما تم
كان أدل ولا ينبغي أن يطير وزوجته معا ولكن يقف
أحدهما ويطير الآخر ويخار إلى السطح جميعا ثم يطير

الوافي الجناح فيسارع إلى زوجته فإذا عرف المكان ودار
رجع وألف ذلك الموضع ونبت ريشه الآخر صنع به كذلك
وأجود من ذلك أن تخرجا إلى السطح وهما مقصوصان حتى
يألفا ذلك الموضع ثم يطير أحدهما قبل صاحبه ويصنع
بالثاني كما صنع بالأول وما أشبه قوله هذا بقول
ماسرجويه فإنه وصف بكتابه طبائع جميع الألبان
وشرب بها الدوا فلما فرغ من الصفة قال قد وصفت للرجال
الألبان في أنفسها ولكن انظر إلى من يسقيك اللبن
فإنك به ما تحتاج إلى تنظيف جوفك وتحتاج إلى من
يعرف قدر علتك من قدر اللبن وجنس علتك من جنس اللبن
ومثل ذلك قول نجار كان عندي دعوته لتعليق
باب لمنزل كريم فقلت له إن إحكام تعليق الباب
شديد ولا تحسنه من مائة نجار واحد ومن يذكر
بالحذق في نجارة السقوف والقباب وهو لا يكمل التعليق
باب على تمام الإحكام فيه والسقوف والقباب عند

العامة أصعب ولهذا أمثال فمن ذلك أن الغلام والجارية
يشويان الجدي والحمل ويحكمان الشي وهما لا يحكمان
شي حب ومن لا علم له يظن أن شي البعض أهون من شي
الجميع فقال لي أحسنت حين أعلمتني أنك تبصر العمل
فإن تعرفني بعرفك يمنع من التشفيق وعلقة ما أحكم تعليقه
لم يكن عندي حلقة لوصد الباب إذا أردت إصفاقه
فقلت له أكره حبسك إلى أن يذهب الغلام إلى السوق
ويرجع ولكن انقب لي موضعه فلما نقبه ولم يخرجه
ولا بي للانصراف طمعه التفت إلي فقال أنت تجود النقب
ولكن انظر إلى نجاد يدق فيه الرزة فإنه إن أخطأ بضربة
واحدة شق الباب والشق عيب فعرفت أنه يفهم صناعته اراد
فهما نادرتان وبعض الناس إذا أن يلقى دوحا يعلها كفهما
ولم ينتفعها وبين النتف والقص كثير القص لا يوجع ولا
يقرح مغارز قصب الريش والنتف يوهن المنكبين وإذا
نتف الطائر مرارا لم يقو على الغاية ولم يزل واهي المنكبين

ومتى أخطأ عليه فنتفه وقد جفت أصوله وقربت من الطرح
كان أهون عليه وكلما كان النبات أطر كان
أضر عليه وأنه ليبلغ من مضرته أن الذكر لا يجيد الإلقاح ح
والأنثى لا تجيد القبول وربما نقبت الأنثى وقد احتشت
بيضا وقد قاربت أن تبيض فتبطي بعد وقتها الأيام
وربما أفسد ذلك البيض قال وإذا بلغ الثاني مبلغ الأول
في استواء الريش والاهتداء إلى العلم طير أجمعا ومنعا
من الاستقرار إلى أن يطلق بهما الإعياء والكلال
ثم توطن لهما المراحل برا وبحرا من حيث يبصران
إذا ارتفعا في الهواء السمت ونصب العلم وأقاصي ما
كانا يريانه عند التباعد في الدوران والجولان
فإذا رجعا من ذلك المكان مرات رجلا من أبعد
منه وقد كانوا مرة يعجبهم أن يرحلوا من جميع التوطينات
ما لم يبعد من بين مرتين فلا يزالون كذلك حتى يبلغا
الغاية ويكون أحدهما محتبسا إذا أرسل صاحبه

ليتذكره فيرجع اليه فانه يخاف عليه ان يكون قد مل
زوجته عرضت عليه زوجة اخرى قبل الزجل فاذا
جمعهما فرّق بينه وبينها يومه ذلك ثم عرضوها عليه
قبل ان يحمل فاذا اطاف بها حيث عنه ثم حمل الى الزجل
فان ذلك اسرع له قال واعلم ان اشد المراحل
ما قلت اعلامه كالصحاري والبحار والطير يختلف
في الطباع اختلافا شديدا فمنها القوي ومنها الضعيف
ومنها البطي ومنها السريع ومنها الكسول ومنها الذكور
ومنها القليل الصبر على العطش ومنها الصبور وذلك
لا يخفى فيه عند التعليم والتوطين فاستعد الاجابة
والابطا فلا تبعد ذا غاية الضعيف والكسول والقليل
الصبر على العطش ولا تزجل ما كان منشوه في بلاد
الجنوب من بلاد الصرد ولا ما كان من بلاد الصرد من
بلاد الجنوب الا بعد الاعتياد ولا يصبر على الطيران
في غير هوايه واحوايه طاير الا بطول الاقامة في ذلك

المكان ولا تستوي حاله وحال من لا يبعد هواه والهوا
الذي يقرب من طباع هوايه قال ولا بد من ان يعلم
الورود فاذا اردت ذلك به فاورد به العيون والغدران
والانهار ثم حل بينه وبين النظر الى الماء حتى تصف بصره
باصابعك عن جهة الماء واتساع المورد الا بقدر مكان
ليشرب فيه من المساقي ثم اوسع له اذا عب قليلا بقدر
ما لا يروعه ذلك المنظر وليكن تعطيشا فانه اجدر
ان يشرب فيتعلم بذلك مرارا ثم تفسح المنظر اولا فاولا
حتى لا ينكر ما هو فيه ولا يزال حتى يعتاد الشرب
بغير ستر قال واعلم ان الحمام الاهلي الذي قد
عاين الناس وشرب من المساقي ولقط في البيوت
يجبل بالوحدة ويستوحش بالغربة واعلم ان الوحشي
يستانس والاهلي يستوحش قال واعلم انه ينبغي التاديب
اذا اهمل كما يتادب بعد الاهمال واذا زجلته
فلا تتطرف فيه من نصف الغاية الى الغاية ولكن

رتب ذلك فانه ربما اعتاد المجي من ذلك البعد فمتى ارسلته من
اقرب منه تحير واراد ان يبتدي امره ابتدا وهم اليوم لا يفعلون
ذلك لانه اذا بلغ الرقة او فوق الرقة شيا فقد صار عندهم
وصار له اسم وعلة فهو لا يرى ان يخاطر بشي له مقدار ولكنه
ان جاء من هيت اذن به لانه ان ذهب لم يذهب بشي له ثمن
ولا خطاير له رياسة وليس له اسم ولا ذكر فان ذهب ذهب
شي ليس له كبير خطر وان جاء من الغاية فقد حوى ملكا
على نظراه اليوم قال ولا ترسل الزاجل حتى تستانف به
الرياضة ولا تدع ما يعتريه الزاجل ان يحضن بيضا ولا
يجثم عليه فان ذلك مما ينقضه ويفتحه ويعظم له راسه
لانه يسمن عند ذلك وتكثر رطوبته وتعرق الحرارة
تلك الرطوبة اجادة العارضة الى راسه فان كان البيض
ورق وحضن احتجت الى تضميره واستيناف سياسته
ولكن ان بدا لك ان تستفرخه ما ينقل بيضه الى غيره
بعد ان تعلمه بعلامة تعرفه بها اذا تصدع واذا اصاب ايضا

الحمام فرخ ودع عنه طلب من الجوارح له قال اياك ان تعيده
الى الزجل حتى تروضه وتستفرخه فان ذلك الزجل لا يفارقه
ولا يسكن حتى تستانف به التوطين وان اردت ان تستكثر
من الفراخ فاعزل الذكور عن الاناث شهرا او نحوه حتى
يصبو بعضها الى بعض ثم اجمع بينها فان بيضها يسكن
ويقل سقطه ومروقه وكذلك كل ارض اثرت وكذلك
الحيال من الحيوان وقال الاعشى

من سراة الهجان صلبها العض ورعي الحمى وطول الحيال

وقال الحرث بن عباد وذلك مثلا حيث يقول

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال

قال افليمون لصاحبه وانا احدثك عن نفع الحمام الحديث
يزيدك فيها رغبة وذلك ان ملكين طلب احدهما ملك صاحبه
وكان المطلوب اكثر مالا واقل رجالا واخصب بلادا
وكانت بينهما مسافة من الارض بعيدة فلما بلغه ذلك دعا
خاصته فشاورهم في امره وشكا اليهم خوفه على ملكه

فقال بعضهم دامت لك ايها الملك السلامة ووقيت المكروه ان الذي
تاقت اليه نفسه قد يحتال باليسير من الطمع وليس من شان
العاقل التغرير وليس بعد المناجزة بقية والمناجز لا
يدري لمن تكون الغلبة فالتمسك بالتقية خير من الاقدام
على الغرر وقال بعضهم دام لك العز ومد لك في البقا
ليس في الذل درك ولا في الرضا بالضيم بقية والراي
اتخاذ الحصون واذكا العيون والاستعداد للقتال
فان الموت في المحاماة عن العز خير من الحيوة في الذل في ذل خير
وقال بعضهم وقيت وكفيت واعطيت فضل المزيد
الراي طلب المصاهرة له والخطبة اليه فانا لصهر سبب
الفة تقع به الحرمة وتثبت به المودة ويحل به صاحبه
المحل الادنى ومن دخل من صاحبه هذا المدخل لم يخله
مما عراه ولم يمتنع من مساواته من ناواه فاليمن خلطته عنها
فانه ليس بعد الخلطة عداوة ولا مع الشركة مباينة
قال الملك كلكم قد اشار برأي ولكل امر مدة وانا ناظر

وبالله العصمة وبشكره تتم النعمة فاظهر الخطبة الى الملك الذي
فوقه وارسل رسلا واهدى هدايا وامرهم بمصانعة من يصل
اليه ودس رجالا من ثقاته فامرهم باتخاذ الحمام في بلاده وتوطينهن
والتخذ ايضا عند نفسه مثلهن ورفعوهن من غاية الى غاية فجعل
هؤلاء يرسلونهن من بلاد صاحبهم وجعل من عند الملك يرسلونهن
من بلاد الملك وامرهم بمكاتبته بخبر كل يوم وتعليق الكتب
في اصول اجنحة الحمام فكان لا يخفى عليه شي من امره واطمعه
الملك في التزويج واستفزه وطاوله فتابع بين الهدايا
ودس الى حرسه رجالا يلاطفونهم حتى صاروا يبيتون بابوابه
معهم فلما كتب اصحابه اليه بغرته فاتاه الخبر اليه من يومه
سار اليه في جند قد انتخبهم حتى اذا كان على ليلة او بعض ليلة
اخذ مجامع الطرق ثم بيتهم ووثب اصحابه من داخل وهو وجنده
من خارج ففتحوا الابواب وقتلوا الملك واصبح قد غلب على ملك
المملكة فعظم شانه واعظمته الملوك وذكر فيهم بالحزم
والكيد وانما كان سبب ذلك كله الحمام قال واخبرك

ايضا عن الحمام لحديث آخر في أمر النساء والرجال وما يصاب من اللذة
منهن والصواب في معاملتهن وذلك أن رجلا أتاني مرة فشكا إلي
حاله بفتاة علقها فزوجه أباها وكانت جارية عذراء
حسناء بكرا وكانت ذات عقل وحياء وكانت عزيزة في جنس النساء
من استمالة اهواء الرجال ومن أحدهما بنصيبها من لذة النساء فلما دخل
بها امتنعت عليه ودفعته عن نفسها فراودها بكل ضرب كان
يحسنه من لطف وادخل عليها من نسائه ونسائها من ظن انها تقبل
منهن فأعيتهن حتى هم بفرقها مع شدة وجده بها فأتاني فشكا
ذلك إلي فأمرته أن يفردها ويخليها من الناس فلا يصل إليها أحد
وأن يضعف لها الكرامة في اللطف والإقامة لما يصلحها من
من مطعم وملبس أو طيب أو غير ذلك مما تلهو به المرأة وتعجب به
وأن يجعل خادمها عجمية لا تفهم عنها وهي في ذلك عاقلة لا
تفهمها الا بالايما حتى تستوحش إليه وإلى كل من يقبل إليها
من النساء حتى تشتهي أن تجد من يراجعها الكلام وتشكو إليه
وحشة الوحدة وأن يدخل عليها من الحمام أزواجا ذوات صور

حسنة وتخيل وهدير وبصبصة تفرق في بيت نظيف ويجعل لهن في
البيت ما يريد وبين يدي البيت حجرة نظيفة ويفتح إليها من بيتها
بابا فيصير نصب عينها فتلهو بهن وتنظر إليهن ويجعل دخوله
عليها في اليوم دفعة لا يزيدها فيه على النظر إلى تلك الحمام
والتسلي بهن والاستدعاء لهن إلى الهدير ساعة ثم يخرج
فإنها لا تلبث أن تتفكر في صنيعهن إذا رأت حالهن وإن حركها
الطبيعة حتى يكون أوفق الملاعب لها الدنو منهن وأغلب
الملاهي عليها النظر إليهن فإن الحواس لا تؤدي إلى النفس شيئا
من قبل سمع أو بصر أو ذوق أو شم أو مجسة إلا تحرك من العقل
في قبول ذلك أو رده والاحتيال في إصابته أو دفعه أو
الكراهة له أو السرور بقدر ما تحرك النفس منه فإذا رأيت
الغالب عليها الدنو منهن والتأمل لهن فأدخل عليها امرأة
مجربة غزلة تأنس بها وتفطنها لصنيعهن وتعجبها منهن وتستميل
فكرها إليهن وتصف لها موقع اللذة على قدر ما ترى من تحول
الشهوة ثم أخرج المرأة عنها وحاول الدنو منها فإن رأيت

كراهية أمسكت واعرف المرأة اليها فانها لا تلبث أن تمكنك فان
فعلت ما تحب وأمكنتك بعض الامكان ولم تبلغ ما تريد فاخبرني
بذلك فتفعل قال دخلت له من المرأة فلتسلها عن حالها في نفسها
وحالك عندها لعل فيها طبيعة من الحيا تمنعها من الانبساط
أو لعلها غير لا يلتمس ما قبلها بالخرق فتفعل وأمر المرأة ان تكشفها
عن ذات نفسها فشكت اليها الخرق فأشارت عليها بالمتابعة
وقالت اخبريني بما ترين من حال هذا الحجام فقد ترين الزوجين
كيف يصنعان فقالت قد تأملت ذلك فعجبت ولست احسنه
فقالت لها لا تمتنعي منه ولا تحملي على نفسك له وان وجدت من نفسك
شيئا تدعوك اليه لذة فاصنعيه فان ذلك يأخذ بقلبه ويزيد
في حبه ويحركه لكي يعطيك اكثر مما اعطاك فلم يلبث ان زال الحجبة
وسقطت الحشمة وذهبت المداراة فكان سبب الصلح لهما
والخروج من الوحشة الى الانسة ومن الحال الداعية الى فراقها
الى الحال الداعية الى ملازمتها والضرب بها الحجام فقال صاحب
الحجام ما اكثر من الرجال من ليس يمنعه من دخال الحمام الى نسائه

الا هذا الشي الذي حث عليه صاحب الفراسة وذلك ان تلك الرؤية
تذكر وتشهي وتحن واكثر النساء بين ثلثة احوال اما امراة
من مات زوجها فيحرك طباعها الخطار بأمانيها وعفافها
والمغيبة في مثل هذا المعنى والثالثة امراة من طال لبثها
مع زوجها فذهب الاستطراف وماتت الشهوة فاذا رأت
ذلك تحرك منها كل ساكن وذكرت ما كانت عنه مندوحة
والمرأة سليمة العرض والدين والصدر ما لم تحضر فتنذرها الخواطر
ولم تستهجها لذات اللذة وتخبر الشهوة فاما اذا دفع ذلك فعزمها
أضعف العزم وعزمها عند ركوب الهوى أقوى العزم فاما الا
العزبات فهن الى ان يوصفن بالقراءة في المصحف وحسن الهدى والاذ
يصرن الى طلب الشح والجبن والكزازة حتى لا يتمتعن من احاديث
الباه والغزل قليلا ولا كثيرا أخبرني ولقد رأيت عجوز
سندية ظهر بعير فلما اقبل بها هدر البعير واذبر فخفضها فخض
السقا وجعلها من كأنها من هو فقالت بلسانها وهي سندية
عجمية أخزى الله هذا الجمل فانه يذكر بالسير نيذا اخري
الزمل

الله هذا الجبل فانه يذكر بالشر قال حدثنا ابن النادة محمد بن عباد بن
كاسب قال وحدثنا ربعي الانصاري ان عجوزا من الاعراب
جلست في طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا لهم فسقوها قدحا
فطابت نفسها وتبسمت ثم سقوها قدحا اخر فاحمر وجهها وضحكت
فسقوها قدحا ثالثا فقالت خبروني عن نسايكم بالعراق أيشربن
من هذا الشراب قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة وزعم ابرهيم
الانصاري المعتزلي ان عباس بن يزيد بن جرير دخل مقصورة لبعض
جواريه فابصر حماما قد قطع حمامة ثم كسح بذنبه ونفش
راسه فقال لمن هذا الحمام فقالوا لفلان خادمك الغنوي خصيا
له فقدمه فضرب عنقه وقد قال الحطيئة لفتيان من بني قريع
وقد كانوا رعاع جلسوا بقرب خيمته فتغنى بعضهم غنا الركبان
فقال يا بني قريع اياي والغنا فان الغنا داعية الزنا واما ابو
احمد التمار المتكلم فانه شهد صاحب حمام في يوم مجي حمامه
من واسط وكانت واسط يوميذ الغاية فراه كلما اقبل طاير
من حمامه يتعرد ويرقص فقال والله اني لأدري منك عجبا أراك تفرح

بان جاءك حمام من واسط وهو ذاك الذي كان وهو الذي جا وهو الذي
افقرني وانت لم يجي فلم تهتد وخبر حمام من واسط لم يجي معه بشي
من خبز ابي حمزة ولا بشي من مقاريض واسط ودبوبون واسط
ولا جاءه بشي من خطمي وشي من جوز وشي من زبيب وقد مد
بسكر فان كان عن خبر السكر ودجاج كسكر وسمك
كسكر وصحناة كسكر وربيثا كسكر وذهب صحيحا نشيطا
ورجع مريضا كسلان وقد عرفت ما غرمت فقل لي ما وجه
فرحك قال فرحي اذ ارجو ان ابيعه بخمسين دينارا قال ومن يشتريه
منك بخمسين دينارا قال فلان وفلان وفلان فقام ومضى الى
فلان فقال زعم فلان انك تشتري حماما جا من واسط بخمسين
دينارا قال صدق قال فقل لي فلم تشتريه بخمسين دينارا قال
لانه جا من واسط قال فاذا جا من واسط فلم تشتريه بخمسين
دينارا قال لاني ابيع الفرخ منه بثلثة دنانير والبيضة بدينار
قال ومن يشتريه بعينك قال مثل فلان وفلان فاخذ ثوبه ومضى
الى فلان فقال زعم فلان انك تشتري فرخا من طاير جاء من

يعني سمك

واسط بثلاثة دنانير والبيضة بدينارين قال صدق قال فقل لي لم اشترى
فرخه بثلاثة دنانير قال لأنه إذا جاء من واسط قال ولم تشتريه بثلاثة
دنانير إذا جاء أبوه من واسط قال لأني أرجو أن يجيء من واسط قال
وإذا جاء من واسط أي شيء يكون قال يكون أن أبيعه بخمسين دينارا
قال ومن يشتريه منك بخمسين دينارا قال فلان يشتريه بخمسين
دينارا قال فتركه ومضى إلى فلان فقال زعم فلان أن فرخا
من فراخه إذا جاء من واسط اشتريته قال صدق قال ولم تشتريه
بخمسين دينارا قال لأنه جاء من واسط قال فإذا جاء من واسط
لم تشتريه بخمسين دينارا فأعاد عليه مثل قول الأول فقال لا
رزق الله من يشتري حماما جاء من واسط بخمسين ولا رزق الله إلا
من لا يشتريه بقليل ولا كثير وأبو أحمد هذا هو الذي قال وهو
يعظ بعض المسرفين لو أن رجلا كان عنده ألف ألف دينار
ثم أنفقها لذهبت كلها وإنما سمع قول القائل لو أن رجلا عنده
ألف ألف دينار فأخذ منها ولم يضع عليها لكان خليقا أن يأتي
عليها وهو الذي قال في قصصه ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه

حتى آذاه فقال لولا أني أستحيي والله من ذكره وهو الذي قال للمهدي بلغني
أن في أرضك أشياء بهمية فهب لي منه أشياء من أمر الله عظيما وكان
وكان نجد الأقبل أن يكون تمارا فزعم عند سليم الجداد
ولحوه ثابت أنه قال يوما وذكر الحمام حين زهد في بيع الحمام
وذكر بعض الملوك فقال أما فلان فإنه لما بلغني أنه يلعب
بالحمام سقط من عيني ۞ تم القول في الحمام والحمد وحده

القول في الذبان

بسم الله وبالله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على
رسول الله أوصيك أيها القارئ المتفهم وأيها السامع المنصت
أن لا تحقر شيئا أبدا لصغر جثته ولا تستصغر قدره لقلة
ثمنه ثم اعلم أن الجبل ليس بأدل على الله من الحصاة ولا الفلك
المشتمل على عالمنا هذا بأدل على الله من بدن الإنسان وأن
صغير ذلك ودقيقه كعظيمه وجليله ولم تفترق الأمور في
حقائقها وإنما افترق المفكرون فيها ومن أهمل النظر وأغفل
مواضع الفرق وفصول الحدود فمن قبل ترك النظر ومن قبل قطع

قبل

النظر ومن جهة النظر من غير جهة النظر ومن قبل الإخلال ببعض المقدمات
ومن قبل ابتداء النظر من جهة النظر واستتمام مع انتظام المقدمات
اختلفوا وهذه الخصال هي جماع هذا الباب إلا ما لم نذكره من باب
العجز والنقص فأما الذي امتنع من العلم فهو من قبل النقصان الذي في
الخلقة باب على حدة وإنما ذكرنا باب الخطأ والصواب والتقصير
والتكميل وإياك أن تسيء الظن بشيء من الحيوان لاضطراب الخلق ولتفاوت
التركيب ولأنه مشنوء في العين أو لأنه قليل النفع والرد فإن
الذي تظن أنه أقلها نفعا لعله أن يكون أكثرها ردا فإن لا يكن
ذلك من جهة عاجل أمر الدنيا كان ذلك في آجل أمر الدين وثواب
الدين وعقابه باقيان ومنافع الدنيا فانية زائلة فلذلك قدمت
الآخرة على الأولى فإذا رأيت شيئا من الحيوان بعيدا من المعاونة
وجاهلا بسبب المكانفة أو كان مما يشتد ضرره وتشتد
الحراسة منه كذوات الأنياب من الحيات والذئاب وذوات
المخالب من الأسد والنمور وذوات الإبر والشعر من العقارب والدبر
فاعلم أن منافعها من جهة الامتحان والبلوى ومن جهة ما أعد الله

للصابرين

عنهم

للصابرين لمن فهم عنهم ولمن علم أن الاختيار والاختبار لا يكونان
والدنيا كلها شر صرف أو خير محض وأن ذلك لا يكون إلا بالمزاجة
من المكروه والمحبوب والمؤلم والملذ والمحقر والمعظم والمأمون والمخوف
فإذا كان الحظ الأكبر في الاختيار والاختبار وبهما يتوصل
إلى ولاية الله وأبد كرامته وكان ذلك لا يكون إلا في الدار
الممزوجة من الخير والشر والمشتركة المركبة فاعلم موضع
النفع في خلق العقرب ومكان النفع في صنع الحية ولا تحقرن
الجرجس والفراش والذر والذبان والبقة حتى تفكر في الباب الذي
رميت إليه بجملته فإنك ستكثر حمد الله في خلق الهمج والحشرات
وذوات السموم والأنياب كما تحمده على خلق الأغذية من الماء والنسيم
فإن أردت الزراية والتحقير والعداوة والتصغير فامض في ذلك
كله إلى الجن والإنس فاحقر منهم كل من عمل عملا من جهة
الاختيار يستوجب به الاحتقار ويستحق عنده المقت من
وجه التصغير به من وجه فإن أتت بنية الطبيعة واستقللت
من جهة الفطرة ضربين من الحيوان ضرب يقتلك بسمه وضرب

بعقب كل شدة أمر لم تعلم الا ان عليك ان تعلم ان خالقهما لم يخلقهما لزوال
وانما خلقهما للتصبر على ادائهما لان تنال بالصبر الدرجة التي يستحيل
ان تنالها الا بالصبر والصبر لا يكون الا على عاجل مكروه فتنسوا
على ما لك ان المكروه سبعا او مرضا قاتلا وعلى الامل لا تدري
لعل النزع والعلز والحشرجة ان تكون اشد من لذع
حية فان لا يكن له حية فتذكر حرقة النار والم كلام الدهر فلعل
هناك من الكرب ما يكون موقعه من النفس فوق ذلك وقد علمنا
ان الناس يعدون الانتظار لوقع السيف على صليف العنق جهد البلاء
وليس ذلك الجهد من شكل لذع النار والم ضرب العصي فانهم ير جل
الله مواقع النفع كما يعرفها اهل الحكمة واصحاب الاحساس
الصحيحة ولا تذهب في الامور مذهب العامة وقد جعلك
الله من الخاصة فانك مسؤول عن هذه الفضيلة فانها لم تجعل
لعبا ولم تترك هملا واصرف بغضك الى من يريد ظلمك ولا يراقب
فيك الا ولا ذمة ولا كتابا ولا سنة وكلما زادك الله نعمة
ازداد عليك حنقا ولك بغضا ومن كل العزاز وافرق كل الفرد

واحترس

واحترس من كل الاحتراس ممن لا يراقب الله فانه لا يخلو من احد امرين
اما ان يكون لا يعرف ربه مع ظهور اياته ودلالاته وسبوغ
الائه وتتابع نعمائه ومع برهانات رسله وبيان كتبه واما
ان يكون به عارفا وبدينه موقنا وعليه مجترئا وبحرماته مستخفا
فان كان بحقه جاهلا فهو بحقك اجهل وله انكر وان كان
به عارفا وعليه مجترئا فهو عليك اجرا ولحقوقك اضيع
ولايديك اكفر فاما خلق البعوضة والنملة والفراشة والذرة
والذبان والجعلان واليعاسيب والجراد فاياك ان تتهاون
بشان هذا الجند وتستخف بالالة التي في هذا الذرء فربت امة
قد اجلاها عن مساكنها النمل ونقلها عن مساقط رؤوسها
الذر واهلكت بالفار وجردت بالجراد وعذبت بالبعوض
وافسد عيشها الذبان فهي جند ان اراد الله ان يهلك بها قوما
بعد طغيانهم وتجبرهم ليعرفوا وليعرف بهم ان كثير امرهم
لا يقوم بالقليل من امر الله وفيها بعد معتبر وموعظة ومحتج
لمن استبصر وبلوى ومحنة وعذاب ونقمة وسبب الى الفكرة

والصبر وهما جماع الخير في باب المعرفة والإبانة وفي باب الأجر وعظم
المثوبة وسنذكر جملة من شأن الذبان ثم نقول في جملة ما يجري
من شأن الجعلان والغربان قالوا ويقال في موضع الذم والهجاء ما هو
إلا فراش نار ويقال أطيش من فراشة وأزهى من ذباب وقال الشاعر
كأن بني ذويبة رهط قد فراش حول نار يصطلينا
يطفن بحرها ويقعن فيها ولا يدرين ماذا يتقينا
والعرب تجعل الفراش والنحل والزنابير والدبر كلها من الذبان
وأما قولهم أزهى من ذباب فلأن الذباب يسقط على أنف الملك الجبار
وعلى موق عينه ليأكله ثم يطرده فلا ينطرد والأنف هو النخوة
وموضع التجبر وكان من شأن البطارقة وقواد الملوك إذا
أنفوا من شيء أن ينخروا كما ينخر الثور عند الذبح والبرذون
عند النشاط والأنف هو موضع الخنزوانة والنعرة وإذا كرهت
الناقة الفحل أن تلقح فإنما تزم بأنفها والأصيد الملك الذي تراه
أبدا من كبره مائل الوجه وشبه بالأسد فقيل أصيد لأن عنق
الأسد من عظم واحد فهو لا يلتفت إلا بكله فلذلك يقال

للمتكبر إنما أنفه في أسلوب ويقال أرغم الله أنفه وأذل معطسه
ويقال وستفعل ذلك وأنفك راغم والرغام التراب ولولا
كذا لهشمت أنفك وإنما يخصون بذلك الأنف لأن الكبر
إليه يضاف وقال الشاعر
يا رب من يبغض أذوادنا رحن على بغضائه واغتدين
لو نبت البقل على أنفه لرحن منه أصلا قد أبين
ويقال للبعير مذبوب إذا عرض له داء يدعو الذبان إلى السقوط
عليه وهم يعرفون الغدة إذا فشت وأصابت البعير بسقوط
الذبان عليه وبسقوط الذبان على البعير يحتال الجمال للسلطان
إذا كان من تسخير إبله وهو لذلك كاره فإذا كان فيها جمل
نفيس أو ناقة كريمة فإنه يعمد إلى الخضخاض فيصب فيه
شيئا من دبس ثم يطلي به ذلك البعير فإذا وجد الذبان ريح
الدبس تساقطن عليه فيدعي عند ذلك أنه غدة ويجعل
الشاهد عند السلطان ما يوجد عليه من الذبان فما أكثر
ما يخلصون من كرائم أموالهم بالحيلة من أيدي السلطان ولا

الخضخاض نفط أسود رقيق تهنأ به الإبل الجرب قاموس

بطنه لذلك السلطان الا انه متى شاء ان يبيع مائة اعرابي بدرهم فعل
والغدة عندهم تعدي وطباع الابل اقبل شيء للادواء التي تعدي
يقول الجمال عند ذلك للسلطان لو لم اخف على الابل الا على
بعيري هذا المغدّ لم ابل ولكني اخاف اعداء الغدة ومعرتها
في سائر ابلي فلا يزال يستعطفه بذلك ويحتال له بوجه حتى يخلي
سبيله ويقال ان الذبان لا تقرب قدرا فيها كمأة كما
لا تدخل سام ابرص بيتا فيه زعفران ومن اصابه عض الكلب
الكلب حمّوا وجهه من سقوط الذبان عليه قالوا وهو اشد عليه
من سقوط النبر على البعير والنبر دويبة اذا دبت على البعير
تورم ودبت مكان ذلك سبيها كهـ قال الشاعر وهو يذكر
سمن ابله وعظم ابدانها   النجيل نبت تسمن عليه الابل
حمر تحقنت النجيل كأنما   بجلودهن مدارج الانبار
وليس في الارض ذباب الا وهو اقرح ولا في الارض بعير الا وهو
اعلم كما انه ليس في الارض ثور الا وهو افطس ويقال كل بعير اعلم
يقول عنترة
وحليل غانية تركت مجدلا   تمكو فريصته كشدق الاعلم

حمّوا
اي غطوا

كانه

كأنه قال كشدق البعير اذ كان كل بعير اعلم والشعرا
يشبهون الضربة بشدق البعير ولذلك قال الشاعر
كم ضربة لك تحكي فا قراسية   من المصاعب في اشداقها شنع
وقال الكميت   مشافر قرحى اكلن البريرا
واذا قيل الاعلم علم انه البعير واذا قيل الاقرح علم انه يعني
الذباب وقد قال الشاعر
ولانت اطيش حين تغدو سادرا   حذر الطعان من القدوح الاقرح
يعني الذباب لانه اقرح ولانه يحك ابدا احدى ذراعيه على
الاخرى كأنه يقدح بعودي مرخ وعفار او عرجون او غيره
ذلك مما يقدح به ولا نعلم في الارض شاعرا تقدم في تشبيه
مصيب تام وفي معنى غريب عجيب او في معنى شريف كريم
او في معنى بديع مخترع الا وكل من جاء من الشعراء من بعده
او معه ان هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه او يدعيه باسره
فانه لا يدع ان يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكا فيه
وكالمعنى الذي يتنازعه الشعراء فتختلف الفاظهم واعا
ريض

اشعارهم ولا يكون احد منهم اخترع لذلك المعنى من صاحبه او لعله
يجد انه سمع بذلك المعنى قط وقال لخطر على بالي من غير سماع كما
خطر على بال الاول هذا اذا قرعوه في الاماكان من عنترة في
صفة الذباب فانه وصفه فاجاد صفته فتحامى معناه جميع الشعرا
فلم يعرض له احد منهم ولقد عرض له بعض المحدثين ممن كان يحسن
القول فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ومن اضطرابه فيه انه صار
دليلا على سوء طبعه في الشعر قال عنترة

جادت عليها كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم
وترى الذباب بها يغني وحده هزجا كفعل الشارب المترنم
غردا يحك ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الاجذم

يريد فعل المكب الاقطع على الزناد والاجذم المقطوع اليدين
فوصف الذباب اذا كان واقعا ثم حك احدى يديه بالاخرى
فشبهه عند ذلك برجل مقطوع اليدين يقدح بعودين ومتى سقط
الذباب فانه يفعل ذلك ولم اسمع في هذا المعنى بشعر ارضاه
غير شعر عنترة وكان عندنا في بني العدوية شيخ منهم شديد

العارضة فيه توضيع فسمعني اقول وقد جاء في الحديث ان تحت جناح
الذباب اليمين شفاء وتحت جناحه الاخر سما فاذا سقط في اناء
او في شراب او في مرق فاغمسوه فيه فانه يرفع عند ذلك الجناح
الذي فيه الشفاء ويحط الجناح الذي فيه السم فقال بابي انت
وامي هذا يجمع العداوة والمكيدة وكان عندنا ناس من الازد
وابن حزن هذا عدوي من آل عموج وكان يتعصب لاصحابه
من بني تميم وكانوا على المائدة فسقط ذباب في قدح بعضهم
فقال بعضهم غط التميمي ثم سقط آخر في قدح انسان آخر
فقال بعضهم غط التميمي فلما كان في الثالثة قال ابن حزن
غطه فانه لو كان تميميا لرسب ولو كان ازديا لطفا فقال
رب المنزل ما سرني انه كان تنصحكم فاوما عني ان ازدي كان
ملاحون والذبان ضروب سوى ما ذكروا من الفراش والنحل
والزنابير فمنها الشعراء قال الراجز

ذبان شعر او بنات مايل ⁂ وللكلاب ذبان على حده

تعلق منها ولا تريد سواها ومنها ذبان الكلا وذبان الرياض

[illegible]



وكل نوع منها بالف ما خلق له. قال ابو النجم

مستأسد ذبانه في غيطل ... يقلن للرائد أعشبت انزل

والعرب تسمي طنين الذباب والبعوض غناء. وقال الاخطل ناعتة الثور

فرد تغنيه ذبان الرياض كما ... غنى الغواة بصنج عند اسوار

وقال حضرمي بن عامر في طنين الذباب

ما زال اهدا القصائد بيننا ... شتم الصديق وكثرة الالقاب

حتى تركت كأن امرك بينهم ... في كل مجمعة طنين ذباب

ويقال ما قولي هذا عندك الا طنين ذباب. وللذبان وقت تهيج
للسفاد مع قصر اعمارها. وفي الحديث ان عمر الذباب اربعون يوما
ولها ايضا وقت تهيج في اكل الناس وعضهم وشرب دمائهم
وانما يعرض هذا الذبان البيوت عند قرب اجلها فان هلاكها
يكون بعد ذلك وشيكا. والذبان في وقت من الاوقات حتوف الابل
والدواب. والذبان والبعوض من ذوات الخراطيم فلذلك اشتد عضها
وقويت على خرق الجلود الغلاظ. وقال الراجز في صفة البعوضة

مثل السفاة دائم طنينها ... ركب في خرطومها سكينها

حديث عمر الذباب اربعون يوما

بفتح الواو وكسر الشين المعجمة وسكون الياء يعني قريبا

وقالوا ذوات الخراطيم من كل شيء اقوى عضا ونابا وفكا كالذئب
والخنزير والكلب. واما الفيل فان خرطومه هو انفه كما ان
لكل شيء من الحيوان انفا وهو يده ومنه يغني وفيه تجري
الصوت كما تجري الزامر الصوت في القصبة بالنفخ ومتى تضاغط
الهواء صوت على قدر الضغط وعلى قدر السبب. والذباب
اسم للواحد والذبان اسم للجماعة واذا ارادوا التصغير والتقليل
قالوا كما قال الشاعر

رأيت الخبز عز لديك حتى ... حسبت الخبز في جو السحاب

فما روحتنا لتذب عنا ... ولكن خفت مرزئة الذباب

وقال آخر

لما رأيت القصر اغلق بابه ... وتعلقت همدان بالاسباب

ايقنت ان امارة ابن مضارب ... لم تبق منها قيس اير ذباب

وقال بعضهم لم يرد مقدار ابره انما ذهب الى مثل قول ابن احمر

ما كنت عن قومي بذا اهلة ... لو ان معصيا له امر

كلفتني مخ البعوض فقد ... اقصرت لا نجح ولا عذر

وقالوا ليس شيء مما يطير يلغ في الدم وانما يلغ في الدما من السباع
ذوات الاربع فاما الطير فانما تشرب حسوا وجرعا ونغبة
بعد نغبة وسباع الطير قليلة الشرب للما والاسد كذلك
وقال ابو زبيد الطائي

تذب عنه كف بها رمق طيرا عكوفا كزور العرس
اذا ونى ونية دلفن له فهن من والغ ومنتهس

قالوا فالطير لا يلغ وانما يلغ الذباب وجعله من الطير وهو وان
كان يطير فليس ذلك من اسمائه فاذ قد جاز ان يستعير له اسم
الطائر جاز ان يستعير للطير ولغ السباع فيجعل حسوها
ولغا وقال الشاعر

سريع الي ولغ الدما رماحهم وفي الحرب والهيجا اسود ضراغم

قال وفي الذبان خصلتان من الخصال المحمودة اما احداهما فقرب الحيلة
لصرف اذاها ودفع مكروهها لمن اراد اخراجها من البيت فليس
بينه وبين ان يكون البيت على المقدار الاول من الضيا والكن بعد
اخراجها مع السلامة من التاذي بالذبان الا ان يغلق البا

فانهن

فانهن يتبادرن الى الخروج ويتسابقن في طلب الضوء والهرب من الظلمة
فاذا ارخي الستر وفتح الباب عاد الضوء وسلم اهله من مكروه الذبان
فان كان في الباب شق والا جافى المغلق احد البابين عن صاحبه
ولم يطبقه عليه اطباقا فاو ربما خرجن من الشق الذي لا يزال يكون
بين اسفل الباب والعتبة والحيلة في اخراجها والسلامة من
اذاها يسيرة وليس كذلك البعوض لان البعوض انما يقوى سلطا
ويشتد كلبه في الظلمة كما يقوى سلطان الذبان في الضيا
وليس يمكن الناس ان يدخلوا منازلهم من الضيا ما يمنع عمل
البعوض لان ذلك لا يكون الا بادخال الشمس والبعوض لا يكون
الا في الصيف وشمس الصيف لا صبر عليها وليس في الارض ضيا
انفصل من الشمس الا ومعه نصيبه من الحر وقد يفارق الحر الضيا
في بعض المواضع والضيا لا يفارق الحر في مكان من الاماكن
فامكان الحيلة في الذبان يسير وفي البعوض عسير والفضيلة ه
الاخرى انه لولا ان الذبابة تاكل البعوض وتطلبه وتلتمسه
على وجوه حيطان البيوت وفي الزوايا لما كان لاهلها فيها قرار

فائدة عجيبة

وذكر محمد بن الجهم فيما خبرني به بعض الثقات أنه قال لهم ذات يوم
هل تعرفون الخبر الذي استفدناه في الذبان قلنا لا قال بلى إنها
إنها تأكل البعوض وتصيده وتلتقطه وتفنيه وذلك أني كنت
أريد القائلة فآمر بإخراج الذبان وطرح الستر وإغلاق
الباب قبل ذلك بساعة فإذا خرجن حصل في البيت البعوض
في سلطان البعوض وموضع قوته فكنت أدخل إلى القائلة
فيأكلني البعوض أكلا شديدا فأتيت ذلك المنزل في وقت القائلة
فإذا البيت مفتوح والستر مرفوع وقد كان الغلمان أغفلوا
ذلك في يومهم فلما اضطجعت للقائلة لم أجد البعوض شيئا
وقد كان غضبي اشتد على الغلمان فنمت في عافية فلما كان
الغد أعادوا إغلاق الباب وإخراج الذبان فدخلت
ألتمس القائلة فإذا البعوض كثير ثم إنهم أغفلوا إغلاق
الباب يوما آخر فلما رأيته مفتوحا شتمتهم فلما صرت
إلى القائلة لم أجد بعوضة واحدة فقلت في نفسي عند ذلك
أراني قد نمت في يومي الإغفال والتضييع وامتنع مني النوم

في أيام التحفظ والاحتراس فلم لا أجرب ترك إغلاق الباب في يومي
هذا فإني لمت يومين لا ألقى من البعوض أذى مع فتح الباب علمت
أن الصواب في الجمع بين الذبان والبعوض وأن الذبان هي التي تفنيه
وأن صلاح أمرنا في تقريب ما كنا نباعد ففعلت ذلك فإذا
الأمر قد تم فصرنا إذا أردنا إخراج الذبان أخرجناها بأيسر
حيلة وإذا أردنا إفناء البعوض أفنيناها على أيدي الذبان
بأيسر حيلة فهاتان خصلتان تعرفنا في الذبان وكان
ابن الجهم يقول لا تتهاونوا بكثير مما تسمعون من علاج العجا
ئز فإن كثيرا من ذلك إنما وقع إليهم من قبل قوما الا
طباء
كالذبان يلقى في الإثمد فيسحق معه ليزيد ذلك في نور البصر
ونفاذ النظر وفي تشديد مراكز شعر الأجفان في حافات
الجفون وقلت له مرة قيل لماسرجويه ما بال الأكرة وسكان
البساتين مع أكلهم الكراث والتمر وشربهم ماء السواقي
على الملح أقل الناس خشفانا وعميانا وعمشانا وعورا
قال قد فكرت في ذلك فلم أجد له علة إلا طول وقوع أبصارهم

على الحضرة فقال ابن الجهم من أهل السفالة ناس يأكلون الذبان
وهم لا يرمدون وليس لذلك أكلوه وإنما هم كأهل خراسان الذين
يأكلون فراخ الزنابير والزنابير ذبان وأصحاب الجبن
الرطب يأكلون ديدان الجبن وكان الفرزدق يقول ليت
أنهم دفعوا إلي نصيبي من الذبان ضربة واحدة بشرط أن آكله
لراحة الأبد منه وكان زعموا شديد التقذر لها والفرزد
منها وقال ثمامة تساقط الذبان في مرق بعض القصاص
وعلى وجهه فقال كثر الله بكن القبور وحكى ثمامة
عن هذا القاص أنه سمعه يقول في قصصه اللهم
من علينا بالشهادة وعلى جميع المسلمين وقال المكي مرة
إنما عمر الذباب أربعون يوما فقلت هكذا جاء في الأثر
وكنا يوما بواسط في بعض أيام العساكر وليس
بعد أرض الهند أكثر ذبابا من واسط وربما رأيت الحائط
وكأن عليه مسحا شديد السواد من كثرة ما عليه من
الذبان فقلت للمكي أحسب أن الذبابة تموت في كل أربعين

يوما إن شئت ففي أكثر وإن شئت ففي أقل ونحن كما ترى ندوسها
بأرجلنا ونحن هاهنا مقيمون من أكثر من أربعين يوما وأربعين
يوما إلى ستة أشهر وما رأينا ذبابا واحدا ميتا فلو كان
الأمر كما تقول لرأينا الموتى كما رأينا الأحياء قال إن الذبان
إذا أرادت أن تموت ذهبت إلى بعض الخرابات قال قلت فإنا قد
دخلنا كل خربة في الدنيا ما رأينا فيها قط ذبابا ميتا وكان
المكي طيبا طيب الحجج كثير الحيل عجيب العلل وكان
يدعي كل شيء على غاية الإحكام ولم يحكم شيئا قط
لا من الجليل ولا من الدقيق وإذ قد جرى ذكره فسأحدثك
ببعض أحاديثه وأخبرك عن بعض علله لتتلهى بها ساعة
ثم نعود إلى بقية ذكر الذبان ادعى المكي البصر بالبراذين
ونظر إلى برذون واقف قد ألقى صاحبه في فيه اللجام فرأى فأس
اللجام وأين بلغ منه فقال لي العجب كيف لا يذرعه الغثي
وأنا لو أدخلت إصبعي الصغرى في حلقي لما بقي في جوفي شيء إلا
خرج قلت الآن علمت أنك بصير ثم مكث البرذون ساعة

يلوك اللجام فاقبل علي فقال كيف لا تبرد اسنانه قلت انما يكون
علمي هذا عند البصر اسألك ثم رأى البرذون كلما لاك الحديدة
سال لعابه على الارض فاقبل علي فقال لولا ان البرذون افسد
الخلق عقلا لكان ذهنه قد صفا قلت له قد كنت اشك في
بصرك بالدواب فاما بعد هذا فاني لست اشك فيه وقلت له مرة
ونحن في طريق بغداد ما بال الفرسخ من هذا الطريق يكون
فرسخين والفرسخ يكون اقل من مقدار نصف فرسخ ففكر طويلا
ثم قال كان كسرى يقطع الفراسخ فاذا صاحب القطيعة
زادوه واذا لم يصانع نقصوه ● وقلت له مرة علمت ان السبا
حدثني ان المخلوع بعث الى المامون بجراب فيه سمسم كانه
يخبره ان عنده من الجند بعدد ذلك الحب وان المامون بعث
اليه بديك اعور يريد ان طاهر بن الحسين يقتلهم كلهم كما
يلقط الديك الحب فقال ان هذا الحديث انا ولدته ولكن
انظر كيف قد سار في الآفاق واعاجيبه كثيرة ●
ثم رجع بنا القول الى صلة كلامنا في الاخبار عن الذبان

فاما سكان بلاد الهند فانهم لا يطبخون قدرا ولا يعملون حلوى
ولا يكادون ياكلون الا ليلا لما يتهافت من الذبان في طعامهم
وهذا يدل على عفن التربة ولخن الهواء وللذبان يعاسيب
وجحلان ولكن ليس لها قائد ولا امير ولو كانت هذه
الاصناف التي يحرس بعضها بعضا وتتخذ رئيسا يدبرها ويحوطها
انما خرج ذلك منها بالعقل دون الطبع وكالشيء يخص به البعض
دون البعض لكان الذر والنمل احق بذلك من الكراكي والغرانيق
والثيران ولكان الفيل احق به من البعير لانه ليس للذر
قائد ولا حارس ولا يعسوب يجمعها ويحميها ويعرض للمواضع
ويوردها بعض المواضع وكل قائد فهو يعسوب ذلك الجيش
المقود وهذا الاسم مستعار من فحل النحل وامير العسالات
ولذلك قال الشاعر وهو يعني الثور
كما ضرب اليعسوب ان عاف باقر وما ذنبه ان عافت الماء باقر
وكما قال علي بن ابي طالب عليه السلام في صلاح الزمان
وفساده فاذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه وعلى

ذلك المغيرة قال لما مر بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد قتيلا يوم الجمل
لهفي عليك جدعت أنفي وشفيت نفسي قالوا وعلى هذا المعنى قيل
يعسوب الطفاوة وزعم بعض الحكماء أنه لا ينبغي أن يكون في الأرض
شيء من جميع الأشياء أنتن من العذرة وكما أنه لا شيء أنتن من العذرة
فكذلك لا شيء أقذر من الذباب والقمل أما العذرة فلولا أنها كذلك
لكان الإنسان مع طول رؤيته لها وكثرة شمه لها من نفسه
في كل يوم صباحا ومساء لقد كان ينبغي أن يكون ذلك قد ذهب
على الأيام وتحول أو دخله النقص فتشابهها سبيل عامة أكثر أو
أقل على مقدار واحد من النتن في أنف من قد وجده ألف عام
وقد رأينا المران والعادات وصنيعها في الطبائع كيف تهون
الشديد وتقلل الكثير فلولا أنه فوق كل شيء في النتن لما ثبت
هذا الثبات ولعرض لها ما يعرض لسائر النتن فلو كان إنما نتن
شيئا خرج من جوف غيره ولم يخرج من جوف نفسه لكان ذلك
أشبه وإذ قد ثبت في أنفه على هذا المقدار وهو منه دون غيره
حتى صار حكمه أنتن من جميع جميع الأشياء فليس ذلك إلا لما

فارخص

قد خصه به من المكروه وكذلك القول في القمل الذي إنما يخلق من عرق
الإنسان ومن رائحته ووسخ جلده وبخار بدنه وكذلك الذبان الملا لطة
لهم في جميع الحالات والملابسة لهم دون جميع الموات والهمج والطير
والبهائم والسباع حتى تكون ألزم من كل ملازم وأقرب من كل
قريب حتى ما يمتنع عليه شيء من بدن الإنسان ولا من ثوبه ولا من
طعامه ولا من شرابه حتى لزمه لزوما لم يلزمه شيء قط كلزومه
حتى إنه ليساير السفر البعيد من مواضع الخصب فيقطع البراري
والقفار التي ليس بها ولا يقربها نبات ولا ماء ولا حيوان ثم مع
ذلك يتوخى عند الحاجة إلى القائلة في تلك البرية أن يفارق
أصحابه فيستذري عدوة أرض قي وفي صحصح خلقاء فلا يلبث أن يرى وقع
بصره على برازه رأى الذبان ساقطا (أي ملبيا) عليه وقبل ذلك ما كان لا
يراه فإن كان الذباب شيئا يخلق له في تلك الساعة فهذا العجب
مما ذكرنا وأكثر مما قلنا وإن كان قد كان ساقطا على الصخور
الملس والبقاع الجرد في اليوم القائظ في الهاجرة التي تشوي
كل شيء وينتظر مجيئه فهذا العجب مما قلنا وإن كانت قد تبعته

القي بالكسر قفر الأرض كالقواء بالكسر والمد قاموس

من الأمصار إما طار معه وإما سار فوقه عليه فلما برز انسلخ منه
إلى بدنه فهذا تحقيق لقولنا إنه لا يلزم الإنسان شيء لزوم الذبان
لأن العصافير والخطاطيف والزرازير والكلاب والسنانير
وكل شيء يألف دور الناس فهو يقيم مع الناس فإذا مضى
الإنسان في سفره فصار كالمستوحش وكالنازل بالقفار
فكل شيء أهلي يألف الناس فإنما هو مقيم على مثل ما كان
عليه من الفهم لهم ولا يتبعهم من دور الناس إلى منازل الوحش
إلا الذبان قال فإذا كان الإنسان يستقذر الذبان في
مرقه وفي طعامه هذا الاستقذار ويستقذر القمل ويجد
من الغرابة والنشر منه هذا الاستقذار فمعلوم أن ذلك
لم يكن إلا لما قد خصا به من القذر وإلا فبدون هذه الغرابة
وهذه الملازمة تطيب الأنفس عن كثير من المحبوب قال
وفي الذبان خبر آخر وذلك أنهما يعوذان بالمبيت على خوص
فسيلة أو تلا بها من قنابل الدور أو شجرة أو كلة أو باب
أو سقف بيت فيطرد فإذا اجتمعن لوقتهن عند المساء

أو ثلث ليال فيتفرقن ويحرق ذلك المكان في المستقبل وإن كان
المكان قريبًا وقولهم يعرض ثم لا بد عن أن يلتمس مبيتًا غيره
ولا يعرض لهن من اللجاج في ذلك المثل الذي يعرض لهن من كثرة
الرجوع إلى الجبين والأنف بعد الذب والطرد وبعد
الاجتهاد في ذلك وقال محمد بن حرب ينبغي أن يكون الذباب
سمًا ناقعًا لأن كل شيء يشتد أذاه باللمس دون غير ذلك
فهو بالمداخلة والملابسة أجدر أن يؤدي وهذه الأفاعي
والجرارات قد تمس جلودها ناس فلا يضرهم إلا بأن تلابس
إبرة العقرب وناب الأفعى الدم ونحن قد نجد الرجل يدخل
في خرق أنفه ذباب فيجول فيه أو لا من غير أن يجاوز ما حاذى
روثة أنفه وأرنبته فيخرجه الإنسان من جوف أنفه بالنفخ
وشدة النفس ولم يكن له هناك لبث ولا كان منه
عض وليس إلا ما مس بقوائمه وأطراف جناحيه فيقع
في ذلك المكان من أنفه من الدغدغة والأكال والحكة
ما لا يصنعه الجرب وبصل النرجس ولبن التين وليس

بصل النرجس ولبن التين

يكون ذلك منه الا وفي طبعه من مضادة طباع الانسان
ما لا يبلغه مضادة شيء وان افرط قال ولبس البتان في انه
لم ينهش ولم يجرح ولم يخمش ولم يعض ولم يغرز ولم يخدش وانما
هو على قدر ما رسمنا فرق الطباع للطباع وعلى قدر القرابة والمشاكلة
وقد نجد الانسان يغتم بنقض القبيلة وصوتها عند قرب انطفا
النار او لبعض البلل فيكون من خالط القبيلة ولا يكون
الصوت بالشديد ولكن الاغتمام به والتكره له يكون في مقدار
ما يعتريه من اشد الاصوات ومن ذلك المكروه الذي يدخل على
الانسان من غطيط النائم وليست تلك الكراهة لعلة الشدة
والصلابة ولكن من قبل الصورة والمقدار وان لم يكن من قبل
الجنس وكذلك صوت احتكاك الاجر الجديد بعضه ببعض
فان النفس تكرهه كما تكره صوت الصاعقة ولو كان
على ثقة من السلامة من الاحتراق لما احتفل بالصاعقة ذلك
الاحتفال ولعل ذلك الصوت ان لو خالطه لم يقتله فاما الذي
نشاهد اليوم الامر عليه فانه متى قرب منه قتله ولعل ذلك انما

هو لان

هو لان الشيء اذا اشتد صدمه فسخ القوة او لعل الهوا الذي في
الانسان والمحيط به ان يحمى ويستحيل نارا للذي قد شارك
ذلك الصوت من النار وهم لم يجدوا الصوت شديدا جدا الا ما
خالطته النار وقال ابن حرب الذبان قوت خلق كثير
من خلق الله وهو قوت الفراريج والخنافس والعنكبوت والخلد
وضروب كثيرة من همج الطير وحشرات السباع فاما

الطير فكالسوذانيات والحصانيات والشاهمركات
وغير ذلك من اصناف الطير فاما الضباع فانها تاكل
الجيف وتدع في افواهها فضولا وتفتح افواهها للذبان
فاذا احتشت ضمت عليها فهذه كلها انما تصيد الذبان
بنوع واحد وانما هو بالاختطاف والاختلاس وباعجالها
عن الوثوب اذا التقطته باطراف المناقير او كبعض ما
ذكرنا من اطباق الفم عليها واما الصيد الذي ليس للكلب
ولا لعناق الارض ولا للفهد ولا لشيء من ذوات الاربع
مثله في الحذق والختل والمداراة وفي صواب الوثبة وفي

٢ لم
د الطير

الشديد وهو عند الحفظ مثل الذي يقال له الليث وهو صنف
من العناكب فانك تجده اذا عاين الذباب ساقطا كيف يلطا
بالارض وكيف يسكن جميع جوارحه وكيف يجمع نفسه للو
وكيف يوخر ذلك الى وقت الغرة وكيف يتربص به اذا غفل عنه لانه
فانك ترى من ذلك شيا لم تره من فهد قط وان كان موصوفا مشهورا
واعلم انه قد ينبغي ان لا يكون في الارض شي اصيد لانه لا يطير
ولا يصيد الا ما يطير ثم يصيد طايرا شديد الحذر ثم يصيد
صياد الان الذباب يصيد البعوض وختله للذباب والخداع
اعجب ومكره بالمكان اعجب فتكون لك صيد هذا الفن من
العنكبوت وزعم ان الوزغة تختل الذبان فتصيدها صيدا
حسنا شبيها بصيد الليث قال والزنبور حريص على صيد
الذبان ولكنه لا يطمع فيها الا ان تكون ساقطة على خرو
دون كل تمر وعسل وجلوسه عندها لشغلها بالخرو وتشاغلها
به فعند ذلك يطمع فيه الزنبور ويصيبه وزعم الجرادي
وتابعه كيسان ان الفهد انما اخذ ذلك عن الليث وحتى راه

الفهد يصيد الذبان حتى تعلم منه فظننت انهما قالوا ببعض من اذا
مدح شيا اسرف فيه ويزعمون ان السبع الصيود اذا كان
مع سبع اصيد منه تعلم منه واخذ عنه وهذا لم احفظه فاما
الذي لا اشك فيه فان الطاير الحسن الصوت الملحن اذا كان
من نوايح الطير ومغنياتها فكان بقرب طاير من شكله
احذق منه واكثر نوادر جاوبه وحكاه او تعلم منه
او صنع شيا يقوم مقام التعليم والبرذون يراض فيعرف
ما يراد منه فيعطي على نفسه وربما استاجروا للطير
رجلا يعلمها فاما الذي رايته انا فاما البلابل فقد رايت
رجلا يدعي لها ويطارحها من شكل اصواتها وفي الطير
من يخترع الاصوات واللحون التي لم يسمع مثل المولف للحون
من الناس فانه ربما انشا لحنا لم يمر على اسماع المغنين
قط واكثر ما تجد ذلك من الطير في السود اناثا ثم
في الكراوين وهي تاكل الذبان اكلا ذريعا وتقدم ا
ان الحجاج من خلق ثلاثة اشيا من جميع الحيوان الخنفسا
اجناس

والذبابة والدودة الحمر أما إنها في إبان ذلك تروم الصعود في السقف
ثم على الحائط الأملس شيئا قليلا ثم تسقط ثم تعود ولا تزال تزداد
شيئا ثم تسقط إلى أن تفضي إلى باطن السقف فربما سقطت ولم
يبق عليها إلا مقدار إصبع ثم تعود والخنفساء تقبل قبل الإنسان
فيدفعها فتندفع بقدر تلك الطردة والدفعة ثم تعود أيضا فيفعل
بها أشد من ذلك ثم تعود حتى ربما كان ذلك سبب الغضب ويكون
غضبه سبب قتلها وما زالوا كذلك وما زالت كذلك
حتى سقط إلى المقابير أن الخنافس تجلب الرزق وأن دنوها
دليل على رزق حاضر من صلة أو جائزة أو ربح أو هدية
أو حظ فصارت الخنافس وإن دخلت في قمصهم ثم تعدت إلى
سراويلاتهم لم يقولوا لها قليلا ولا كثيرا وأكثر ما عندهم
اليوم الدفع لها ببعض الرفق ويظن بعضهم أنه إذا دفعها
فعادت ثم دفعها فعادت أن ذلك كلما كان أكثر كان
حظه في المال الذي يؤمله لحيطها أجزل فانظر أية وقاية
دونه واقية وأي حارس وأي حصن أنشأه لها هذا القول

وأي حظ كان لهاتين صدقوا بهذا الخبر هذا التصديق والطمع
هو الذي أثار هذا الأمر من مواقيه والفقر هو الذي اجتذب
هذا الطمع واجتلبه ولكن ويل لها إن ألحت على غني عالم
فقد كانوا يقتلون الذباب أشد من الطنين الملح في ذلك
الجهير الصوت الذي تسميه العامة (العوام) أمير الذبان فكانوا
يحتالون في ضربه وطرده وقتله إذا كربهم بكثرة طنينه
وزجله ودمامه فإنه لا يفتر فلما سقط إليهم أنه يبشر
بقدوم غائب وبرء سقيم صاروا إذا دخل المنزل وأساء سمعهم
بشر لم يهجه منهم أحد وإذا أراد الله أن ينسئ في أجل
شيء من الحيوان هيأ لذلك سببا كما أنه إذا أراد أن يقصر
عمره ويحين يومه هيأ لذلك سببا فتعالى الله علوا كبيرا
حكاية
ثم رجع بنا القول إلى إلحاح الذباب ٥ كان لنا بالبصرة
قاص يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكما
قط ولا زمينا ركينا ولا وقورا حليما ضبط من نفسه
وملك من حركته مثل الذي ملك وضبط كان يصلي الغداة

في منزل له وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكئ
ولا يزال منتصبا لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوة
ولا يحولها رجلا عن رجل ولا يعتمد على أحد شقيه حتى
كأنه بناء مبني أو صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم
لصلاة الظهر ثم يعود لمجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة
العصر ثم ربما عاد إلى مجلسه بل أكثر ما يكون ذلك إذا بقي
عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق ثم يصلي العشاء
وينصرف ولم يقم في طول تلك الولاية مرة واحدة إلى الوضوء
ولا احتاج إليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب كذلك
كان شأنه في طوال الأيام وقصارها وفي صيفها وشتائها
وكان مع ذلك لا يحرك يده ولا يشير برأسه وليس إلا أن يتكلم
ثم يوجز ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة فبينا هو
كذلك ذات يوم وأصحابه حوله وفي السماطين بين يديه إذ
سقط على أنفه ذباب فأطال المكث ثم تحول إلى موق عينه
فرام الصبر في سقوطه على الموق وعلى عضته ونفاذ خرطومه

كما رام الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو
يغضن وجهه أو يذب بأصبعه فلما طال ذلك من الذباب وشغله
وأوجعه وأحرقه وقصد إلى مكان لا يحتمل التغافل أطبق
جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض فدعاه ذلك إلى أن
والى بين الفتح والإطباق فتنحى ريثما سكن جفنه ثم عاد
إلى موقه أشد من مرته الأولى فغمس خرطومه في مكان قد
كان أوهاه قبل ذلك فكان احتماله له أضعف وعجزه
عن الصبر في الثانية أقوى فحرك أجفانه وزاد في شدة
الحركة وفي فتح العين وفي تتابع الفتح والإطباق فتنحى
عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه فما زال يلح
عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فلم يجد بدا من أن
يذب عن عينيه بيده ففعل وعيون القوم إليه يرمقونه وكأنهم
لا يرونه فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد
إلى موضعه فألجأه إلى أن ذب عن وجهه بطرف كمه ثم ألجأه
إلى أن تابع بين ذلك وعلم أن ذلك كله بعين من حضر من أمنائه

وجلساءه فلما نظروا إليه قال أشهد أن الذباب ألحّ من الخنفساء
وأزهى من الغراب ثم قال أستغفر الله فما أكثر من أعجبته
نفسه فأراد الله أن يعرّفه من ضعفه ما كان عنه مستورا
قد علمت أني عند الناس من أنمت الناس فقد غلبني وفضحني
أضعف خلقه ثم تلا قول الله تعالى ضعف الطالب والمطلوب
وكان بيّن اللسان قليل فضول الكلام وكان مهيبا في أصحابه
وكان أحد من لم يطعن عليه في نفسه ولا في تعريض أصحابه
للمنالة فأما الذي أصابني من الذبان فإني خرجت أمشي في أخرى
المبارك أريد دير الربيع ولم أقدر على دابة فمررت في أشب
ونبات ملتف كثير الذبان فسقط ذباب من تلك الذبان على
أنفي فطردته فتحول إلى عيني فطردته فعاد إلى موق عيني فزدت
في تحريك يدي فتنحى عنا فقد شدة حركتي وذبّي عن عيني
ولذبان الكلأ والغياض والرياض وقع ليس لغيرها ثم
عاد إلى فعرفت عليه ثم عاد على إلى فعرفت بأشد من ذلك
فلما عاد استعملت كمي فذببته به عن وجهي ثم عاد وأنا في

كلبن أي شجر ملتفة قاموس

ذلك

ذلك أحث المشي أو مثل بسرعة المشي انقطاعه عني فلما عاد نزعت
طيلساني من عنقي فذببته به عني بدل كمي فلما عاد ولم أجد
له حيلة استعملت العدو فعدوت منه شوطا تاما لم أتكلف
مثله منذ كنت صبيا فلقيني الأندلسي فقال ما لك يا أبا
ج عثمان هل من حادثة قلت نعم أكبر الحوادث أريد أن أخرج
من موضع للذبان علي فيه سلطان فضحك حتى جلس وانقطع
عني وما صدقت بانقطاعه حتى تباعدت جدا والعساكر
كثيرة الذبان فإذا ارتحلوا لم ير المقيم بعد ارتحالهم إلا
اليسير ويزعم بعض الناس أنهن يتبعن العساكر ويسقطن
على المتاع وعلى جلال الدواب وأعجاز البراذين التي عليها
دونا أربابها حتى تؤدي إلى المنزل الآخر وقال المكي يتبعونا البو
ثم لا يركبون إلا أعناقنا ودوابنا ونبول بعضهم بل إنما
تخلق من تلك العفونات والأنجرة والأنفاس فإذا ذهبت فبت
تبع ذهابها وزعموا أنهم يعرفون ذلك لكثرتها في الجنائب وبقلتها
في الشمال فأما لو أن ما شددنا فم الآنية التي فيها الشراب

بالصمامة فإذا انتزعناها وجدنا هناك ذبانا صغارا وقال ذو الرمة
وأيقن أن القمع صارت نطافه فراشا وأن البقل ذاو ويابس
القمع الموضع الذي يجتمع فيه نقران الماء والفراش الماء الرقيق
الذي يبقى في أسفل الحياض وخبرني رجال من ثقيف من
أصحاب البيذا أنهم ربما ألقوا السفرجل في أيام السفرجل
للنقل والأكل ليس هناك من صغار الذبان شيء فلا نعدمهم
أن يروا على مقاطع السفرجل ذبانا صغارا ثم ربما رصدوها
وتأملوها فيجدونها تعظم حتى تلحق بالكبار في الساعة
الواحدة قال وفي الذبان طبع كطبع الجعلان وهو طبع
غريب عجيب ولولا أن العيان قهر أهله لكانوا خلقاء أن
يدفعوا الخبر عنه فإن الجعل إذا دفن في الورد مات في العين
وفقدت حركته كلها وعاد كأنه جامد ولم يفصل الناظر
إليه بينه وبين الجعل الميت ما أقام على تأملهما فإذا أعيد
إلى الروث عادت إليه حركة الحيوة من ساعته وجربت
أنا مثل ذلك في الخنفساء فوجدت الأمر فيها قريبا من صفة الجعل

ولم يبلغ كل ذلك لقرابة ما بين الخنفساء والجعل ودخلت على ابن
أبي كريمة وإذا هو قد أخرج من إجانة كان فيها ماء من
غسالة أوساخ الثياب وإذا ذبان كثيرة قد تساقطن
فيه من الليل فمتن هكذا كن في رأي العين فغبرن كذلك
عشيتهن وليلتهن والغد إلى انتصاف النهار ثم انتفخن وعفن
واسترخين وإذا ابن أبي كريمة قد أعد آجرا جديدا ودقنا
آجرا جديدا وإذا هو يأخذ الخمس منها والست ثم يضعهن على
ظهر الآجرة الجديدة ويذر عليهن من دقاق حكاك الآجر الجديد
المدقوق بقدر ما يغمرها فلا يلبث أن تراها قد تحركت ثم
مشت ثم طارت إلا أنه طيرا ضعيف وكان ابن أبي كريمة
يقول لا والله لا دفنت ميتا أبدا حتى ينتن قلت وكيف ذاك
قال إن غلامي هذا أنصير أمات فلما أخرت دفنه بعض الأمر
تقدم أخوه تلك الليلة فقال ما أظن أخي مات ثم أخذ فتيلتين
ضخمتين فرواهما دهنا ثم أشعل فيهما نارا ثم أطفأهما
ثم قربهما إلى منخريه فلم يلبث أن تحرك وها هو ذا تراه

قلت له إن أصحاب الجروب والذين يغسلون الموتى والأطباء عندهم في هذا
دلالات وعلامات فلا تحمل على نفسك بيأس ولعل أن لا تستعجل بالدفن
حتى تجيف والمجوس يقربون الميت من أنف الكلب ويستدلون
بذلك على أمره فعلمت أن الذي عاينته في الذبان قد زاد في عزمه
والنعر ضرب من الذبان والواحدة نعرة وربما دخلت في أنف البعير
أو السبع فيزم بأنفه للذي يلقى من المكروه بسببه والعرب تشبه
ذا الكبر من الرجال إذا صعر خده وزم بأنفه بذلك البعير في
تلك الحال فيقال عند ذلك فلان في أنفه نعرة وفيه خنزوانة
وقال والله لا أقلع عن أو أطير نعرته ومنها القمع وهو ضرب
من ذبان الكلأ قال أوس بن حجر

ألم تر أن الله أنزل مزنه وعفر الظباء في الكناس تقمع

وذلك مما يكون في الصيف وفي الحر والذبان جند من جند الله
شديد الأذى وربما كان أضر من الدبر في بعض الزمان وربما أتت
على القافلة بما فيها وذلك أنها تغشى الدواب فإذا ضربت الأرض
بأنفسها وهي في المفاوز سقطت هلك أهل القافلة لأنهم إنما

يخرجون من تلك المفاوز على دوابهم ولذلك يتصرف أعرابها بالليل ويحتالون
لجمالهم ولا يسكن تلك الناحية صاحب دابة ويقول بعضهم
لبعض بادر وقبل حركة الذبان وقبل أن يتحرك ذبان الرياض
والكلأ والزنابير لا تكاد تدمي إذا لسعت بأذنابها
والذبان تغمس خراطيمها في جوف لحوم الدواب وتخرق الجلود
الغلاظ حتى ينز الدم والدم يزد امطاها مع شدة الوقع سموم وكذلك
البعوضة ذات سم ولو زيد في بدن البعوضة وزيد في حرقة
لسعها إلى أن يصير بدنها كبدن الجرارة فإنها أصغر
العقارب لما قام له شيء ولكان أعظم بلية من الجرارات
ومن النصيبية أضعافا كثيرة وربما رأيت الجماد كأنه مغرى
أو معصفر وإنهم مع ذلك ليجللون حميرهم ويبرقعونها ولا
يدعون موضعا إلا ستروه بجهدهم فربما رأيت الحمير وعليها
الرحال فيما بين عبدسي والمذار وقد ضربت بأنفسها واستسلمت
للموت ولربما رأيت المكاري إذا كان الحمير أيضا يضربها بالعصي
بكل جهده فلا تنبعث وليس لجلد البقر والحمار والبعير عنه

خطر ولقد رأيت ذبابا سقط على سنا لقد حمار كأن حتى
فضرب بأذنيه وحرك رأسه بكل جهده وأنا أتأمله وما
يقلع عنه الذباب فلما طال ذلك بطرده عنه قصدت له بما لسقوط
لا أحسنه به ليمنع نزوعه عنه من الدم كأنه كان يشرب
الدم وقد سد المخرج بفمه فلما نحاه طلع وتزعم العامة أن الذباب
يخرأ على ما شاء فقالوا لأنا نراه يخرأ على الشيء الأسود أبيض
وعلى الشيء الأبيض أسود ويقال قد ونم الذباب بمعنى خرئ
الإنسان وعر الطير وصام النعام وذرق الحمام وقال الشاعر

وقد ونم الذباب عليه حتى كأن ونيمه نقط المداد

وقال البيطرون لكم البعير إذا ركب الناقة وللخنزير
إذا ركب الخنزيرة بأطول ساعة من لبث ذكورة الذبان
على ظهور الإناث عند السفاد قال والذباب من الخلق الذي
يكون مرة من السفاد والولاد ومرة من تعفن الأجسام والفساد
الكائن في الأجسام والباقلى إذا عتق شيئا في الأنبار استحال
كله ذبابا فربما أغلقوا في ذلك الأنبار فيعودون إلى الأنبار

وقد تطاير من الكوى والخروق فلا يجدون في الأنبار إلا القشور
والذباب الذي يخلق من الباقلى يكون دودا ثم يعود ذبابا
وما أكثر ما ترى الباقلى مثقبا وفي داخله شيء كأنه مسحوق
إذا كان الله قد خلق منه الذبان وصيره وما أكثر ما تجده
فيه تام الخلق ولو لم تنحه لقد كان تطاير وحدثني
بعض أصحابنا عن شيخ من أهل الخريبة قال كنت أحب
الباقلى وأردت إما البصرة وإما بغداد فذهب عني حفظه
فصرت في سفينة حملها باقلى فقلت في نفسي هذا والله
من الحظ ومن سعادة الجد ومن التسديد والتوفيق وقد
أربع من وقع له مثل الذي قد وقع لي أجلس في هذه السفينة
على هذا الباقلى فآكل منه نيا ومقلوا ومطبوخا
وأرض بعضه وأطحنه وأجعله مرقا وإداما وهو يغذو
هذا أصلا حا ويسمن ومن نيه في الماء قال فابتدأت فما أملت
فيه ودفعت السفينة فأنكرت كثرة الذبان فلما كان
الغد جاءني منه ما لم أقدر معه على أكل ولا شرب وذهب

طريفة

وذهبت القبيلة

الجذب وشغلت بالذب على انهن لم يكن يبرحن بالذب ولكن اكثر
من ان اقوى عليهن لاني كنت لا اطرد منهن شيئا حتى يخلف مكانهما
مائة وهن في اول ما خرجن من الباقلي كان بها زمانة
فكلما كان طيرانهن اسوأ كان اسوأ لحالي فقلت للملاح
ويلك اي شي معك خصصنا بالذبان يتبعك فوالله اكلت وشربت
قال اوليس تعرف القصة قلت لا والله قال هي والله من هذا الباقلي
ولولا هذه البلية لجاءنا من الركاب كما يجيئون الى جميع اصحاب
الحمولات وما ظننتك الا ممن اغتفر هذا للين الكرا وحب
التفرد بالسفينة فسألته ان يقربني الى بعض الفراضي حتى اكتري
من هناك الى حيث اريد فقال لي اصحب انا زودك منه قلت انما
احب ان اتقي اذى الباقلي لا في طريقي ابدا ولذلك كان ابو شمر
لا ياكل الباقلي وكان اخذ ذلك عن معلمه معمر ابي الاشعث
وكذلك كان عبد الله بن سلمة بن محارب والوطيع ومعمر
وابو الحسن المدايني يرهقنه في دهرهم وكان يقول لولا ان
الباقلي عفن فاسد الطبع ردي دوي يخثر الدم ويغلظه

ويورث السوداء وكل بلاء لما ولد الذبان والذبان اقذر ما طار
ومشى وكان يقول كل شي ينبت منكوسا فهو ردي للذهن كالباقلي
والباذنجان وكان يزعم ان رجلا هرب من غرمائه فدخل في
غابة باقلي فتستر عنهم بها فاراد بعضهم اخراجه والدخول
فيها لطلبه فقال اخبثهم واعلمهم كفاكم له موضعه شرا
وكان يقول سمعت ناسا من اهل التجربة يحلفون بالله ما اقام
احد اربعين يوما في منبت الباقلي فخرج منه الا وقد اسقمه
ذلك سقما لا يزايله مثله وزعم ان الذي منع اصحاب الادهان
والتربية بالسمسم من ان يربوا السماسم بنور الباقلي الذي يعرفون
من فساد طباعه وانه غير مامون على الدماغ وعلى الخيشوم
والسماخ ويزعمون ان علته الذي هو علة القصد الى الذهن بالفساد
له وكان يزعم ان كل شي يكون رديا للعصب فانه يكون
(انما كان) رديا للذهن وان البصل يفسد الذهن اذ كان رديا للعصب
وان البلادر انما صار يصلح العقل ويورث الحفظ لانه صالح
للعصب وكان يقول اسوأ على اكلت الذبان او اكلت شيئا

الاهوه

لا يولد الا الذبان وهو لا يولد والنبيذ لا يولد الا النبيذ الا وهو اولى
الأشياء به وأثرها من طبعه وكذلك جميع الأرحام فيما تنتج
من أرحام الأرض وأرحام الحيوان وأرحام الأشجار وبينما أنا
يوما جالس في المسجد مع فتيان من المسجديين مما يلي أبواب بني
سليم وأنا يومئذ حدث إذ أقبل أبو يوسف المرور وكان
لا يؤذي أحدا وكان كثير الطرف من قوم سراة حتى وقف
علينا ونحن نرى أثر الجد في وجهه ثم قال مجتهدا والذي لا إله
إلا هو إن الخمر لحلو ثم والله الذي لا إله إلا هو إن الخمر لحلو
ثم والله الذي لا إله إلا هو إن الخمر لحلو يمينا ما تنتج يسألني الله
عنها يوم القيامة فقلت له أشهد أنك لا تأكله ولا تذوقه
فمن أين علمت ذلك فإن كنت علمت أمرا فعلمنا مما علمك الله تعالى
رأيت الذباب يسقط على النبيذ الحلو ولا يسقط على الحامض
ويقع على العسل ولا يقع في الخل وأراه على الخرد أكثر منه
على التمر أفتريدون حجة أبين من هذا قلت يا أبا يوسف بهذا
وشبهه يعرف فضل الشيخ على الشاب ثم رجع بنا القول

إلى ذكر خلق الذبان من الباقلي وقد أنكر ناس من العوام أن يكون
شيء من الخلق كان من غير ذكر وأنثى وهذا جهل بشأن العالم
وبأقسام الحيوان وهم يظنون أن على الدين من الإقرار بهذا القول
مضرة وليس الأمر كما قالوا وكل قول يكذبه العيان لفحش
خطأ وأسخف مذهبا وأدل على معاندة شديدة أو غفلة مفرطة
وإن ذهب الذاهب إلى أن يقيس ذلك على مجاز ظاهر الرأي دون
القطع على غيب حقائق العلل فأجراه في كل شيء قال قولا
يدفعه العيان أيضا مع إنكار المبين له قد علمنا أن الإنسان
يأكل الطعام ويشرب الشراب وليس فيهما حية ولا دود
فيخلق منهما في جوفه ألوان الحيات وأشكال من الديدان
من غير ذكر ولا أنثى ولكن لا بد لذلك الولاد واللقاح من
أن يكون عن تناكح طبائع وملاقاة أشياء تشبه بطباعها
الأرحام وأشياء تشبه في طباعها ملقحات الأرحام وقد
قال الشاعر
فاستنكح الليل البهيم فألقحت عن هيجه واستنتجت أحلاما

وقال الآخر
وإذا الأمور تلاحقت فالجود أكرمها نتاجا
وقال ذو الرمة
وإني لمدلاج إذا ما أناخت مع الليل أحلام الهدان المثقل
وقال علي بن معاذ
للبدر طفل في أحضان الهوى مسترق من رحم الشمس
وقال ذكر الراجز أبو محمد الفقعسي
وقد تجللت ذميل العنس بالسوط في ديمومة كالترس
إذ عرج الليل بروح الشمس
وقال أمية بن أبي الصلت
والأرض نوحها الإله طروقة للماء حتى كل زند مسفد
والأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا وفيها نولد
وذكر أمية الأرض فقال
والطوط نزرعه فنلبسه والصوف نجتزه ما أردف الوبر
هي القرار فما نبغي بها بدلا ما أرحم الأرض إلا أننا كفر
وطعنة الله في الأعداء نافذة تعيي الأطباء لا تشوي بها السبر
ثم رجع إليها فقال

منها خلقنا وكانت أمنا خلقت ونحن أبناؤها لو أننا شكر
وتقول العرب الشمس أرحم بنا فإذا سمع السامع منهم أن جالينوس
قال عليكم بالبقلة الرجيمة يريد السلق استشنعه وإذا سمع
قول العرب الشمس أرحم بنا وقول أمية ما أرحم الأرض إلا أننا
كفر لم يستشنعه وهما سواء وإذا سمع أهل الكتاب يقولون إن
عيسى بن مريم أخذ في يده اليمنى غرفة ماء وفي يده اليسرى كسرة
خبز ثم قال هذا أبي للماء وهذه أمي لكسرة الخبز استشنعه
فإذا سمع أمية بن أبي الصلت يقول
والأرض نوحها الإله طروقة للماء حتى كل زند مسفد
لم يستشنعه والأصل في ذلك أن الزنادقة أصحاب ألفاظ
في كتبهم وأصحاب تهويل لأنهم حين عدموا المعاني ولم يكن
عندهم فيها طائل مالوا إلى تكلف ما هو أيسر وأحضر وأوجد
وأكثره ولكل قوم ألفاظ حظيت عندهم وكذلك كل بليغ
في الأرض وصاحب كلام منثور وكل شاعر في الأرض وصاحب
كلام موزون فلا بد من أن يكون قد لهج وألف ألفاظا بأعيانها

يدبر صاحبه كلامه وإن كان واسع العلم غزير المعاني كثير
اللفظ فصار حظ الزنادقة من الألفاظ التي سبقت إلى قلوبهم
واتصلت بطبايعهم وجرت على ألسنتهم الناكح والناتج
والمزاج والنور والظلمة والدفاع والمناع والساتر والغامر
والبطلان والوجدان وأشكال من هذا الكلام فصار
وإن كان عربيا مرفوضا مهجورا عند أهل ملتنا كذلك
هو عند عوامنا وجمهورنا ولا يستعمله إلا الخواص وإلا
المتكلمون وأنا أقول في هذا قولا وأرجو أن يكون مرضيا
ولم أقل إني أرجو لأني لا أعلم ولكني أخذت بأدب أهل دعوتي
وملتي ولغتي وجزيرتي وجيرتي وهم العرب وذلك أنه قيل لصحار
العبدي الرجل يقول لصاحبه عند تذكيره أياديه وإحسانه
أما نحن فإنا نرجو أن نكون قد بلغنا من أداء الواجب لك مبلغا
مرضيا وهو يعلم أنه قد وفاه حقه الواجب وتفضل عليه بما
لا يجب قال صحار كانوا يستحبون أن يتركوا للقول متنفسا
وأن يدعوا فيه فضلا وأن يتجافوا عن حق متى أرادوه لم يمنعوه

ولذلك قلت أرجو فافهم فهمك الله فإن رأيي في هذا الضرب من اللفظ
أن أكون ما دمت في المعاني التي هي عبارتها والعادة فيها أن
ألفظ بالشيء العتيد الموجود وأدع التكلف لما عسى أن لا
يسهل ويسلس إلا بعد الرياضة الطويلة وأرى أن ألفظ بألفاظ
المتكلمين ما كنت خائضا في صناعة الكلام مع خواص
أهل الكلام لأن ذلك أفهم لهم عني وأخف لمؤنتهم علي ولكل
صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها فلم
تلزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مشاكلة بينها وبين تلك الصناعة وقبيح
بالمتكلم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلمين في خطبة أو رسالة
وفي مخاطبة العوام والتجار وفي مخاطبة أهله وعبده وأمته
وفي حديثه إذا تحدث وخبره إذا أخبر وكذلك فإنه من الخطأ
أن يجلب ألفاظ الأعراب وألفاظ العوام وهو في صناعة
الكلام ولكل مقام مقال ولكل صناعة شكل ثم رجع
بنا القول إلى ما أحدث الله من خلقه من غير ذكر وأنثى فقلنا
إنه لا بد في ذلك من تلاقي أمرين يقومان مقام الذكر والأنثى

ومقام الأرض الممطرة وقد تقرب الطبائع من الطبائع وإن لم تتحول
في جميع معانيها كالنطفة والدم وكاللبن والدم وقد قال
صاحب المنطق أقول بقول عام إنه لا بد لجميع الحيوان من دم
أو من شيء يشاكل الدم ونحن قد نجد الجيف تخلق منها الديدان وكذلك
العذرة ولذلك المجوسي كلما تبرز ذر على برازه شيئا من تراب فلا
تخلق منه ديدان والمجوسي لا يتغوط في الآبار والبلاليع
لأنه يزعم أنه يكرم بطن الأرض عن ذلك ويزعم أن الأرض أحد
الأركان التي عليها بنيت العوالم الخمسة بزعمهم ولذلك لا
يدفنون موتاهم ولا يحفرون لهم القبور ويضعونهم في النواويس
وضعا فلو ولو استطعنا أن نخرج تلك الجيف من ظهور
الأرضين وأجواف الأجواء كما أخرجناها من بطون الأرضين
لفعلنا وهم يسمون يوم القيامة روز رستخيز كأنه يوم تقوم
الجيف فمن بغضهم لأبدان الموتى سموها بأسمج أسمائها ثم لو على
هذا المثال أعظمنا الماء والنار ولسنا بأحق بالتعظيم من الأرض
وبعد فإنا نجد نزع الصامة من دوس الآنية التي تكون فيها

بعض الشراب فنجد هناك من الفراش ما لم يكن عن ذكر ولا
أنثى وإنما ذلك لاستحالة بعض أجزاء الهواء وذلك الشراب إذا
انضم عليه ذلك الوعاء وهذا قول ذي الرمة
وأيقن أن القمع صارت نطافه فراشا وأن البقل ذاو ويابس
وكذلك ما يخلق من جمار النخلة وفيها من ضروب الخلق والطير
وأشباه الطير وأشباه بنات وردان والذي يسمى بالفارسية
فاذو وكالسوس والقوادح والأرضة وبنات وردان اللاتي
تخلق من الأجذاع والخشب والحشوش وقد نجد الأرج
الذي يكبس فيه الثلج بخراسان كيف يستحيل كله ضفادع
وما الضفدع بأدل على الله من الفراش وإنما يستحيل ذلك
الثلج إذا انفتح فيه كقدر منخر الثور حتى يدخله الريح التي
هي اللاقحة كما قال الله عز وجل وأرسلنا الرياح لواقح
فجعلها لاقحة ولم يجعلها ملقحة ونجد وسط الدهناء وهي
أوسع من الدو ومن الصمان وعلى ظهر مسجد الجامع في غب المطر
من الضفادع ما لا يحصى عدده ولسنا أن ذلك كان عن ذكر

والأنثى ولكن الله خلقها تلك الساعة من طباع تلك التربة
وذلك المطر وذلك الهواء المحيط بهما وتلك الريح المتحركة
وإن زعموا أن تلك الضفادع كانت في السحاب فالذي أقروا
به أعجب من الذي أنكروه وإنما تقيم الضفادع وتبيض وتتولد
في مناقع المياه وفي أرض تلال فيها ماء والسحاب لا يوصف
بهذه الصفة وقد نجد المآصير بدجلة والفرات فتنزّ البطون
والحفائر التي تليها من الأرض فيخلق من ذلك الماء السمك الكثير
ولم يكن في تلك الحفائر قبل الحدث ولا في تلك الأرضين شيء من
بيض السمك ولم نجد أهل القاطول يشكون في أن الفأر يخلق ببلدهم
من أرضهم وأنهم ربما أبصروا الفأرة من قبل أن يتم خلقها فتنسبوا
بأجمعهم خلق الفأر إلى الذكر والأنثى وإلى بعض المياه والتربة
والأجواء والأزمان كما قالوا في السمك والضفادع والعقارب
فإن قاس ذلك قايس فجعل كالبير الذبان وبنات وردان وبين
الزنابير فرق وليس بين الزنابير والخنافس فرق ولا بين الزرازير
والخنافس فرق ولا بين الوراذين والعصافير فرق فإذا زعموا

من خشاش الطير صاروا إلى بغاثها ثم إلى أحرارها ثم إلى الطو ابيس
والتدارج حتى يصعدوا إلى الناس قيل لهم ليس ذلك كذلك
وينبغي لكم بدءا أن تعرفوا الطبيعة والعادة والطبيعة
الغريبة من الطبيعة العامية والممكن من الممتنع وأن
الممكن على ضربين فمنه الذي لا يزال يكون ومنه الذي لا يكاد د
يكون وما علة الكثرة والقلة وتعرفوا أيضا أن الممتنع على
ضربين فمنه ما يكون لعلة موضوعة يجوز رفعها وما
كان منه لعلة لا تجوز وفصل ما بين العلة التي لا تجوز
رفعها وهي على حال علة من الامتناع الذي لا علة له إلا
عين الشيء وجنسه وينبغي أن تعرفوا فرق ما بين المحال والممتنع
وما يستحيل كونه من الله عز وجل وما يستحيل كونه
من الخلق فإذا عرفتم أقدارها وحظوظها من القوى فعند ذلك
فتعاطوا الإنكار والإقرار وإلا فكونوا في سبيل المتعلم
أو في سبيل من آثر راحة القلب ساعة على ما يورث كد
التعلم من راحة الأبد فقد يكون أن يجيء على جهة التوليد

شيء يجهل في الوهم محدثه ويمتنع شيء هو أقرب في الوهم من غيره
لأن حقائق الأمور ومغيبات الأشياء لا ترد إلى ظاهر
الرأي وإنما يرد إلى الرأي ما دخل في باب الجزم والإضاعة
وما هو أصوب وأقرب إلى نيل الحاجة وليس عند الرأي علم
بالنجح والإكدا كنحو مجيء الزجاج من الرمل وامتناع
الشبه من الذهب والزيبق أن يتحول في طبع الفضة والزيبق
أشبه بالفضة المائعة من الرمل بالزجاج الفرعوني والشبه
المشبع بالذهب الإبريز أشبه من الرمل بالملوق الزجاج
الخالص النقي الصافي ومن العجب أن الزجاج هو مولد قد
يجري مع الذهب في كثير من مفاخر الذهب إذ كان لا يغير
طبعه ماء ولا أرض والفضة التي هي مولدة إن دفنت زمانا غير
طويل استحالت أرضا فأما الحديد فإنه في ذلك سريع
غير بطيء وقد زعم ناس أن الفرق الذي بينهما أن كل شيء له
في العالم أصل وخميرة لم يكن كالشيء الذي يكتسب ويختلق
ويلفق ويلزق أن الذهب لا يخلو أن يكون ركنا من أركان

فإما أن يكون من الهواء أو الماء والأرض والنار فإن كان ذلك كذلك
فهو أبعد للناس من أن يولفوا مثله وإن كان الذهب إنما حدث
في عمق الأرض بأن يصادف جوهرا ومن الهواء الذي في خلالها
جوهرا ومن الماء الملابس لها جوهرا ومن النار المحصورة فيها
جوهرا مع مقدار من طول مرور الزمان ومقدار من مقابلات
البروج فإن كان الذهب إنما هو نتيجة هذه الجواهر على هذه
الأصناف فواجب ألا يكون الذهب إلا كذلك فيقال لهم أرأيتم
الفأرة التي خلقت من صلب جرذ ورحم فأرة على مقابلات من
الأمور السماوية والهوائية والأرضية فكانت نتيجة هذه
الخصال مع استيفاء هذه الصفات أليس قد وجدنا فأرة
أخرى تهيأ لها من أرحام الأرضين ومن حضانة الهواء ولقح
الماء ومن مقابلات السماويات والهوائيات من الزمان ما صادف
جميع ذلك سببا لفأرة أخرى مثلها وكذلك كل ما عددنا ممن أبى
يستحيل أن يختلط الإنسان بين مائية طبيعية وما بين جوهر
إنما من طريق التبعيد والتقريب ومن طريق الظنون والتجريب

أو من طريق أن يقع بعض ذلك اتفاقا كما صنع الناطف الساقط
من يد الأجير في كور الصفر حتى أعطاه ذلك اللون وجلب ذلك
النفع ثم إن الرجال دبرته وزادت ونقصت حتى صار شبهها
ذهبيا هو رابع النوشادر المولد من الحجارة السود فإن قلتم
إن ذلك لقائم للجواز مطرد في الرأي غير مستحيل في العقل
ولكنا وجدنا العالم بما فيه من الناس منذ كانوا فإن الناس
يلتمسون هذا وينصبون له ويتكلفون به فلو كان هذا الأمر
من وجه الجمع والتوليد والتركيب والتجريب أو من جهة الاتفاق
فقد كان ينبغي أن يكون قد ظهر من ألوف سنين وألوف إذ كان
هذا المقدار أقل ما تؤرخ به الأمم لكان هذا المقدار مقبولا
غير مردود على أنه لم يتبين لنا أنه مستحيل أن يكون الذهب الأمر
حيث وجد وليس قرب كون الشيء في الوهم بموجب لكونه ولا
بعده في الوهم بموجب لامتناعه ولو أن قائلا قال إن هذا
الأمر إذ قد يحتاج إلى أن تتهيأ له طباع الأرض وطباع الماء
وطباع الهواء وطباع النار ومقادير حركات الفلك ومقدار

من طول الزمان فمتى لم تجتمع هذه الخصال وتتكامل هذه الأمور
لم يتم خلق الذهب وكذلك قد يستقيم أن يكون قد تهيأ
لواحد أن جمع بين ما يشاكل من الجواهر فمزجها على
مقادير وطبخها على مقادير وأغبها مقدارا من الزمان
وقابلت بمقدار من حركات الأجرام السماوية وصادفت
العالم باقيا على هيئته وكان بعض ما جرى على يده
اتفاقا وبعضه قصدا فلما اجتمعت جاء منها ذهب
فوقع ذلك بخمسة آلاف سنة مرة ثم أراد صاحبه
المعاودة فلم يقدر على أمثال مقادير طبائع تلك الجواهر
ولم يضبط مقادير ما كان قصد إليه في تلك المرة وأخطأ
ما كان وقع له اتفاقا ولم يقابل من الفلك مثل تلك الحركات
ولا من العالم مثل تلك الهيئة فلم يعد له ذلك فما تنكر
لنا هذا القول قائل وقال يتولى موضع إحالته ولا يجوز
بتباعد اجتماع الأمور فيه فإنا نعترف لكم بتباعدها
هل كان عندنا في ذلك قول مقنع والدليل الذي يثلج

الصدور وهو عندنا في استطاعة الناس أن يبولوا ناسا
الا بأن يعرض هذا القول على العقول السليمة وعلى
عقول الامم ويرده إلى الرسل والكتب فاذا وجدنا
هذه الأمور كلها نافية له كان ذلك عندنا هو المقنع
وليس الشأن فيما يظهر اللسان من التشكك فيه والتجويز
له ولكن ليرده إلى ذهنه فانه سيجده منكرا أو نافيا
له واذا كان العقل سليما من آفة المرض ومن آفة التخبيل
والتخبيل ضربان تخبيل من المرار ومن الشيطان وتخبيل
آخر كالرجل يعمد إلى قلب رطب لم يستوحج وذهن رض
لم يستمر فيحمله على الدقيق وهو بعد لا يفي بالجليل ويخطي
المقدمات متسكعا بلا أمارة فرجع حسيرا بلا
يقين وغبر زمانا لا يعرف إلا الشكوك والخواطر
الفاسدة التي متى لاقت القلب على هذه الهيئة كانت
ثمرتها الحيرة والقلب الذي يفسد في يوم لا يداوي في
سنة والبناء الذي ينقض في ساعة لا يبنى مثله في شهر

ثم رجع بنا القول إلى الذبان قيل للعتوية كلب
المطبخ أي شيء يعني قولهم ينبذ يبنح جابنه فقال
يريدون أن الذباب لا يدنو منه وكان الرقاشي
حاضرا فأنشد شعر ابن عبدل

عشش العنكبوت في قعر دلي إن ذا من رزيتي لعظيم
لبني قد عمرت دلي حتى أبصر العنكبوت فيه تحوم
عرفا لا يغيثه الدهر إلا زبد فوق رأسه مركوم
مخرجا كفه ينادي ذبابا أن أغثني فانني مظلوم
قال دعني فلن أطيق دنوا من ثنيد يقطر المزكوم

قال والذباب يضرب به المثل في القذر في استطابة
النتن فاذا أعجز الذباب شيء فهو الذي لا يكون
أنتن منه ولذلك الحمادي في ابن عبيد لمحمد بن حسان بن
سعيد بالبحر قال

فما يدنو إليه ذباب ولو طليت مشافره بقند
يرين حلاوة ويخفن موتا ذعافا إن هممن له بورد

ويقال للأبخر أبو ذبان وكانت زعموا كنية عبد الملك
بن مروان وأنشدوا قول أبي حزابة ،
أمسى أبو ذبان مخلوع الرسن خلع عنان قارح من الحصن
وقد صفقت بيعتنا لابن حسن ، وقال الآخر
وهو يهجو هلال بن عبد الملك الهنائي ،
الا من يشتري مني هلالا مودته وخلطته بفلس ،
وليشرط الذي يبتاع مني هلالا أن خصال فيه خمس ،
فمنهن النغانغ والمكادي آثار الجروح وأكل ضرس ،
ومن أخذ الذباب باصبعيه ولو كان الذباب براس جحش
قال وضرب الله لضعف الناس وعجزهم مثلا فقال
يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون
من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم
الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب
والمطلوب فقال بعض الناس فقد سوى بين الذباب والناس
في العجز وقالوا فقد يولد الناس من التعفين الفراش

وعين الفراش وهذا خلق على قوله وإذ تخلق من الطين كهيئة
الطير وعلى قوله أحسن الخالقين وعلى قول الشاعر
وأراك تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
قيل لهم إنما أراد الاختراع ولم يرد التقدير
وأما قول ابن ميادة
ألا لا نبالي أن تخندف خندف ولسنا نبالي أن يطن ذبابها
فإنما جعل الذباب هاهنا مثلا وقد وضعه في غير
موضع تحقير له وموضع تصغير به وهو مثل قوله ،
بني أسد كونوا لمن قد علمتم موالي ذلت للهوان رقابها ،
فلو حاربتنا الجن لم نرفع العصا عن الجن حتى لا تهر كلابها ،
وليس يريد الكلاب ويقال هو ذباب العين وذباب
السيف ويقال أرض مذبة أي كثيرة الذبان وقال
أبو الشمقمق في هجائه بعض من ابتلي به ،
أبنج الناس جميعا كلهم كذباب ساقط في مرقه
ويقال إن اللبن إذا ضرب بالكندس ونضح به بيت لم

حكاية

يدخله ذباب. وسمعت أبا الحكيم الكيمياوي وهو يقول
لثمامة بن أشرس قلنا لكم إنا ندلكم على الإكسير
فاستثقلتم الغرم وأردتم الغنم بلا غرم. وقلنا لكم
دعونا نصنع هذه الجسور صنعة لا تنتقض أبداً فأبيتم
وقلنا لكم ما ترجون من هذه المسنيات التي تهدمها
المدود وتخرقها الجرذان نحن نعمل لكم مسنيات
بنصف هذه المؤونة تبقى لكم أبداً ثم قولوا للمدود أن
تجهد جهدها وللجرذان أن تبلغ غايتها فأبيتم فقولوا
لي الذبان ما ترجون منها وما تشتهون من البعوض وقد
رغبتكم يا أبا الجرجس لم لا تدعوني أخرجها من بيوتكم
بالمؤونة اليسيرة. وهو يقول هذا القول وأصحابنا يضحكون
وابن سافري جالس يسمع فلما انصرفنا أخذ بيده فمضى
به إلى المنزل فغداه وسقاه وكساه ثم قال أحب أن
تخرج البعوض من داري فأما الذباب فإني أحتمله
قال ولم تحتمل الأذى وقد أتاك الله بالفرج قال فافعل

قال لا بد من أن أخلط أدوية وأشتري أدوية قال فكم تريد
قال أريد شيئاً يسيراً قال وكم ذاك قال خمسون
ديناراً قال ويحك وخمسون يسير قال أنت ليس تشتهي
الراحة من قذر الذباب ولسع البعوض ثم لبس خفه
وقام على رجليه فقال له اقعد قال إن قعدت قبل
أن آخذها ثم اشتريت دواء أنا بدنانير لم تنتفع به
لأني لست أدخر هذه الأخذ إلا للذين إذا أمرتهم
بإخراجهن أخرجوهن ولا أكمل أعني الخمار فلما هو
وسمع بذكر الخمار حتى ذهب عقله ودعا له بالكيس
وذهب يزنها له فقال لا تشق على نفسك هاتها عدداً
وإنما أخاف أن تحدث حادثة أو يقع شغل فيفوت
فيعدها وهو زيغ فيغلط بعشرة دنانير فلما أتم
وزنها وعدها فوجد الدنانير تنقص فبكر عليه يتقضى
الفضل فضحك أبو الحكيم حتى كاد يموت وقال
تسلى عن الفرج وقد استهلك الأصل ولم يزل يختلف

ابيه يريد امتحنه حتى قال له ثمامة ويلك المجنون انت قد ذهب
المال والسخرية مستورة فان نافرته فضحت نفسك
ودخلت عداوة شيطان فهو والله اضر عليك من تجار بيتك
الذين ليس تخرجون عنك الذبان والبعوض بلا كلفة مع
جوق الجوار قال هم خير الي وشكالي فقال لو كان سمع
منك ابو حكيم هذه الكلمة كانت لخمسين دينارا اجابه
دينار وقالوا في غنا الذبان واصواتها قال المثقب العبدي

وتسمع للذباب اذا تغنى كتغريد الحمام على الغصون

وقال الشاعر ، جو مسابه تغني في غياطله ذبابه
وقال ابو النجم ، الف ترى ذبابها يعلله ،
من زهر النور الذي يكلله ، وقال ابو النجم

والشيخ تهديه الى طحابه فالروض قد نور في حوايه
مختلف الالوان من اسمايه نور اجار الشمس في جرايه
تكللا بالورد من صفرايه يجاوب المكاء من مكايه
صوت ذباب العشب في زمايه يدعو كان العقب من دعايه

صوت نعير ذا في غنايه

فالاجناس

فالاجناس التي توصف بالغنا اجناس الحمام والبعوض والناس
واصناف الذبان من الدبر والنحل والشعرا والنعر
والقمع وليس لذبان الكلب غنا ولا للجحنوج من الباقي
قال الشاعر

تذب عنها بابنت ذابل ذبان شعرا وصيف ماذل

وذبان الشعر احمر والذبان التي تهلك الابل زرق والذباب
التي تسقط على الدواب صفر وقال ارطاة بن سهية
لزميل بن ام دينار

يا زمل اني ان اكن لك حاديا اعكر عليك وان ترح لا تسبق
اني امرؤ تجد الرجال عداوتي وجد الركاب من الذباب الازرق

واذا اتربك الشعر الذي يصلح لمكانه ولا تحفظه فلا
تنس حظك من حفظه وقال المتلمس

وبه سمي المتلمس

فهذا اوان العرض حي ذبابه زنابيره والازرق المتلمس

وقال ابن مياده

بعينين يبري كأن الدبر يلسعها اذا تغرد حاد خلفها طرب

والدليل على أن أجناس النحل والدبر كلها ذبان ما حدث
به عبّاد بن صهيب عن إسمعيل المكي عن الأعمش عن عطية
بن سعد العوفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل ذباب في النار إلا النحلة ه‍ قال إسمعيل سمعت
مجاهدًا يقول يُكره قتل النحل وإحراق الطعام
يعني في الغزو وقال وحدثنا عنبسة قال حدثنا
حنظلة السدوسي قال حدثنا أنس بن مالك أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال عمر الذباب أربعون يومًا والذباب
في النار وقد اختلف الناس في تأويل قوله والذباب في النار
فقال قوم الذباب خلق للنار كما خلق الله تعالى
ناسًا كثيرًا للنار وأطفالًا للنار وهؤلاء قوم خلعوا
عذرهم وصار أحدهم إذا قال ذلك عدلًا من الله فقد بلغ
أقصى العذر ورأى أنه إذا أضاف إلى الله عذاب الأطفال
فقد مجّده ولو وجد سبيلًا إلى أن يزعم أن الله يخبر عن شيء
أنه يكون ولا يكون ثم يقول إن ذلك صدق لقاله ولكنه

كان السيف عند هذه ولا يخافه عند تلك وإن كانت تلك
أعظم في الفرية من هذه وبعضهم يزعم أن الله إنما عذب
أطفال المشركين ليغم آباءهم ثم قال المعتدلون منهم
بل عذبهم لأنه هكذا شاء ولأن ذلك له فليت شعري
أيحسب هذا القول في باب التمجيد لله لأنه كل من فعل
ما يقدر عليه فهو محمود وكل من لم يخف سوط أمير
فأتى قبيحًا فما الذي يحسّن ذلك القبيح أن صاحبه كان
في موضع أمن أم لأنه يمتنع من مطالبة السلطان وكيف
يكون الكذب والظلم والعبث واللهو والبخل كله محالًا
ممن لا يحتاج إليه ولا تدعوه إليه الدواعي وزعم أبو إسحق
أن الطاعات إذا استوت استوى أهلها في الثواب وأن
المعاصي إذا استوت استوى أهلها في العقاب فإذا
لم يكن منهم طاعة ولا معصية استووا في التفضل
وزعم أن أجناس الحيوان وكل شيء يحس ويألم في التفضل
سواء وزعم أن أطفال المشركين والمسلمين كلهم في

الجنة وزعم انه ليس بين المجانين والاطفال فرق ولا بين البهايم
والمجانين فرق وكان يقول ان هذه الابدان السبعية
والبهيمية لا تدخل الجنة ولكن الله ينقل تلك الارواح
خالصة من تلك الابدان فيركبها في اي الصور احب
ويعمر ابو الهذيل وصحصح يكرهون هذا الجواب ويقولون
سوا عند خصومنا وعوامنا اقلنا ان ارواح كلابنا
تصير الى الجنة ام قلنا انها كلابنا تدخل الجنة ومتى
انتصر كلامنا بذكر الكلب على اي وجه كان
فكانا عندهم قد زعمنا ان في الجنة كلابا ولكنا
نزعم ان جميع ما خلق الله من السباع والبهايم والحشرات
والهمج فهو قبيح المنظر مولم او حسن المنظر ملذ
فما كان كالخيل والظباء والطواويس والتدارج فانها
تلذ في الجنة ويلذ اولياء الله بمناظرها وما كان
قبيحا في الدنيا مولم المنظر جعله الله عذابا الى
عذاب اعدايه في النار فاذا جاء في الاثر ان الذباب

في النار وغير ذلك من الخلق فانما يراد به هذا المعنى وذهب
بعضهم الى انها تكون في النار وتلذ ذلك كما ان خزنة
النار والذين يتولون من الملايكة التعذيب يلذون موضعهم
من النار وذهب بعضهم الى ان الله يطبعهم على استلذاذ
النار والعيش فيها كما طبع دود الخل والثلج
على العيش في اماكنها وذهب اخرون الى ان الله يحدث
لابدانها علة لا تصل النار اليها وتنعم قلوبها وابدانها
من وجه اخر كيف شاء وقالوا وقد وجدنا الناس يحتالون
لانفسهم في الدنيا حيلا حتى يدخل احدهم بعض الاتاتين
بتلك الطلا فلا تضره تلك النار وهو في اعظمها موضع
الجاحم منها فضل ما بين قدرة الله وقدرة عباده اكثر
من فضل ما بين حر نار الدنيا والاخرة وذهب بعضهم الى
ان سبيلها فيها كسبيل نار ابرهيم عليه السلم فانه
لما قذف فيها بعث الله اليه ملكا يقال له ملك الظل
فكان يونسه ويحدثه فلم تصل النار اليه اذاه مع قربه

من طباع ذلك الملك وكيف ما دار الأمر في هذه الجوابات
فإن أخسها وأشنعها أحسن من قول من زعم أن الله جل
وعز يعذب بنار جهنم من لا يسخطه ولا يعقل كيف السخط
ومن العجب أن بعضهم يزعم أن الله إنما عذبه ليغم أباه
وإنما يفعل ذلك من لا يقدر على أن يوصل إليهم ضعف
آلامهم والألم الذي ينالهم بسبب أبنائهم فأما من يقدر
على إيصال ذلك المقدار إلى من يستحقه كيف يصرفه إلى من لا
يستحقه وكيف يصرفه عمن أسخطه إلى من لم يسخط هذا
وقد سمعوا قول الله يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ
ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في
الأرض جميعا ثم ينجيه فكيف يقول هذا وهو يتلو القرآن
قال والذبان وأصناف الذبان أجهل الخلق لأنها تغشى
النار من ذات أنفسها حتى تحترق وقد قال الشاعر
ختمت الفؤاد على حبها كختم الصحيفة بالخاتم
هوت بي إليها بطرفه هوي الفراشة للجاحم

وقال الشاعر
كأن مشافر النجدات منها إذا ما مسها قمع الذباب
بأيدي مأتم متسلبات نعال السبت أو عذب الثياب
وقال بعض الشعراء وهو يهجو حارثة بن بدر الغداني
زعمت غدانة أن فيها سيدا ضخما يواريه جناح الجندب
وزعم ناس أنه قال
يرويه ما يروي الذباب فينتشي سكرا وتشبعه كراع الأرنب
قالوا لا يجوز أن يقول يرويه ما يروي الذباب ويواريه جناح
الجندب ثم قال وتشبعه كراع الأرنب وإنما ذكر
الأرنب لأن يد الأرنب قصيرة ولذلك تسرع في الصعود
فلا يلحقها من الكلاب إلا كل قصير اليدين وذلك
محمود في الكلب والفرس يوصف بقصر الكراع
مضحكة
وحدثني الحسن بن إبراهيم العلوي قال مررت بجار لي
وإذا هو وحده يضحك فأنكرت ضحكه لأني رأيته
وحده وأنكرته لأنه كان رجلا زميتا سكينا قليل

الضحك فسألته عن ذلك فقال اتاني فلان يعني شيخا مدينيا
وهو مذعور فقلت له ما وراءك فقال انا والله هارب
من بيتي قلت ولم قال لان في بيتي ذباب أزرق وكلما دخلت
ثار في وجهي وطار حولي وطنّ عند اذني فاذا وجد مني غفلة
لم يخطئ موق عيني هذا والله دأبه ودأبي منذ دهر قال
فقلت له ان شبه الذباب بالذباب لشبه الغراب بالغراب
فلعل الذي اذاك اليوم غير الذي اذاك امس والذي اذاك
أمس غير الذي اذاك أول من أمس قال لا اعتق ما يملك ان لم
اكن اعرفه بعينه منذ خمس عشرة حجة فهذا هو الذي
أضحكني وقال الخليل بن يحيى قد رأيت الخنزير
يركب الخنزيرة عامة نهاره ورأيت الجمل يركب الناقة
ساعة من نهار وكنت قبل ذلك اغبط العصفور والخنزير
فان الذكر فان كان سريع النزول عن ظهر الانثى فانه
لسرعة العودة ولكثرة العدد كانه يا معي الخنزير
والجمل حتي رأيت لبث الذباب وفطنت له فاذا هو يركب

الذبابة عامة نهاره فقال له محمد بن عمرو البكراوي لعل ذلك الذي
هو للسفاد فقال اما رأي العين فهذه الحكمة فان كنت
تريد أن تطيب نفسك بانكار ما تعرف فما قسم الله بين
خلقه من فضول اللذة قد ونك ويزعمون ان للورل في ذلك ما
ليس لغيره وانشد ابن داحة في مجلس أبي عبيدة قول
السيد الحميري

أترى صهاكا وابنها وأبا ابنها وأبا قحافة آكل الذبان
كانوا يرون وفي الامور عجايب يأتي بهن تصرف الازمان
ان الخلافة من وراثة هاشم فيهم تكون وهيبة السلطان

وكان ابن داحة رافضيا وكان ابو عبيدة خارجيا
صفريا فقال له وما معناه في قوله آكل الذبان قال
لانه كان يذب عن عطر بن جدعان قال ومتى احتاج
العطارون الى المذاب قال غلطت انما كان يذب عن
حيسة ابن جدعان قال كان ابن جدعان وهشام
بن المغيرة كانا يتحاسن لاجرهما الحيسة على عده

أنطاع يأكل الراكب والقائم والقاعد فإن كانت بقعة مدينة
أبي قحافة من هذا الجبل فما كان يذب عنها ويدور حواليها
فضحكوا منه فهجر مجلسهم سنة قال وفي باب تحقير
شأن الذبان وتصغير قدرها يقول الرجل لو كانت الدنيا
تساوي عند الله جناح ذبابة لما أعطى الكفار منها
شيئا وعندنا بالبصرة في الذبان أعجوبة لو كانت بالشأم أعجوبة
ومصر لأدخلوها في باب الطلسم وذلك أن التمر يكون
مصبوبا في بيادر التمر في شق البساتين فلا ترى على شيء
منه ذبابة لا في الليل ولا في النهار ولا في البردين ولا في
أنصاف النهار نعم ويكون هناك المعاصر ولأصحاب
المعاصر ظلال ومن شأن الذبان الفرار من الشمس إلى الظل
وتلك المعاصر تمره رطبة ودبس وخبير ثم لا ترى في
تلك الظلال والمعاصر في أنصاف النهار ولا في وقت طلب
الذبان الكن من الذبان إلا دون ما تراه في المنزل الموصوف
بقلة الذبان وهذا شيء يكون موجودا في جميع الشق

الذي

الذي فيه البساتين فإن نحو لشيء من تمر تلك الناحية إلى جميع
ما يقابلها من نواحي البصرة غشيه من الذبان ما عسى أن
لا يكون بأرض الهند أكثر منه وليس بين جزيرة نهر الهند أكثر الذبان
دبيس وبين موضع الذبان إلا فيض البصرة ولا بين ما يكون
من ذلك بهزاردر وبين موضع الذبان مما يقابله إلا سيحان
فهو ذلك التمر وتلك المعصرة ولا تكون المسافة إلا
مائة ذراع أو يزيد شيئا أو ينقص وأعجوبة أخرى أعجوبة أخرى
وهي عندي أعجب من كل شيء صدرنا به جملة القول
في ذكر الذبان فمن العجب أن يكون بعض الحيوان لا
ينام كالصافر والتنوط فإنهما إذا كان الليل
فأحدهما يتدلى من غصن الشجرة ويضم عليه رجليه
وينكس رأسه ولا يزال يصيح حتى يبرق النور والآخر
لا يزال ينتقل في زوايا بيته ولا يأخذه القرار خوفا
على نفسه فلا يزال كذلك حتى يصبح وقد نسج قبل ذلك
بما على ظهور الأشجار مما يشبه الليف فنفشه ثم فتل

منه حبلا ثم عمل منه كهيئة القفة وجعل مُدلّى به لكي الحبل
فيعقده بطرف غصن من تلك الأغصان إلا أن ذلك بعد صنيع
ونسج ومداخلة عجيبة ثم يتخذ عشه فيه ويأوي إليه حماية
على نفسه والأعراب يزعمون أن الذئب شديد الاحتراس
وأنه يراوح بين عينيه فتكون واحدة منطبقة نائمة
وتكون الأخرى مفتوحة حارسة ولا يشكون أن الأرنب
تنام مفتوحة العين وأن الدجاج والكلاب إنما تعزب
عقولها في النوم وترجع إليها بمقدار رجوع الأنفاس
فأما الدجاج فإنها تفعل ذلك من الجبن وأما الكلب
فإنه يفعل ذلك من شدة الاحتراس وجاؤوا كلهم
يخبرون أن الغرانيق والكراكي لا تنام أبدا إلا في أبعد
المواضع من الناس وأحرزها من صغار سباع الأرض
كالثعلب وابن آوى وأنها لا تنام حتى تقلد أمرها رئيسا
وقائدا وحافظا وحارسا وأن الرئيس إذا أعيا رفع إحدى
رجليه ليكون أنقض له وسلطان النوم معروف وأن الرجل

ممن يغزو في البحر ليعتصم بالشراع وبالعود وبغير ذلك
وهو يعلم أن النوم متى خالط عينيه استرخت يده
ومتى استرخت يده باينه الشيء الذي كان مركبه وما
يعتصم به وأنه متى باينه لم يقدر عليه ومتى عجز عن
اللحاق به فقد عطب ثم هو في ذلك لا يخلو إذا أسهر ليلة
أو ليلتين من أن يغلبه النوم ويقهره وإما أن يحتاج إليه
الحاجة التي تريه الرأي الفاسد وفساد العقل المغمود
بالعلة الحادثة أنه قد يمكن أن يغفي وينتبه بأسرع
الأوقات وقبل أن تسترخي يده كل الاسترخاء
وقبل أن تباينه الخشبة إن كانت خشبة وليس
في جميع ما رأينا ورُوينا في ضروب نوم الحيوان أعجب
من نوم الذبان وذلك أنها ربما جعلت مأواها بالليل
دروند الباب وقد غشوه ببطانة ساج أملس كأنه
صفاة فإذا كان الليل لزقت به وجعلت قوائمها
مما يليه وعلقت أبدانها في الهواء فإن كانت لا تنام البتة

عجيبة

ولا يحتال لطعام غرب المعرفة فهذا عجب أن تكون آلة من
أمر الحيوان لا يعرف النوم ولا يحتاج إليه وإن كانت
تنام ويعزب عنها ما يعزب عن جميع الحيوان سوى ما ذكرنا
فما تخلو من أن تكون قابضة على مواضع قوائمها متمسكة
بها أو تكون مرسلة لها مخلية عنها فإن كانت مرسلة
لها فكيف لم تسقط وهي أثقل من الهواء وإن كانت ممسكة
لها فكيف جامع الشد والتشبث النوم ونحن نرى
أن كل من كان في يده كيس أو درهم أو حبل أو عصا
فإنه متى خالط عينيه النوم استرخت يده وانفتحت
أصابعه ولذلك يتناول المحتال للعبد الذي في يده عنان
دابة مولاه وهو جالس لأن من عادة الإنسان إذا لم يكن
بحضرته من يشغله ثم رأى إنسانا قبالته ينود وينعس
ومتى نعس استرخت يده وقبضته عن العنان فإذا صار إلى
ذلك ركبه المحتال وذهب به

جملة القول في الغربان

قد كنا قدمنا ما تقول العرب في شأن منادمة الغراب
الديك وصداقته له وكيف رهنه عند الخمار وخدعه
وكيف خاس به وسخر منه وكيف خرج سالما غير غارم
وكيف ضربت به العرب الأمثال فهذا إلى ما حكى الله عز
وجل عن خبر ابني آدم حين قربا قربانا فحسد المتقبل
منه الذي لم يتقبل منه فقال عندما هم به من قتله وعند
إمساكه عنه والتخلية بينه وبين ما اختار لنفسه
إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك
جزاء الظالمين ثم قال الله تعالى فطوعت له نفسه
قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ثم قال الله
فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري
سوءة أخيه حتى قال القاتل وهو أحد ابني آدم ما قال
فلولا أن في الغراب فضيلة وأمورا محمودة وآلة وسببا
ليس لغيره من جميع الطير لما وضعه الله في موضع تأديب
الناس ولما جعله الله الواعظ والمذكر وقد قال

الله عز وجل فبعث الله غرابا فخبر انه مبعوث وانه الذي اختاره
لذلك من بين جميع الطير فقال صاحب الدليل جعلت
الدليل على سوء حاله وسقوطه الدليل على حسن حاله
وارتفاع مكانه وكلما كان المقرع به اسفل كانت
الموعظة به ابلغ الاثر، يقول يا ويلتا اعجزت ان اكون
مثل هذا الغراب فاوارى سوءة اخي فاصبح من النادمين
ولو كان موضع الغراب رجلا عاقلا او انسانا صالحا
لما حسن ان يقول يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا
العاقل الفاضل الكريم الشريف واذا كان دونه حقيرا
قال اعجزت وانا انسان ان احسن ما يحسنه طاير
من شرار الطير واذا اراه ذلك في طاير اسود محترق
قبيح الشمايل ردي المشية ليس من بهايم الطير المحمودة
ولا من سباعها الشريفة وهو مع ذلك طاير يتنكد
به ويتشاءم منه اكال جيف ردي الصيد وكلما
كان اخمل وانذل كان ابلغ في التوبيخ والتقريع واتما

قوله فاصبح من النادمين فلم يكن على جهة الاخبار انه قتله
ليلا وانما هذا كقوله ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ولو كان
المعنى وقع على ظاهر اللفظ دون المستعمل في الكلام
من عادات الناس كان من فر من الزحف ليلا لم يلزمه
وعيد وانما وقع الكلام على ما عليه الاغلب من ساعات
اعمال الناس وذلك هو النهار دون الليل ولذلك قال صالح
بن عبد الرحمن حين دفعوا اليه جوابا الخارجي ليقتله
وقالوا ان قتله برئت الخوارج منه وان ترك قتله فقد ابدى
لنا صفحته فقال صالح عند ذلك ثنا وبلا نستنكرها
وذلك انه قال قد اجد التقية تسع في الكفر والكفر
باللسان اعظم من القتل والقذف بالجارحة فاذا جازت
التقية في الاعظم كانت في الاصغر اجوز فلما راى ان
هذا التاويل مطرد له وجد على حال البصيرة ناقصة
واحس بانه انما التمس عذرا ولزوم الحجة تلزيقا

فلما عزم على قتل جواب وهو عنده واحد الصفرية [illegible]
والفضل قال إني يوم أقتل جوابا على هذا الضرب من التأويل
لحريص على الحيوة ولو كان حينئذ قال إني يوم أقتل جوابا
إنما عنى النهار دون الليل كان عند نفسه أنه إذا
قتله تلك القتلة ليلا لم يأثم وهذا أيضا كقوله ولا
تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ولو كان
هذا المعنى إنما يقع على ظاهر اللفظ دون المستعمل
بين الناس لكان إذا قال من أول الليل إني فاعل ذلك في
السحر أو مع الفجر أو قال بالغداة إني فاعل ذلك يومي
كله وليلتي أنه لم يكن عليه حنث ولم يكن معنى القول
إذا لم يستثن وكان إذن لا يكون معنى القول إلا فيما
وقع عليه اسم غد فأما كل من خالف ذلك في اللفظ
فلا وليس الناس بل كذلك لأنه تعالى إنما ألزم عبده
أن يقول إن شاء الله ليتقي عادة التألي وليلا يكون
كلامه ولفظه يشبه لفظ المستبد والمستغني

وعلى أن يكون عنده لكل ذاكر الله ولأنه عبد مدبر
ومقلب ميسر ومصرف مسخر وإذا كان المعنى فيه
والغاية التي إليها جرى اللفظ إنما هو على ما وصفنا
فليس من أن يقول أفعل ذلك بعد طرفة وبين أن يقول
أفعل ذلك بعد سنة فرق وأما قوله فأصبح من النادمين
فليس أنه هناك قوم قتلوا إخوتهم وندموا فصار هذا القاتل
واحدا منهم وإنما ذلك على قوله لآدم وحواء ولا تقربا
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين على معنى أن كل من
صنع صنيعكما فهو ظالم وعجبت لقوم ينكرون
قولنا في الاستثناء وقد سمعوا الله يقول إنا بلوناهم
كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين
ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون
مع قوله ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن
يشاء الله … العرب تسمي الغراب ابن داية لأنه
إذا وجد دبرة في ظهر البعير أو في عنقه أو قرحة سقط

عليه ونعره واكله حتى تبلغ الدايات وقال بشر عمرو
نجيبة قرم شادها القتّ والنوى بيثرب حتى نيّها متظاهر
فقلت لها سيري فما بك علة سنامك ملموم ونابك فاطر
تمثّل أو خيرًا تركت رذية تقلّب عينيها اذا مرّ طاير

ومثل قول الراعي

فلو كنت معذورا بنصرك طيّرت صقوري غربان البعير المقيّد

ضرب ذلك مثلا للبعير المقيّد ذي الدبر اذا وقع عليه الغربان واذا كان بظهر البعير دبر غرز في سنامه اما قوادم ريش اسود واما خرق اسود لتفزع الغربان منه فلا تسقط عليه وقال الشاعر

لما رأت ابلي جاءت حمولتها هزلى عجافا عليها الريش والخرق
قالت الا تبتغي شيئا نعيش به مما قليل فشر العيشة الرنق

وفي ذلك يقول الآخر

كأنها سنة بغار زجر في حيث ما مرقته الريح ينتصف
حبرذ عظيم قال رؤبة   عن جرزنته مجوز عار

الخامس عشر

وقد توضع الريش في أسنمتها وتغرز فيها لغير ذلك وذلك ان الملوك كانت تجعل الريش علامة لحباء الملك تحميها بذلك وتشرف صاحبها وقال الشاعر

يهب الجلاد بريشها ورعائها كالليل قبل صباحه المتبلج

ولذلك قالوا في الحديث فرجع النابغة من عند النعمن وقد وهب له مائة من عصافيره بريشها وللريش مكان آخر وهو أن الملوك اذا حبت الخرايط بالظفر غرزت فيها قوادم ريش سود وقال الشاعر

سأرفع قولا للحصين ومالك تطير به الغربان شطر المواسم
ويروي به الهيم الظما ويطّبي بأمثالها الغادين سجع الحمائم

يعني غربان الابل واما قوله ويروي به الهيم الظما مثل قول المانح

علقت يا حارث عند الورد
فجاءني لا رفل الردي   ولا عيبا بابتنا المجد

وقالوا في البعير اذا كان عليه حمل من تمر أو حب فتقدم الابل لفضل قوته ونشاطه فعرضها عليه للغربان

قال الراجز قد قلت قولا للغراب اذ حجل
عليك بالقود المسانيف الاول تغدّ ما شئت على غير عجل
ومثله تغدّ منها كل علاة مذعان حمراء من معرضات الغربان
ويقال أصح بدنا من غراب وابصر من غراب واصفى عيشا
من غراب وقال ابن ميادة
ألا طرقتنا ام أوس ودونها حراج من الظلماء يعشى غرابها
فبتنا كانا بيتتنا لطيمة من المسك او دارية وعيابها
يقول اذا كان الغراب لا يبصر في حراج الظلماء
وواحد الحراج حرجة وهي ها هنا مثل جعل
كل شيء التف وكثف من الظلام حراجا وانما الحرجة
من السدر واشباه السدر يقول فاذا لم يبصر فيها
الغراب بحدة بصره وصفا مقلته فما ظنك بغيره وقال
ابو الطمحان
اذا شاء راعيها استقى من وقيعة كعين الغراب صفوها لم يكدر
والوقيعة المكان الصلب الذي يمسك الماء والجمع

وقايع قال وانشدنا ابو عمرو بن العلاء في الوقايع
اذا ما استبالوا الخيل كانت اكفهم وقايع للابوال والماء ابرد
يقول كانوا في فلاة فاستبالوا الخيل في اكفهم فشربوا ابوالها
من العطش ويقال للشهد الوقعة والوقيعة بمعنى واحد قال الشاعر
لعمري لقد ابقت وقيعة راهط على زفر داء من الشر باقيا تعال زفر
لعمري لقد ابقت وقيعة راهط لمروان صدعا بيننا متنائيا
وقال الاخطل
لقد اوقع الجحاف بالبشر وقعة الى الله منها المشتكى والمعول
وفي صحة بدن الغراب يقول الشاعر
ان معاذ بن مسلم رجل قد ضج من طول عمره الابد
قد شاب راس الزمان واكتهل الدهر واثواب عمره جدد
يا نسر لقمان كم تعيش وكم تسحب ذيل الحياة يا لبد
قد اصبحت دار آدم خربت وانت فيها كانك الوتد
تسأل غربانها اذا حجلت كيف يكون الصداع والرمد
ويقال ارض لا يطير غرابها وقال النابغة

ولم يقطع جوابه وقد سوّدة في المجد ليس غرابها بمطار
جعله مثلاً يعني ان هذه الارض يبلغ من خصبها انه اذا دخلها
الغراب لم يخرج منها لانه يجد كل شي يريده فيها وفي ذمّ
الغراب يقول حسان بن ثابت في بعض قريش

ان الفرافصة بن الاحوص عنده شجن لامك من بنات عقاب
اجمعت انك انت ألأم من مشى في فحش مومسة وزهو غراب

ويقال وجد فلان تمرة الغراب كانه عندهم ينتقي اجود
التمر ويقال انه لأحذر من غراب واشد سواداً من غراب
وقد مدحوا بسواد الغراب قال عنترة

فيها اثنتان واربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الاسحم

وقال ابو داود

ينفي الحصى صعداً شرقي منسمها نفي الغراب باعلا انفه الغرده

والمغارين يذكرون صعدا وانشد

تحج مامومة في قعرها لجف فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

وقد ذكرنا شدة نفاره وحدة بصره في غير هذا المكان

وقالوا في مدح السواد قال امرؤ القيس

العين قادحة واليد سابحة والاذن مصعبة واللون غربيب

وفي السواد يقول ربيعة ابو ذؤاب الاسدي وذؤاب
قاتل عتيبة بن الحرث بن شهاب

ان المودة والهوادة بيننا خلق كسحق اليمنة المجباب
الا بجبير لا ابن عدية سود الجلود من الحديد غضاب

وفي المثل لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب وقال العرجي

لا يحول الفؤاد عنك بود ابداً او يحول لون الغراب

وقال ساعدة بن جوية

شاب الغراب ولا فؤادك تارك ذكر الغضوب ولا عتابك يعتب

ومما يذكر عن الغراب ما حدثنا ابو الحسن عن ابي سليمن
ان معوية قال لابي هودة الباهلي لقد هممت ان احمل جمعاً
من باهلة في سفينة ثم اغرقهم فقال ابو هودة اذن لا ترضى
باهلة بعدتهم من بني امية قال اسكت ايها الغراب الابقع
وكان به برص فقال ابو هودة ان الغراب الابقع ربما درج

إلى الرحمة حتى ينفرد دماغها ويقتلع عينيها فقال يزيد بن معوية
ألا نقتله يا أمير المؤمنين قال مه ونهض معوية ثم وجهه
بعد في سرية فقتل فقال معوية ليزيد هذا أحق واصو
وقال آخر في نقر الغراب العيون

أتوعد أسرتي وتركت حجرا يريغ سواد عينيه الغراب
ولولا قيت علباء بن جحش رضيت من الغنيمة بالإياب

وقال أبو حية في أن الغراب يسمونه الأعور تطيرا منه

وإذا أحل فتودها بثنوية ترت تليح من الغراب الأعور

لأنها تخاف من الغربان لما تعرف من وقوعها على الدبر ومما
يمدح به الشعر لون الغراب كقول أبي حية

غراب كان أسود حالكيا ألا سقيا لذلك من غراب

وقال أبو حية

زمان علي غراب غداف فطيره الدهر عني فطارا
فلا يبعد الله ذاك الغداف وإن كان لا هو إلا ادكارا
فأصبح موضعه بائضا محيطا خطاما محيطا عذارا

وقال أبو حية في غير ذلك هو ما يعد للغراب

كأن عصيم الورس منهن جاسد بما سال من غربانهن من الخطر

والغراب ضروب ويقع هذا الاسم في أماكن فالغراب حد
السكين والفأس يقال فأس حديدة الغراب وقال الشماخ

فلاحي عليها ذات حد غرابها عدو لأوساط العضاه مشارز

المشارزة المجادلة والمخاشنة والغراب حد الورك ورأس سه
الذي يلي الظهر ويبدو من مؤخر الردف والجمع غربان وقال
ذو الرمة

وقربن بالزرق الحمائل بعدما تقوب عن غربان أوراكها الخطر

تقوب تقشر ما على أوراكها من سلحها وبولها من ضربها بأذنابها
وكل غراب فقد يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشوم
إلا غراب البين نفسه فإنه غراب صغير وإنما قيل لكل
غراب غراب البين لسقوطه في مواضع منازلهم إذا بانوا
وقال أبو نخوالة الرياحي في ذلك

فليس بيربوع إلى العقل فاقة ولا دنس تسود منه ثيابها

كيف هم

فكيف بنو كي مالك إن كفرتم لهم هذه أم كيف بعد خطابها
مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها

وفي الدليل على أن الغراب من شرار الطير ما رواه أبو الحسن
قال كان ابن الزبير يقعد مع معوية على سريره فلا يقدر
معوية أن يمتنع منه فقال ذات يوم أما أحد يكفيني
ابن الزبير فقال الوليد بن عقبة أنا أكفيكه فسبق فقعد
في مقعده على السرير وجاء ابن الزبير فقعد دون السرير
وأنشد ابن الزبير

تسمى أبانا بعد ما كان نافعا وقد كان ذكوان تكنى أبا عمرو

فما عدا الوليد حتى صار معه ثم قال

فلولا حرة مهدت عليكم صفية ما عددتم في النفير
ولا عرف الزبير ولا أبوه ولا قعد الزبير على السرير
وددنا أن أمكم غراب فكنتم شر طير في الطيور

قال أبو زيد إذا كان الشتاء قطعت إلينا الغربان
أي جاءت من بلادها فهي قواطع إلينا وإذا كان الصيف

فهي رواجع والطير التي تقيم بأرضنا شتاءها وصيفها أبدا
فهي الأوابد والأوابد أيضا الدواهي يقال جاءنا بآبدة ومنه
أوابد الأشعار والأوابد أيضا الإبل إذا توحش منها شيء
فلم يقدر عليه إلا بالعقر وأنشد أبو زيد في الأوابد قول الراجز

ومنهل وردته التقاطا ... طام فلم ألق به فراطا
إلا القطا أوابدا غطاطا

وقال نعق الغراب ينعق نعيقا
بالغين معجمة ونعب ينعب نعابا والعين غير معجمة فإذا
مرت عليه السنون الكثيرة وغلظ صوته قيل شحج يشحج
شحيجا وقال ذو الرمة

ومستشحجات بالفراق كأنها مثاكيل من صيابة النوب نوح

والنوبة توصف بالجزع وأصحاب الإبل يرغبون في
اتخاذ النوبة والبربر والروم للإبل يرون أنهم يصلحون
على معايشتها ونصلح على قيامهم عليها ومن العجب أن رجال
الروم تصلح في البدو مع الإبل ودخول الإبل بلاد الروم
هو هلاكها فأما السند فإن السندي صاحب الخربة

إذا صار إلى البدو وهو طفل خرج أفصح من أبي مهدية ومن
أبي مطرف الغنوي ولهم طبيعة في الصرف لا ترى بالبصرة
صيرفيا إلا وصاحب كيسه سندي ثم اشترى محمد
بن السكن أبا روح فرجا السندي فاكتسب له
المال العظيم فقل صيدناني عندنا إلا وله غلام سندي
فبلغوا أيضا في البصر والمعرفة بالعقاقير وبصحة
المعاملة واجتلاب الحرفاء مبلغا حسنا وللسند
طبيعة في الطبخ ما أكثر ما يجيدون فيه وقد كان
يحيى بن خالد أراد أن يحول أجراء الخيل عن صبيان الحبشة
والنوبة إلى صبيان السند فلم يفلحوا فيه وأراد تحويل
رجال السند إلى موضع الفراشين من الروم فلم يفلحوا فيه
وفي السند أخلاق جيادة وكذلك أبناء السند
والغراب أيضا يسمى حاتما وقال عوف بن الخرع

ولكنما أهجو صفي بن ثابت مثبجة لاقت من الطير حاتما

وقال المرقش من بني سدوس

ولقد غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم
فإذا الأشائم كالأيامن والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم

وأنشد الخيثم بن عدي

ولست بهياب إذا شد رحله يقول عداني اليوم واق وحاتم
ولكنه يمضي على ذاك مقدما إذا صد عن تلك الهنات الخثارم

والخثارم هو المتطير من الرجال وأما قوله واق وحاتم
فحاتم هو الغراب وواق هو الصرد كأنه يرى أن الزجر
بنعيق الغراب إذا اشتق من اسمه الغربة والاغتراب
والغريب فإن ذلك حتم ويشتق من الصرد التصريد والصرد
وهو البرد ويدلك على ذلك قوله

دعا صرد يوما على غصن شوحط وصاح بذات البين منها غرابها
فقلت أتصريد وشحط وغربة فهذا لعمري نأيها واغترابها

ويقال أغرب على الرجل فهو مغرب إذا اشتد مرضه قال
والعنقاء المغرب العقاب لأنها لا تجيء من مكان بعيد

ولقد

قالوا وأصل التطير إنما كان من الطير ومن جهة الطير
إذا مر سانحا أو بارحا أو رآه يتفلى وينتف حتى صار إذا
عاينوا الأعور من الناس والبهائم والأعضب أو الأبتر
زجروا عند ذلك وتطيروا منه كما تطيروا من الطير إذا
رأوها على تلك الأحوال فكان زجر الطير هو الأصل
ومنه اشتقوا التطير ثم استعملوا ذلك في كل شيء والغراب
لسواده إذا كان أسود ولاختلاف لونه إذا كان
أبقع ولأنه غريب يقطع ولأنه لا يوجد في موضع خيامهم
يتقمم إلا عند مباينتهم لمساكنهم ومزايلتهم لدورهم
ولأنه ليس شيء من الطير أشد على ذوات الدبر من إبلهم من
الغربان ولأنه حديد البصر فقالوا عند خوفهم من عينه
الأعور كما قالوا غراب لاغترابه وغربته وغراب
البين لأنه عند بينهم يوجد في دورهم وسموه ابن داية
لأنه ينقب عن الدبر حتى يبلغ إلى دايات العنق وما اتصل
بها من خرزات الصلب وفقار الظهر وللطيرة سمت العرب

المنهوش بالسليم والبرية بالمفازة وكنوا الأعمى أبا بصير وسموا
الغراب بحاتم إذ كان يحتم الزجر به على الأمور فصار
تطيرهم من القعيد والنطيح وجرد الجراد ومن اذاي
ذات ألوان وجميع ذلك دون التطير بالغراب ولإيمان الغر
بباب الطيرة والفال عقروا الركائب وعتروا وإذا دخلوا
القرى تعشروا تعشير الحمار واستعملوا في القداح الآمر والناهي
والمتربص وهي غير قداح الأيسار ويدل على أنهم يشتقون
من اسم الشيء الذي يعاينون ويسمعون قول سوار
بن المضرب

تغنى الطائران ببين سلمى على غصنين من غرب وبان
فكان البان أن بانت سليمى وفي الغرب اغتراب غير دان
فاشتق كما ترى الاغتراب من الغرب والبينونة
من البان وقال جران العود

جرى يوم جئنا بالجمال لنزفها عقاب وشحاج من البين يبرح
فأما العقاب فهو منها عقوبة وأما الغراب فالغريب المطرح

فلم يجد في العقاب إلا العقوبة وجعل الشحاج وهو الغراب
البارح وصاحب البين واشتق منه الغربة المطوح
ورأى السهمي غرابا واقعا فوق بانة ينتف ريشه فلم
يجد في البانة إلا البينونة ووجد في الغراب جميع معاني المكروه
فقال
رأيت غرابا واقعا فوق بانة ينتف أعلى ريشه ويطايره
فقلت ولو أني أشاء زجرته بنفسي للنهدي هل أنت زاجره
فقال غراب باغتراب من النوى وبالبين بان من حبيب تعاشره وبالبين بين صح
فذكر الغراب بأكثر مما ذكر به غيره ثم ذكر بعد شأنه الريش
وتطايره وقال آخر تكرر من المصنف
دعا صرد يوما على غصن شوحط وصاح بذات البين منها غرابها
فقلت أتصريد وشحط وغربة فهذا لعمري نأيها واغترابها
فاشتق التصريد من الصرد والغربة من الغراب والشحط
من الشوحط وقال الأعشى
ما تعيف اليوم في الطير الروح من غراب البين أو تيس برح
فجعل التيس من الطير إذ قدم ذكر الطير وجعله من الطير

بأن يجيء التطير وقال النابغة
زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الأسود
وقال عنترة
ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرى ببينهم الغراب الأبقع
حرق الجناح كأن لحيي رأسه جلمان بالأخبار هش مولع
فزجرته ألا يفرخ بيضه أبدا ويصبح خائفا يتفجع
إن الذين نعبت لي بفراقهم هم أسهروا ليل التمام فأوجعوا
فقال وجرى ببينهم الغراب لأنه غريب ولأنه غراب
البين ولأنه أبقع ثم قال حرق الجناح تطيرا أيضا من
ذلك ثم جعل لحيي رأسه جلمين والجلم يقطع وجعله
بالأخبار هشا مولعا وجعل نغيقه وشحيجه كالخبر
المفهوم قالوا والغراب أكثر من جميع ما يتطير منه في
باب الشؤم ألا ترى أنهم كلما ذكروا شيئا يتطيرون
منه ذكروا الغراب معه وقد يذكرون الغراب ولا يذكرون
غيره ثم إذا ذكروا كل واحد من هذا الباب لم يمكنهم

أن يتطير منه الآخر وجه واحد والغراب كثير المعاني
في هذا الباب فهو المقدم بالشؤم قال صاحب
الغراب الغراب دعير الغراب في ذلك سواد الأعرابي
إن شاء اشتق من الكلمة وتوهم فيها الخير وإن شاء اشتق
منها الشر وكل كلمة تحتمل وجوها ولذلك قال الشاعر
نظرت وقد جاوزت بطن طويلع ضحيا وقد أفضى إلى اللبب الحبل
إلى ظبية تعطو سيالا تنوشه يجاذبه الأفنان ذو جدل طفل
فقلت دعتني الحب أحبل وصالها تجدد من سمال وانفصم الوصل
وقلت سيال قد تسلت مودتي تقصر غصونا صار حبتنا تبلو
وعفت الغرير الطفل طفلا أتت به فقلت لأحيا بي بصيكم جهل
رجوع عن حزم وامرأة صنعة كذلك كان الزجر يصدقني قبل
وقال ابن قيس الرقيات
بشر الظبي والغراب بسعدى مرحبا بالذي يقول الغراب
وقال الآخر
بدا إذ قصدنا عامرين لأرضنا سنيح فقال القوم مر سنيح

دعا بر رجالا أن يقولوا مرحبا فقلت لهم جار إلي ربيح
عقاب بأعقاب من الدار بعدما مضت نية لا تستطاع طروح
وقالوا دم دامت مودة بيننا وعاد لنا غض الشباب فريح
وقال صحابي هدهد فوق بانة هدى وبيان في الطريق يلوح
وقالوا حمامات فحم لقاؤها وطلح فنيلت والمطي طلوح
فهو إذا شاء جعل الحمام من الحمام والحميم والحمى وإن شاء قال
وقالوا حمامات فحم لقاؤها وإذا شاء اشتق البين من البان
وإذا شاء اشتق منه البيان وقال آخر
وقالوا عقاب قلت عقبى من الهوى دنت بعد هجر منهم ونزوح
وقالوا حمام قلت حم لقاؤها وعاد لنا حلو الشباب ربيح
وقالوا تغنى هدهد فوق بانة فقلت هدى تغدو به وتروح
ولو شاء الأعرابي إذا رأى سواد الغراب أن يقول سواد
وسودد وسواد الإنسان شخصه وسواد العراق والا سودد
التمر والماء وأشباه ذلك لفعل له وقالوا ولا بأعيانهم
الذين يعرفون الزجر كيف شاؤوا وإذا لم يجد من قوع

شي بعد الزجر بدًّا هم الذين اذا بدا المعو ذلك بدا انكرو
الطيرة والزجر البتة وزعم الاصمعي ان النابغة خرج
مع زبان بن سيار يريدان الغزو فبينما هما يريدان الرحلة
اذ نظر النابغة واذا على ثوبه جرادة فقال جرادة تجرد
وذات الوان غيري الذي خرج في هذا الوجه
فلما رجع زبان من تلك الغزوة سالما غانما انشا يقول

تخبر طيره فيها زياد لتخبره وما فيها خبير
اقام كان لقمن بن عاد اشار له بحكمته مشير
تعلم انه لا طير الا على متطير وهو الثبور
بلى شي يوافق بعض شي احايينا وباطله كثير

فزعم كما ترى زبان وهو من دهاة العرب وساداتهم ان
الذي يجدونه انما هو شي من طريق الاتفاق وقال تعلم
انه لا طير الا على متطير وهذا لا ينقض الاول لان قوله
اما واحقة فانه جعل ذلك من طريق العقاب للمتطير لم
ينقض قوله في الاتفاق وان ذهب الى ان مثل ذلك قد

يكون ولا يشعر به الا من عرف ذلك وانه لا يؤمن بالطيرة فاما
المتوقع فهو بلاء ما كان متوقعا وان وافق بعض المكروه
جعله من ذلك وقيل ان ابن الزبير لما خرج مع اهله من المدينة
الى مكة سمع بعض اخوته ينشد

كل بني ام سيمسون ليلة ولم يبق من اعيانهم غير واحد

فقال لاخيه ما دعاك الى هذا قال اما اني ما اردته قال
ذاك اشد له وهذا منه ايمان شديد بالطيرة كما ترى
وممن كان لا يرى الطيرة شيئا المرقش من بني سدوس
حيث يقول

اني غدوت وكنت لا اغدو على واق وحاتم
فاذا الاشائم كالايامن والايامن كالاشائم
وكذاك لا خير ولا شر على احد بدائم

وانشد لخثيم بن عدي

وليس بهياب اذا شد رحله يقول عداني اليوم واق وحاتم
ولكنه يمضي على ذاك مقدما اذا صد عن تلك الهنات الخثارم

والكتاب المتطير وهو قول سلامة بن جندل
ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد مشؤوم
وممن كان ينكر الطيرة ويوصي بذلك الحرث بن حلزة وهو قوله
قال أبو عبيدة أنشدنيها أبو عمرو وليست إلا هذه الأبيات
وسائر القصيدة مصنوع مولد وهو قوله
يا أيها المزمع ثم انثنى لا يثنك الحازي ولا الشاحج
ولا قعيد أعضب قرنه هاج له من مرتع هائج
بينا الفتى يسعى ويسعى له تاح له من أمره خالج
يترك ما رقح من عيشه يعيث فيه همج هامج
لا تكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج
وقال الأصمعي قال سلم بن قتيبة أضللت ناقة لي عشراء غريبة
وأنا بالبدو فخرجت في طلبها فلقيني رجل بوجهه شينة
من جرة ثم تلقاني رجل آخذ خطام بعير وهو ينشد
فلئن بعثت لها بغاة فما البغاة بواجدينا
ثم من بعد ذلك لم أسأل عنها بعض من لقيت فعلا الغتها

عند تلك النار فأتيتهم فإذا هم قد نتجوها حوارا وقد أوقدوا
لها نارا فأخذت بخطامها وانصرفت وأخبرني أبو إسحق
إبرهيم بن سيار النظام قال جعت حتى أكلت الطين
وما صرت إلى ذلك حتى قلبت قلبي أتذكر هل بها رجل أصيب
عنده غداء أو عشاء فما قدرت عليه وكان علي جبة وقميص
فنزعت القميص الأسفل فبعته بدريهمات ثم قصدت إلى
فرضة الأهواز أريد قصبة الأهواز وما أعرف بها أحدا
وما كان ذلك لشيء إلا خرجة الضجر وبعض التعرض
فوافيت الفرضة فلم أصب بها سفينة فتطيرت من ذلك
ثم إني رأيت سفينة في صدرها خرق وهشم فتطيرت
من ذلك وإذا فيها حمولة فقلت للملاح تحملني قال نعم
قلت ما اسمك قال داوداذ بالفارسية اسم الشيطان
فتطيرت من ذلك وركبت معه فضربت الشمال وجهي وبله
بالليل الصقيع على رأسي فلما قربنا إلى الفرضة صحت
يا حمال ومعي لحاف لي سمل ونفية خلق وبعض ما لا بد

عجيبة
اغري

اوطو

لمثلي منه فكان أول حالي أحبابي أعود فقلت بقدر ما كان

وأقعابكم تكرني نور كهذا الى الخان فلما أدناه من سنا

اذا الثور أعضب فازددت طيرة الى طيرة فقلت في نفسي

الرجوع أسلم ثم ذكرت حاجتي الى أكل الطين وقلت

ومن لي بالموت فلما صرت في الخان وانا جالس فيه ومتاعي

بين يدي وانا أقول ان خلفته في الخان وليس عنده من يحفظه

فتح الباب وسرق وان جلست لأحفظه لم يكن لمجيئي الا

وجه فبينا انا جالس اذ سمعت قرع الباب فقلت من

هذا عافاك الله قال رجل يريدك فقلت من انا قال ابرهيم

قلت ومن ابرهيم قال ابرهيم النظام قال قلت هذا أخنا

أو عدو أو رسول سلطان ثم اني تحاملت وفتحت له الباب

فقال لي أرسلني اليك ابرهيم بن عبد العزيز ويقول لك

نحن وان كنا اختلفنا في بعض المقالة فانا قد نرجع بعد

ذلك الى حقوق الأخلاق والحرية وقد رأيتك حين مررت

بي على حال كرهتها وما عرفتك حتى خبرني عنك بعض من

كان معي وينبغي أن تكون قد نزعت بك حاجة فان شئت

فأقم بمكانك شهرا أو شهرين فعسى أن نبعث اليك ببعض

ما يكفيك زمنا من دهرك وان اشتهيت الرجوع فهذه

ثلثون دينارا فخذها وانصرف وانت أحق من عذر قال فهجم

والله على أمر كاد ينقضني أما واحدة فانه لم يكن ملكت

قبل ثلثين دينارا في جميع دهري والثانية انه لم يبطل مقامي

وغيبتي عن وطني وعن أصحابي الذين هم على حال أشكل

بي وافهم عني والثالثة ما تبين لي من الطين انه باطل

وذلك انه قد تتابع علي منها ضروب والواحدة منها كانت

عندهم معطبة قال وعلى مثل ذلك الاشتقاق يعمل الذين

يعبرون الرؤيا بالصحة من شان الغربان ضرب من العجب

لو كان ذلك ببصر أو ببعض الشامات لكان عندهم من

أجود الطلسم وذلك ان الغربان تقطع البنا في الخريف

فترى الأرض ونصفها مصرم وعلى كل نخلة عدد كثير

من الغربان وليس منها شيء يقرب نخلة واحدة من النخل الذي

عجب

٤٥ آخره ٥

كالاوكار الاوكار بالنون

لم يضرهم ولو لم يقع عليها الا عذق واحد انما اوكار جميع
الطير المصوت في اقلاب تلك النخل والغراب اطير واقوى
منهما ثم لا يجترئ على ان يسقط على نخلة منها بعد ان يكون
قد بقي عليه عذق واحد ومنقار الغراب معول وهو شديد
النقر وانه ليصل الى الكماة المندفنة في الارض بنقرة
واحدة حتى يشخصها وهو ابصر بمواضع الكماة من الراعي
يطلبها في منبت الاجرد والقصيص في يوم له شمس حارة
وان الاعرابي ليحتاج ان يرى ما فوقها من الارض وفيه بعض
الانتفاخ والانصداع وما يحتاج الغراب الى ذلك الدليل
وقال ابو داود الايادي
ينفي الحصا صعدا شرقي منسمها نفي الغراب باعلا انفه الغرده
فلو ان الله عز وجل اذن للغراب ان يسقط على النخلة وعليها
التمر وفي ذلك الوقت لو ان انسانا نقر العذق نقرة لانتثر
عامة ما فيه لهلك غلات الناس ولكنك ترى على كل
نخلة مصرمة من الغربان الكثيرة ولا ترى على التي عليها ابا

حواشي الاول

واحرًا حتى اذا اصرموا ما عليها انتابوا الى ما سقط من التمر في جوف
اللب واصول الكرب ليستخرجه كما يستخرج المتاح
الشوكة فان قال قائل انما اشباح تلك الاعذاق
السود المدلاة كالخرق السود التي تفزع الطير ان يقع
على البزور والبذور كالخرق السود والقوادم السود
التي تغرز في اسنمة ذوات الدبر من الابل فلا تسقط
عليها الغربان فكانها اذا رات سواد الاعذاق فزعت
كما تفزع الطير من الخرق السود وقال الاخر
قد نجد جميع الطير التي تفزع بالخرق السود فلا تسقط
على حب البزور والبذور ويقع كله على النخل وعليه الحمل
وهل لعامة الطير اوكار الا في اقلاب النخل في غير
الحمل وقال الاخر ينبغي ان يكون الغربان قطعت
الينا من مواضع لم يعرف فيها نخل ولا اعذاق وهذه الطير
التي تفزع بالخرق السود انما خلقت ونشات في المواضع
التي لم تزل ترى فيها النخل والاعذاق ولا تعرف ذلك



انما لكل امرئ ما نوى

علة سوى هذا وكيف يكون الشأن كذلك ومن الغربان غربان أوابد
بالعراق لا تبرح تعشش في رؤوس النخل وتبيض وتفرخ إلا أنها
لا تقرب النخلة التي عليها الحمل والدليل على أنها تعشش في نخل
البصرة وفي رؤوس أشجار البادية قول الأصمعي

ومن زرق مثل مكن الضباب تناوح عيدانه الشمكان
ومن سكر فيه عش الغراب ومن جيسوان وبنداذجان

وقال أبو محمد الفقعسي وهو يصف نخل هجر

ينبعها عدبس جرابض … اكلف مربد قصورها بيض
لحيث تعشش الغراب الباض

والعامة تتطير من الغراب إذا
صاح صيحة واحدة فإن ثنى تفاءلت به والبوم عند
أهل الري وأهل مرو يتفاءل به وأهل البصرة يتطيرون
منه والعرب تتطير من الخلاف والفارسي يتفاءل به لأن اسمه
بالفارسية بنداي ببعي وبالعربية خلاف وإلاف وغير
الوفاق والريحان يتفاءل به لأنه مشتق من الروح ويتطير
منه لأن طعمه مر وإن كان يسر العين والأنف مقبولا

وقال شاعر من المحدثين

أهدى له أحبابه أترجة فبكى وأشفق من عيافة زاجر
متعجبا لما أتاه فطعمه لونان باطنه خلاف الظاهر

الورد صح

والفرس تحب الآس وتكره الورد لأن الآس يدوم والورد لا يدوم
قال وإذا صاح الغراب مرتين فهو شر وإذا صاح ثلاث مرات
فهو خير على قدر عدد الحروف ويقال إن بين الغراب والحمار
عداوة قال ذلك صاحب المنطق وأنشدني بعض النحويين

عاديتنا لا زلت في تباب عداوة الحمار للغراب

ويقال أصح من غراب وأنشد ابن أبي كريمة لبعضهم وهو
يهجو صريع الغواني مسلم بن الوليد

فاريح الشراب أشد بغضا إلى الكتاب منك إلى الغواني

وأنشد فيه

وأصلب هامة من ذي جيود ونصدعه حمى الغراب

وزعم لي داهية من دواهي الحوائين أن الأفاعي والحيات
الأجناس تأتي أصول الشيح والحرمل تستظل به وتستريح

اليه قال ويقال أغرب من غراب وأنشد قول نصر بن لقيط
كأني وأصحابي وكري اليهم على كل حال من نشاط ومن سأم
غراب من الغربان أيام فرقة رأين حماما بالعراق على وضم
وقد اعترض فهم علينا في الحديث الذي جاء في تفرقة ما بين الطيرة
والفأل وزعموا أنه ليس لقوله لو كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة
معنى وقالوا إن كان ليس لقول القائل يا هالك وأنت باغ
وجه ولا تحقيق وكذلك إذا قال يا واجد فليس له تحقيق
وليس قوله يا مضل ويا مهلك أحق بأن يكون لا يوجب ضلالا
ولا هلاكا من قوله يا واجد إلا أن يكون يوجب ظفرا
فأما أن يكونا جميعا يوجبان وإما أن يكونا جميعا لا
يوجبان قيل له ليس الى هذا ذهبنا ولا اليه ذهبتم لو أن الناس
أملوا فوائد الله تعالى عند كل سبب ضعيف وقوي لكانوا
على خير ولو غلطوا في جهة الرجاء لكان لهم بنفس ذلك الرجاء
خير ولو أنهم بدل ذلك قطعوا أملهم ورجاءهم من الله لكان
ذلك من الشر والفأل أن تسمع كلمة في نفسها مستحسنة

ثم إن أحب بعد ذلك وعند ذلك أن تحدث طمعا فيما عند الله
كان نفس الطمع خلاف اليأس وإنما خبر أنه كان
يعجبه فهذا إخبار عن الفطرة وكيف هي وعن الطبيعة
وإلى أي شيء تتقلب وقد قيل لبعض الفقهاء ما الفأل قال
أن تسمع وأنت مضل يا واجد وأنت خائف يا سالم ولم يقل
إن الفأل يوجب لنفسه السلامة ولكنهم يحبون له
إخراج اليأس وسوء الظن وتوقع البلاء من قلبه على كل
حال وحال الطيرة حال من تلك الآفات ويحبون أن يكون
لله راجيا وأن يكون حسن الظن فإن ظن أن ذلك المرجو
يوافق تلك الكلمة ففرح لذلك فلا بأس وقال الأصمعي
هرب بعض البصريين من بعض الطواعين فركب حمارا ومضى
بأهله نحو سفوان فسمع غلاما له أسود يحدو خلفه

لن يسبق الله على حمار   ولا على ذي ميعة مطار
أو يأتي الحتف على مقدار   قد يصبح الله أمام الساري

فلما سمع ذلك رجع بهم قال والغربان تسقط في الصحاري

تلتمس الطعم ولا تراه كذلك فاذا وجبت الشمس نهضت الى اوكارها
معا وما اقل ما تختلط البقع بالسود المصمتة قال ومنها اجناس
كبيرة عظام كامثال الاجدال السود ومنها صغار بيض وسائرها
لخلاف في الالوان والصور ومنها غربان تحكي كل شي تسمعه
حتى هي في ذلك اعجب من الببغا وما اكثر ما يتخلف عنا منها
بالبصرة في الصيف فاذا دخل القيظ قلت جدا واكثر المتخلفات
منها البقع فاذا جاء الخريف فقد جئن الى البساتين لتنال ما يسقط
من التمر في كرب النخل وفي الارض ولا تقرب النخلة اذا كان
عليها عذق واحد واكثر هذه الغربان سود ولا تكاد ترى فيهن
ابقع قال الاصمعي قال خلف لم ار قط اقبح من فرخ الغراب
رايته مرة فاذا صغير الجرم عظيم الراس عظيم المنقار
اجرد اسود الجلد ساقط الريش متفاوت الاعضاء قال
وبعضها يقيم عندنا في القيظ فاما في الصيف فكثير واما
في الخريف فما لدهم واكثر ما تراه في اعالي سطوحنا في القيظ
والصيف البقع واكثر ما نرى في الخريف في النخل وفي الشتاء

في البيوت السود وفي اخر ما ذكرت في تلك الايام غربان سود
كامثال الجدا السود عظما وناس يزعمون ان تسافدها
غير تسافد الطير وانها تزاق بالمنقار وتلقح من هناك

نذكر نوادر اشعار

وشيئا من احاديث من حارها وباردها . قال ابن نجيم كان
يستحسن هذا البيت وهو لارطاة بن سهية

فقلت لها يا ام بيضا انه هريق شبابي واستشن اديمي

ما رسننا وكان الاصمعي يستحسن قول الطرماح في صفة

مجتاب شملة برجد لسراته قدرا واسلم ما سواه البرجد

ويستحسن قوله في صفة الثور

يبدو وتضمره البلاد كانه سيف على شرف يسل ويغمد

وكان ابو نواس يستحسن قول الطرماح

اذا قبضت نفس الطرماح اخلقت عرى المجد واسترخى عنان القصائد

وقال الكميت

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه صنيعة قربى او خليل توافقه

منعت وبعض المنع حزم وقوة ولم يفتلذك المال الا حفائظه

وقال سهل بن هرون يمدح يحيى بن خلد

عدو تلاد المال فيما ينوبه منوع اذا ما منعه كان احزما

وكان ربعي بن الجارود يستحسن قوله

خير منك من لا خير فيه وخير من زيارتك القعود

وقال الاعشى

قد نطعن الخيل في مكنون فايله وقد يشط على ارماحنا البطل

لا ينتهون ولا ينهى ذوي شطط كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وقال العلا بن الحداد

اطهره وللناس همنا وعلى المنقوش دارو

وله صاموا وصلوا لمحجوج زارو

وله قاموا وقالوا لمحلو ساروا

لو بدا فوق الثريا ولهم ريش لطاروا

وقال الاخر في مثل ذلك

ثمر ثيابك واستعد لقابل واحكك جبينك للقضا بثوم

وامش الدبيبا اذا امشيت لحاجة حتى تصيب وديعة ليتيم

قال ابو الحسن كان يقال من رق وجهه رق علمه وقال

عمر تفقهوا قبل ان تسودوا وقال الاصمعي وصلت بالعلم

وكسبت بالملح ومن الاشعار الطيبة قول الشاعر

في السمك والخادم

مقبل أمد بر خفيف ذفيفا دسم الثوب قد شوى سمكات

من شبابيط لجة دات غمر جدب من شحومها زمنات

تكر فيها فانها سيمتعانك ساعة وقال الشاعر

ان اجز علقمة بن سيف سعيه لا اجزه ببلاء يوم واحد

لاحبني حب الصبي ورمني رم الهدي الى الغني الواجد



ولقد شفيت غليلتي وتبعتها من المشعود بماء بارد

وقال رجل من جرم

بنيت اخوالي اراد وعمومتي ليشعا وفيها ثامل السم منقع

سأركبها فيكم وادعى مفرقا فلا تنسيتم من بعد كنت مجمعا

وقال يونس بن حبيب ما اكلت في شتا قط الا وتد برد

شتاء صح

ولا أكلت في صيف قط شيئاً إلا وقد سخن وقال أبو عمرو المديني
لو كانت البلايا بالحصص ما نالني كل ما نالني اختلفت
جاريتي بالشاة إلى التيّاس اختلافاً كثيراً فرجعت
الشاة حائلاً والجارية حاملاً وقال جعفر بن سعيد
إليّ وكل بلاء يكون حتى القذاة في الماء في
رأس الكوز فإن أردت أن تشرب الماء جاءت إلى فمك وإن
أردت أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت وقال
إسمعيل بن غزوان بكرت اليوم إلى منزل أبي عمران فلزمت
الجادة فاستقبلني واحد فلزم الجادة التي أنا عليها فلما أن غشيني
انحرفت عنه يمنة فانحرف معي فعدت إلى الشق الأول
فعاد فعدت فعاد ثم عدت فعاد فلولا أن صاحب برذون
فرق بيننا لكان إلى الساعة يكرّ إلي ثم دخلت على أبي عمران
فدعا بغدائه فأهويت بلقمتي إلى الصباغ فأهوى إليه بعضهم
فنحيت يدي فنحى يده ثم عدت فعاد ثم نحيت فنحى فقلت
لأبي عمران أما ترى ما نحن فيه فقال سأحدثك بأعجب من

هذا أنا منذ سنة أكره أن يراني ابن أبي عون الخياط فلم
يتفق أن يراني مرة واحدة فلما أن كان أمس ذكرت لأبي
الحارث الصنع في السلامة من رؤيته فاستقبلني أمس أربع
مرات وذكر محمد بن سلام عن محمد بن القسم قال قال الحجاج
أنا لا أبتدي ولكني أعتدي وقال أبو عبيدة قال الحجاج
أنا حديد حقود حسود وقال يزيد بن منيع لحديد بن علي
لك حكم الصبي على أهله وقال أبو إسحق وذكر إنساناً فقال
هو والله أنزق من تيس ملك وأخرق من امرأة وأظلم من
صبي وقال لي أبو عبيدة ما ينبغي أن يكون كان في الدنيا
مثل ذاك النظام قلت وكيف قال قد لقيته يوماً فقلت والله
لأمتحننه ولأسمعن كلامه فقلت له ما عيب الزجاج
فقال لا يسرع إليه الكسر ولا يقبل الجبر من غير أن
يكون فكر أو تدبر قال وقال الحارث بن مالك بن
سلمى وذكر عامر بن الطفيل كان لا يضل حتى يضل
النجم ولا يعطش حتى يعطش البعير ولا يهاب حتى يهاب

السبيل كان والله خيرا ما كان حين لا تطن نفس بنفس خيرا
وقال ابن الأعرابي قال أعرابي اللهم لا تنزلني ما أسوء
فأكون امرأ سوء بقول تدعو لي قلته الى منعه ودخل
عبد الله بن حسن على هشام بابنا بن سفرة فقال له ادع
حوايجك فقال لعبد الله وكان بتناخذ على بناب سفري
قال هشام انك لا تجد لي خيرا مني لك الساعة قال ابو عبيدة
بلغ عمر بن عبد العزيز قدوم عبد الله بن الحسن فأرسل
اليه فقال اني أخاف عليك طواعين الشام وانك لن تغنم
أهلك خيرا منك فالحق بهم فان حوايجك ستتبعك وكان
ظاهر ما يتكلمون به ويرونه جميلا مذكورا وكان
معناهم الكراهة لمقامه بالشام وكانوا يرون جماله
ويعرفون بيانه وكماله فكان ذلك العمل من أجود التدبير
فيه عند نفسه وقال محمد بن سلام عن حماد بن سلمة عن
الأزرق بن قيس ان الأحنف كان يكره الصلاة في المقصورة
فقال بعض القوم لم لا تصلي في المقصورة قال لا أترك

قال فلذلك لا أصلي فيها وهذا الكلام بين العاجز وبين الخيرة
وأنشد
تليح من الموت الذي هو واقع وللموت باب انت لا شك داخله
وقال الآخر
أكلكم أقام على عجوز عشنزرة معقلة سبخا بلا
وقال الآخر
الموت باب وكل الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الدار
لو كنت أعلم من يدري فيخبرني الجنة الخلد مثوانا أم النار
وقال الآخر
اصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بأن المرء غير مخلد
فاذا ذكرت مصيبة تشجى بها فاذكر مصابك بالنبي محمد
صلى الله عليه وسلم
وقال ابو العتاهية
والشمس تنعى ساكن الدنيا ويسعدها القمر
أين الذين عليهم ركم الجنادل والمدر
أفناهم علل الغنى بين أجنحة السحر

ما للقلوب رقيقة وكأن قلبك من حجر
ولقلما تبقى وعود كل يوم تعتصر

وقال زهير

ومن يوف لا يذمم ومن يفض قلبه الى مطمئن البر لا يتجمجم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم
ومن لا يزل يسترحل الناس نفسه ولا يعفها يوما من الذل يندم

وقال زهير ايضا

يطعنهم ما ارتموا حتى اذا اطعنوا ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

وقال أيضا

وجار البيت والرجل المنادي أمام الحي عقدهما سواء
جوار شاهد عدل عليكم وسيان الكفالة والتلاء
فان الحق مقطعه ثلاث يمين او نفار او جلاء
فتفهم هذه الاقسام الثلثة كيف فصلها هذا الاعرابي

وقال ايضا

فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت ولكن حمد الناس ليس بمخلد
ولكن منه باقيات وراثة فاورث بنيك بعضها وتزود
تزود الى يوم الممات فانه وان كرهته النفس آخر معهد

وقال الاسدي

فاني احب الخلد لو استطيعه وكالخلد عندي ان اموت ولم الم

وقال الجادرة

فاثنوا علينا لا ابا لابيكم باحسابنا ان الثناء هو الخلد

وقال الغنوي

فاذا بلغتم اهلكم فتحدثوا ومن الحديث مهالك وخلود

وقال الاخر

فقتلا بتقتيل وعقرا بعقركم جزاء العطاس لا يموت من اثار

وقال زهير

والاثم من شر ما تصول به والبر كالغيث نبته امر
أي كثير ولو شاء ان يقول والبر كالماء نبته امر استقام
الشعر ولكن كان لا يكون له بغي وانما اراد ان النبات

يكون على الغيث أجود ثم قال

قد أشهد الشارب المعذّل لا معروفه منكر ولا حصر
في فتية لبني المآزر لا ينسون أحلامهم إذا سكروا
لينون للضيف والعفاة ويوفون نقضا إذا هم نذروا

يمدح كما ترى أهل الجاهلية بالوفاء بالنذور أنشدني
حيان عيينة عن أبي عبيدة أن من الشوارد التي لا أرباب
لها قوله

أن يغدروا أو يفجروا أو يبخلوا لا يحفلوا
يغدوا عليك مرجّلين كأنهم لم يفعلوا
كأبي براقش كل يوم لونه يتخيّل (يتنقل)

وقال الصلتان السعدي وهو غير الصلتان العبدي

أشاب الصغير وأفنى الكبير كرّ الغداة ومرّ العشي
إذا ليلة هرّمت يومها أتى بعد ذلك يوم فتي
نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

إذا قلت يوما لدى معشر أروني السري أروك الغني
ألم تر لقمان أوصى بنيه وأوصيت عمرا ونعم الوصي
وسترك ما كان عند امرئ وسر الثلاثة غير الخفي

وأنشدني محمد بن زياد الأعرابي

ولا تلبث الأطماع من ليس عنده من الدين شيء أن تميل به النفس
ولا تلبث الوحش الإهاب بجوفه بجعل أن تنهاه كغبرة الرأس

وأنشد أبو زيد النحوي لبعض القدماء

فمهما يكن ريب المنون فإنني أرى قمر الليل المعذّب كالفتى
يعود ضئيلا ثم يرجع دائبا ويعظم حتى قيل قد ثاب واستوى
كذلك زيد المرء ثم انتقاصه وتكراره في إثره بعد ما مضى

وقال أبو النجم

ميّز عنه قنزعا عن قنزع مرّ الليالي أبطئي وأسرعي
أفناه قيل الله للشمس اطلعي ثم إذا واراك الأفق فارجعي

وقال عبد هند

وإن الذي ينهاكم عن طلابها يناغي نساء الحي في طرة البرد

يحلّ والأيام تنقص عمره كما تنقص النيران من طرف الزند

وقال أبو العتاهية   أسرع في نقص امرئ تمامه

وقال   ولم أر أفنى لكل حي حركات كأنهن سكون

وقال ابن ميادة

هل ينطق الربع بالعلياء غيّره سافي الرياح ومستن له طنب

وقال ابن ميادة

أشاقك بالقنع الغداة رسوم دوارس أدنى عهدهن قديم

يلحن وقد جرمن عشرين حجة كما لاح في ظهر اليدين وشوم

وقال

في مرفقيها إذا ما عورضت جمم على الضجيع وفي أنيابها شنب

وقال ابن ميادة في جعفر ومحمد ابني سليمن وهو يعني المنصور

وقال لكما يا ابني سليمن قاسم لجد النبي إذ يقسم الخير قاسمه

فبينكما بيت رفيع بناؤه متى يلق بيتا مجدكم فهو هادمه

لكم كنفن صدق تذب السوء عنكم ولسر في كل الكبر تصادمه

باب فيمن هجا ويذكر بالشؤم

قال عبد الله بن صالح بن علي الأفقم كان لا يصحب رجلا

الإماء أو قتل أو سقطت منزلته

قل للأمير أمين آل محمد قول امرئ شفق عليك محابي

إياك أن تغتر عنك صنيعة في صالح بن عطية الحجام

ليس الصنائع عنده بصنائع لكنهن طوائل الإسلام

اضرب بهن نحر العدو فإنه جيش من الطاعون والبرسام

وقال محمد بن عبد الله بن محمد بن عائشة

للمهلالي قتيل أبدا في كل عام   قتل الفضل بن سهل وعلي بن هشام

وعجيفا آخر القوم بأكناف الشام   وبدا يطلب من يقتل بالسيف الحسام

فأعاذ الله منه أحمد خير الأنام   يعني أحمد بن أبي دؤاد

وقال عيسى بن زينب في الصفري وكان مشؤوما

يا قوم من كان له والد يأكل ما جمّع من وفر

فإن عندي لابنه حيلة يموت إن أصحبه الصفري

كأنما ألقه متردي بردا ما طال من العمر

وقال الأعشى   فإن على قلبه غمة وما إن يعظم له من وهن

وقال الكميت   ولم تقل العذال لهم كم والمعاذير أعلى حسبو

وقال الآخر فلا تعذراني في الإساءة إنه شرار الرجال من يسيء فيعذر

وقال كلثوم بن عمرو

رحلت رجاء إليك مغتربا حشدت عليه نوائب الدهر
ردت إليه نوائبي أملي وثنى إليه عنانه شكري
وجعلت عتبك عتب موعظة ورجاء عفوك منتهى عذري

وقال الأعشى

فلذلك الشعر بالسلامة ذا الإفضال والشيء حيثما جعلا
والشعر يستنزل الكريم كما استنزل رعد السحابة السبلا
لو كنت ماء عدا جممت إذا ما ورد القوم لم تكن وشلا
أنجب أيام والداه به إذ نجلاه فنعم ما نجلا

وقال الكذاب الحرازي لقومه أو لغيرهم

لو كنتم شاء لكنتم نقدا أو كنتم ماء لكنتم ثمدا أو كنتم قولا لكنتم فندا

وقال الأعشى

فعلى مثلها أزور بني قيس إذا شط بالحبيب الفراق
المهينين ما لهم في زمان السوء حتى إذا أفاق أفاقوا
وإذا ذو الفضول ضن عن المولى وصارت لخيمها الأخلاق
ومشى القوم بالعماد إلى الرزحى وأعيا المسيم أين المساق
آخذو فضلهم هناك وقد تجري على عرقها الكرام العتاق
وإذا الغيث صوبه وضع القدح وجن التلاع والآفاق
لم يزدهم سفاهة شرب الكأس ولا اللهو فيهم والسباق
واضعا في سراة نجران رحلي ناعما غير أنني مشتاق
في مطايا أربابهن عجال عن ثواء وهمهن العراق
درمك غدوة لنا ونشيل وصبوح مباكر واغتباق
وندامى بيض الوجوه كأن الشرب فيهم مصاعب أفناق
فيهم الحزم والسماحة والنجدة جمعا والخاطب المسلاق
وأبيون لا يسامون ضيما ومكيثون والحلوم وثاق
وثوي في لساننا بغض بد المحراب بالقوم والشباب رقاق

وقال الأعشى في ذكر الشباب أيضا

أزور يزيد وعبد المسيح وقيسا هم خير أربابها
وكعبة نجران حتم عليك حتى تناخي بأبوابها

إذا الخيزرانات تلوّت بهم وجرّوا أسافل أهدابها

وفي الثياب يقول الآخر

أسبلوا كمًّا لأخفى مكانه لعين تزجّي أو لأذن تسمّع

من النفر البيض الذين إذا انتجوا وهابت الرجال حلقة الباب قعقعوا

جلا الأذفر الأحوى من المسك فرقه وطيب الدهان رأسه فهو أنزع

إذا النفر السود اليمانون نمنموا له حوك برديه أرقوا وأوسعوا

وقال كثير

تجرّ سرابيلا بالأعلية كأنه سبي هلال لم تفتق شرانقه

وقال الجعدي

أتانا بهم من نعيد بلادهم بأرض الخيزران

يريد أرض الخصب والأغصان اللينة وقال الشاعر

في كفه خيزران ريحه عبق بكف أروع في عرنينه شمم

لأن الملك لا يختصر إلا بعود لين وقال الآخر

تجاوبها أخرى على خيزرانة يكاد يدنّيها من الأرض لينها

وقال الآخر نشم بنات الخيزران التي حديثا سمي ما يأكل أكثر ينفع

وقال الآخر فصار الهم الإيا صد بوكان وطابهم موالي الضباب

وقال المسيّب بن علس

نامت فؤادك إذ عرضت لها حسن برأي العين ما تمق

وقال ابن أبي ربيعة حسن في كل عين من تود

وقال عبد الله بن معاوية

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وقال روح أبو همام

وعين السخط تبصر كل عيب وعين أخي الرضا عن ذاك تعمى

وقال الفرزدق

ألا خبروني أيها الناس إنما سألت ومن يسأل عن العلم يعلم

سؤال امرئ لم يغفل العلم صدره وما السائل الواعي الأحاديث كالعمي

وقيل لدغفل أنى لك هذا العلم قال لسان سؤول وقلب عقول

وقال النابغة فآب مضلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل

مضلوه دافنوه على قوله إذا أضللنا في الأرض وقال المخبل

أضلت بنو قيس بن سعد عميدها وفارسها في الدهر قيس بن عاصم

وقال زهير أو غيره في سنان بن أبي حارثة

إن الرزية لا رزية مثلها ما تبتغي غطفان يوم أضلت

ولذلك زعم بعض الناس أن سنان بن أبي حارثة خرف فذهب على وجهه فلم يوجد ويزعمون أن ثلاثة نفر هاموا على وجوههم فلم يوجدوا طالب بن أبي طالب وسنان بن أبي حارثة ومرداس بن أبي عامر وقال جرير

وإني لأستحيي أخي أن أرى له علي من الفضل الذي لا يرى ليا

وقال امرؤ القيس

وهل ينعمن إلا خلي منعم قليل الهموم ما يبيت بأوجال

قال الأصمعي هذا مثل قولهم استراح من لا عقل له

وقال ابن أبي ربيعة

وأعجبها من عيشها ظل غرفة وريان ملتف الحدائق أخضر

ووال كفاها كل شيء يهمها فليست لشيء آخر الليل تسهر

باب من مدح الفقهاء والصالحين

قال ابن الخياط يمدح مالك بن أنس

يأبى الجواب فما يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان

هدي التقي وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

وقال ابن الخياط في بعضهم

فتى لم يجالس مالكا منذ أن نشا ولم يقتبس من علمه فهو جاهل

وقال آخر أنت بالليل ذئب لا حريم له وبالنهار على سمت ابن سيرين

وقال الخليل بن أحمد وذكر عنده الحظ والجد فقال أما الجد فلا أقول فيه شيئا وأما الحظ فأخزى الله الحظ فإنه يبلد الطالب إذا اتكل عليه ويبعد المطلوب إليه من مذمة الطالب

وقال ابن شبرمة

لو شئت كنت ككرز في تعبده أو كابن طارق حول البيت والحرم

قد حال دون لذيذ العيش خوفهما وسارعا في طلاب الفوز والكرم

وقال الشاعر في مدح الأصمعي

لا در در خطوب الدهر إذ فجعت بالأصمعي لقد أبقت لنا أسفا

عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى في الدهر منه ولا من علمه خلفا

وقال الحسن بن هانئ في مرثية خلف الأحمر

لو كان حي وائلا من التلف لوألت شعواء في أعلى الشعف
أم فرخ أحرزته في لجف من غب الأنعاد لم يأكل بكف
ها بيكل أعصما في أعلى الشرف تظل في الطباق والنزع الأنف
أو ذي جماح العلم مزاود خلف ملبدٍ من العبائم الحسف

وقال لبيد في كلمة له

بان أعزي الفؤاد عن خلف وبات دمعي إلا ينضب يكف
انسى الرزايا ميت فجعت به أضحى رهين التراب في جدف
كان يسيني برفقه علق الأفهام في الاخرق ولا عنف
تجوب عنك التي عشيت لها من قبل حتى يشفيك في لطف
لا يبهر الخلف في القراة بالجاه ولا لامها مع الألف
ولا يضل السبيل الكلام ولا يكون انشاده عن الصحف
وكان من يمضي لنا خلفا فليس إذ مات منه من خلف

وقال ابن غرفطة

لبهنك بغضي في الصديق وظنة وتحديثك الشيء الذي أنت كاذبه
وانك مشنو الى كل صاحب بلاك ومثل الشر يكره جانبه
وانك عبد الخنا نطف لنا شديد السباب رافع الصوت غالبه

وقال النابغة الجعدي

أبى لي البلاء وأني امرؤ إذا ما تبينت لم أرتب

ليس يريد أنه في حال تبينه غير مرتاب وإنما يعني أن تصبرته لا تتغير وقال ابن الجهم ذات يوم أنا لا أكاد أشك فقال المكي انا لا أكاد أوقن وقال طرفة

وكري إذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة تحت الخباء المعمد
لعمري إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه في اليد
أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوي في البطالة مفسد
أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيدا غدا ما أقرب اليوم من غد
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند
وفي كثرة الأيدي عن الظلم زاجر إذا خطرت أيدي الرجال بمشهد

هذا البيت ليس من [illegible] عدي بن زيد

القول في المحقرات من حشرات الأرض

وسنقول إن شاء الله في المحقرات من حشرات الأرض وفي المذكور من بغاث

الطير وخشاشه مما يقتات العذرة ويوصف باللؤم ويتقزز من
مسه وأكل لحمه كالخنفساء والجعل والهدهد والرخم فإن
هذه الأجناس أطلب للعذرة من الخنازير وقالوا ومما نذكر
من أعاجيبها صداقة ما بين الخنافس والعقارب كصداقة
ما بين الحيات والوزغ وتزعم الأعراب أن بين ذكورة
الخنافس وإناث الجعلان تسافداً وأنهما ينتجان خلقاً ينزع
إليهما وأنشد خشنام الأعور النحوي عن سيبويه النحوي
عن بعض الأعراب في هجائه عدواً له كان شديد السواد

عاديتنا يا خنفساً كأم جعل عداوة الأوعال حيات الجبل
من كل عود رهو الناب عتل يحرز أن يسرع أن يشتم قتل

ويثبت أكل الأوعال الحيات الشعر المذكور [المشهور] في أيدي أصحابنا [وهو قوله]

على زيد أن يلاقي مرة في البلاد بعض حيات الجبل
غائر العينين مفطوح القفا ليس من حيات حجر والغلل
يتوارى في صدوع مرة وترى الحطفة كالقدح المول
وترى السم على أشداقه كشعاع الشمس لاحت في طفل
طرد الأروى فما تقربه ونفى الحيات عن بيض الحجل

وإنما ذكر الأروى من بين جميع ما يسكن الجبال من أصناف الوحش
لأن الأروى من بينها تأكل الحيات للعداوة التي بينها وبين الحيات
والأروى إناث الأوعال وواحدتها أروية والناس يسمون بناتهم
باسم الجماعة منها ولا يسمون البنت الواحدة باسم الواحدة
منها لا يسمون بأروية ويسمون بأروى وقال الشماخ بن ضرار

فما أروى وإن كرمت علينا بأدنى من موقفة حرون

وأنشد أبو زيد في جماعة الأروية

فما لك من أروى تعاديت بالعمى ولاقيت كلاباً مطلا ورامياً

يقال تداعى القوم وتعادوا إذا مات بعضهم على إثر بعض وقالت
في ذلك ضباعة بنت قرط في مرثية زوجها هشام بن المغيرة

إن أبا عثمان لم أنسه وإن صمتا عن بكاه الجيوب
تعادوا من بعشر ما لهم أي ذنوب صوبوا في القليب

وأما قوله ونفى الحيات عن بيض الحجل فإن الحيات تطلب بيض
كل طائر وفراخه وبيض كل طائر ما يبيض على الأرض أحب

إليها ولا أعرف لذلك علة إلا سهولة المطلب والأبابيل تأكل الحيات
والخنازير تأكل الحيات وتعاديها وزعم صاحب المنطق
أن بين الحمار والغراب عداوة وأنشدني بعض النحويين

عاديتنا لا زلت في تباب عداوة الحمار للغراب

وأنشد ابن المكرمة لبعض الشعراء في صريع الغواني

فما ريح السذاب أشد بغضا إلى الحيات منك إلى الغواني

ويقال ألج من خنفساء والخنفس من فاسية وهي الخنفساء والخنفس
بمنزلة الأفاعي والفسا يوصف به ضربان من الخلق الخنفساء
والظربان وفي لجاج الخنفساء يقول خلف الأحمر

لنا صاحب مولع بالخلاف كثير الخطاء قليل الصواب
ألج لجاجا من الخنفساء وأزهى إذا ما مشى من غراب

وقال الرقاشي وذكر صبر الخنفس على نفوذ السهام في جنبيه
فقال لي أعرابي الخنفساء أصبر منه ولقد رأيت صبيا من
صبيانكم البارحة أخذ شوكة وجعل في رأسها فتيلة
ثم أوقد فيها نارا ثم غرزها في ظهر خنفساء حتى أنفذ الشوكة

فغبرنا ليلتنا وإنها تجول في الدار وتصبح لنا والله لأظنها كانت
معربا لانتفاخ بطنها قال لو وقال القنابي في الخنفسا
أكلا من الخنافس وأنشد بكرا عواسا نفاسا معربا
قال ومن أعاجيب الجعل أنه يموت من ريح الورد ويعيش إذا
أعيد إلى الروث ويضرب بشدة سواد لونه المثل قال الراجز
يصف أسود سالخا مهرت الأشداق عود قد كمل
كأنما قمص من ليط جعل والجعل يظل دهرا لا جناح
له ثم ينبت له جناحان كالنمل الذي يغبر زمانا لا جناح
له ثم ينبت له جناحان وذلك علامة هلكته والدعاميص
تغبر حينا لا أجنحة لها ثم تصير فراشا وبعوضا وليس كذلك
الجراد والذبان لأن أجنحتها تنبت على مقدار من العمر ومرور
الأيام وزعم ثمامة عن يحيى بن خالد أنه زعم أن البرغوث قد يستحيل
بعوضة والجعل يحرس النيام فكلما قام منهم قائم لمضى
لحاجة تبعه طمعا في أنه إنما يريد الغائط وأنشد بعضهم
قول الشاعر
يبيت في مجلس الأقوام يربؤهم كأنه شرطي بات في حرس

عجيبه م
عجيبة أخرى

وأنشد بعضهم لبعض الأعراب في الجعابة لبعضهم بالفسولة وبكثرة
الأكل وعظم حجم النجو فقال حتى إذا أضحى تدرّى واكتحل
لجاراتيه ثم ولّى فنثل ... رزق الأنوقين القرنبى والجعل
سمى القرنبى والجعل إذ كانا يبعثان الزبل أنوقين والأنوق
الرخمة وهي أصلاً ما يبعثان الحزنة وقال الأعشى
يا رخمًا قاظ على ينخوب ... يعجل كفّ الخارئ المطيب
المطيب الذي يستطيب بالحجارة أي يتمسح بها وهم يسمون كل
شيء يبعثان النجو والزبل الآن وذلك على التشبيه لها بالرخم
في هذا المخبر خبثه وقال الآخر يا أيها الناجي نجي الفيل
يدعو علي كلما قام يصل ... رافع كفيه كما يبري الجعل
وقد ملأت بطنه حتى أتل ... غيظًا فأمسى ضيقًا قد اعتدل
فلو الفيل ما أقبل عليك من الجعل وقوله أتل امتلأ عليك
غضبًا فقصر في مشيته وقال الجعدي
منع الغدر فلم أهمم به ... وأخو الغدر إذا همّ فعل
خشية الله وأني رجل ... إنما ذكري نار بقبل

وقال الراجز وهو يهجو بعضهم بالفسولة وبكثرة الأكل وبعظم
حجم النجو ... بات يعشي وحده ألفي جعل وقال عنترة
إذا لاقيت جمع بني أبان ... فإني لائم للجعد لاحي
كسوت الجعد جعد بني أبان ... ردائي بعد عري وافتضاح
ثم شبهه بالجعل فقال
كأن مؤشر العضدين حجلاً ... هدوجًا بين أقلبة ملاح
تضمن نعمتي فغدا عليها ... بكورًا وانتحى في الرواح
وقال الشماخ بن ضرار
وإن تلقيا شأوًا بأرض هوى له ... مفرض أطراف الذراعين أفلج
والشأو ههنا الروث كأنه كثير حتى ألحقه بالشأو والذي
يخرج من البئر كما يقول أحدهم إذا أراد أن ينقي البئر أخرج
من تلك البئر شأوًا أو شأوين يعني من التراب الذي سقط فيها
وهو شيء كهيئة الزبيل الصغير والشأو الطلق والشأو
الفوت والمفرض الأفلج الذي عنى هو الجعل لأن الجعل
في قوائمه تحزيز وفيها تفرج وللجعل جناحان لا يكادان

يربان الا عند الطيران لشدة سوادهما وشبههما الجلدة والشيء
تكنهما بظهره وقال الشاعر حيث عدد الخونة وحيث الامير
على محاسبته   اشدد يديك بزيد ان ظفرت به واشف الارامل من دحروجة الجعل
والجعل لا يدحرج الا الجعر اما يابسا او بعرة وقال سعد
مطر يهجو بلالا مولى ابي بكر رحمه الله
وذاك اسود نوبي له ذفر كانه جعل يمشي بقرواح
وسنذكر شانه وشان بلال في موضعه من هذا الكتاب ان
شا الله وكان بالكوفة رجل من ولد عبد الجبار بن وايل
الحضرمي يكنى ابا الخنافس وهو راض بكنيته ولم تكن
الكنية نبزا ولا لقبا وكان من الفقهاء وله هيئة ورُوا
وسألته هل كان في ابايه من يكنى ابا الخنافس فان ابا العقا
بن السلم مولى بني العباس كنيته على ابنه ابنه وكان
ابو الخنافس هذا اكتني به ابتداء وقال لي ابو الفضل العنبري
تقولون الضب اطول شي ذما والخنفسا اطول منه ذما
وذلك انها تغرز في ظهرها شوكة نافذة وعليها ذباب له

تستوفز وتصبح لاهل الدار وهي تدب فيها وتجول وربما كانت
وربما كانت في بطن خف او في بعض الحشيش
والعشب والكلا فتصير في فم الجمل فيبتلعها فاذا وصلت
الى جوفه وهي حية جالت فيه فلا يموت حتى تقتله فاصحاب
الابل يتعهدون تلك الاداوي والعلوفات خوفا من الخنافس
وقال الجواس بن المقعطل في حسان بن الجدل
هل يهلكني لا ابا لابيكم دنس الثياب كطابخ القدر
جعل تمطى في عباءته زمن المروة ناقص الشبر
فربانه سود اخنكلة والعاجز التدبير كالوبر
واما الهجا والمديح ومفاخرة السودان والحمران فكان ذلك
كله مجموع في كتاب الهجناء والصرحاء وقد قدمنا في صدر
هذا الكتاب جملة من القول في الجعلان وغير ذلك من الاجناس
اللئيمة المستقذرة في باب النتن والطيب فكرهنا اعادته
في هذا الموضع

القول في الهدهد

واما القول في الهدهد فان الاعراب والعرب كانوا يزعمون

إن القنزعة التي على رأسه ثواب من الله على ما كان من بره بأمه
ولأن أمه لما ماتت جعل قبرها في رأسه فهذه القنزعة
عوض من تلك الوهدة والهدهد طائر منتن البدن من جوهره
وذاته فرب شيء يكون منتناً من نفسه من غير عرض كالتيوس
والحيات وغير ذلك من أجناس الحيوان فأما الأعراب فيجعلون
ذلك النتن شيئاً خامره بسبب تلك الجيفة التي كانت مدفونة
في رأسه وقد قال في ذلك أمية بن أبي الصلت وغيره من شعرائهم
فأما أمية فهو الذي يقول

تعلم بأن الله ليس كصنعه صنع ولا يخفى عليه ملحد
وبكل منكرة له معروفة أخرى على عين بما يتعمد
جدد وتوشيم ورسم علامة وخزائن مفتوحة لا تنفد
عمن أراد بها وجاد بغيبة لا يستقيم لخالق يتزيد
غيم وظلماء وغيث سحابة أزمان كفن واستراد الهدهد
يبغي القرار لأمه ليجنها فبنى عليها في قفاه يمهد
مهداً وطيئاً فاستقل بحمله في الطير يحملها ولا يتأود
من أمه فجزى بصالح حملها ولداً وكلف ظهره ما يفقد
فتراه يدلج ما مشى بجنازة فيها وما اختلف الجديد المسند

ويزعمون أن الهدهد هو الذي كان يدل سليمان بن داود على مواضع
المياه في قعور الأرضين إذا أراد استنباط شيء منها ويروون أن
نجدة الحروري أو نافع بن الأزرق قال لابن عباس إنك تقول
إن الهدهد إذا نقر الأرض عرف مسافة ما بينه وبين الماء والهدهد
لا يبصر الفخ دوين التراب حتى إذا نقر التمرة انضم عليه الفخ
قال فقال ابن عباس إذا جاء القدر عشي البصر ومن أمثالهم
إذا جاء الحين غطى العين وابن عباس إن كان قال ذلك فإنما
عنى هدهد سليمان بعينه فإن القول فيه خلاف القول في
سائر الهداهد وسنأتي على ذكر هذا الباب من شأنه في
موضعه إن شاء الله وقد قال الناس في هدهد سليمان وغراب
نوح وحمار عزير وذئب أهبان بن أوس وغير ذلك من هذا
الفن أقاويل وسنقول في ذلك كله من القول في موضعه إن
شاء الله وقد قال صاحب المنطق وزعم في كتاب الحيوان

ان لكل طاير بحسب شكله لا يتخذ عشه منه فيختلف على
اختلاف المواضع وعلى قدر اختلاف صور تلك الافاحيص والا
وزعم ان الهدهد من بينها يطلب الزبل حتى اذا وجده نقل منه
كما ينقل الانسان من التراب ويبني منه بيته كما يبني الارضة
ويضع حجرا على حجر فاذا طال مكثه في ذلك البيت وفيه
ايضا ولد او باض وتربى ابنه وبدنه بتلك الرايحة
ولحق به ايضا ان يرث اباه النتن الذي علقه كما ورث
جده اباه قال فلذلك يكون منتنا وهذا وجه ان يكون
معلوما انه لا يتخذ عشه الا من الزبل واما ناس كثير
فيزعمون ان رب بدن يكون طيبا لرايحة كفاية المسك
التي ربما كانت في البيوت ومن ذلك منتن البدن كالذي
يحكى عن الحبارات ويوجد عليه التيوس وذكر صاحب
المنطق ان الطير الذي يسمى باليونانية اغتيولس يحكم
عشه ويتقنه ويجعله مستديرا اشد استدارة كانه
كرة محمولة وروي انهم يزعمون ان هذا الطاير كلب

الدارصيني

الدارصيني من موضعه فيفرش به عشه ولا يعشش الا في
اعالي الشجر المرتفعة المواضع فلذلك وربما عمد الناس
الى سهام يشدون عليها رصاصا ثم يرمون بها اعشتها
فيسقط عليهم الدارصيني فيلتقطونه ويأخذونه ويزعم
البحريون ان طايرين يكونان ببلاد السقالبة احدهما
يظهر قبل قدوم السفن اليهم وقبل ان يمكن البحر من نفسه
لخروجهم في متاجرهم فيقول الطاير ارت امد فيعلمون
بذلك ان الوقت قد دنا وان الامكان من قرب فما لو جاء طاير
آخر شكل فيقول سمادود وذلك في وقت رجوع من غاب
عنهم فسموا هذين الجنسين من الطير بارت وسمادود كانهم
سموهما بقولهما وبتقطيع اصواتهما كما سمت العرب ضربا
من الطير قطا لان ذلك الطاير كذلك يصيح وبتقطيع صوته
قطا كما سموا الببغا ببغا بتقطيع الصوت الذي ظهر
منه فزعم اهل البحر ان احد ذينك الطايرين لا يطير
ابدا الا في اناث وان الاخر لا يطير ابدا الا في ذكور وزعم

بعض الاطبا ممن أصدق خبره أن الخفاش اذا هلكت أنثاه لم
يتزوج وان طال عليه العزب وان هاج سفد ولم يطلب
الزواج وحكوا أن عندهم طايرًا من احد جناحيه في الجناحين
وهو لم يطر قط والآخر في الجناحين لكنه من لدن ينهض
للطيران فلا يزال يطير وبقاياه من الفراش وأشباه
الفراش وانه لا يسقط الا ميتًا الا انهم ذكروا انه قصير
العمر فلست أدفع خبر صاحب المنطق عن صاحب الواديين
وان كنت لا أعرف الوجه في ان طايرًا ينهض من وكره في الجبال
أو بفارس أو باليمن فيتم ولعله غو بلاد الداء صيني وهو لم يجاوز
موضعه ان كان من الاوابد ولا مواضعه التي يقطع اليها
ان كان من القواطع ولا يزال يمضي على السمت لطلب ما لم
يره ولم يشمه ولم يذقه وبعد فهو لا يطلب بمنقاره ورجليه
ما يصير فراشًا له ومهادًا الا باختلاف طويل وبعد فانه
ليس بالوطي ولا هو له بطعام فانه وان كنت لا اعرف
العلة بعينها فلست انكر الامور من هذه الجهة فانكر

هذا وقال ابو الشيص في صفة الهدهد
لا تأمنن عاريّ بسوكم غيري وغير كل أو طي الفراطيس
أو طايرًا سأحليه وانعته ما زال صاحب تنقير وتأسيس
سود براثنه ميل ذوائبه صفر حدائقه في الحسن مغموس
قد كان همّ سليمان ليذبحه لولا سياسته في ملك بلقيس
ويقال ان لئام الطير ثلثة الغربان والبوم والرخم وقال الشاعر
ودَّ دنا ان امكم غراب فكنتم شر طير في الطيور
وقال الكميت اذ قيل يا رخم انطقي في الطير انك شر طاير
وقال ابو الحسن المدايني ان بعض ملوك العجم للجلندي بن عبد
العزيز الأزدي وكان يقال له في الجاهلية الجعيد عبد

اخوك
عز دجة

فقال اصد لي شر الطير واشوه لي بشر الحطب واطعمه
شر الناس فصاد رخمة وشواها ببعر وقربها الى
خوزي فقال فقال الخوزي اخطأت في كل شي امرك به الملك
لان الرخمة شر الطير ولأن البعر شر الحطب ولان
الخوزي شر الناس ولكن اذهب فصد بومة واشوها

بدفلي واطعمها بُطيطباً ولا أدري فعل أو أبى الملك فأخبره فقال
ابن عباس إلى ولا أدري يكفيه أن يكون بطيطباً والغراب مقدَّم
على الرخمة والرخمة أعظم من الغراب وأشد والرخم تلتمس لبيضها
المواضع البعيدة والأماكن الوحشية والجبال الشامخة
وصدوع الصخر فلذلك يقال أعزّ من بيض الأنوق وما يقال وقال
عُيينة بن أسما   أو عُيينة بن شماس

أن أولى بالحق في كل حق ثم أولى بأن يكون حقيقا
من أبوه عبد العزيز بن مروان ومن كان جده الفاروق
ردّ أموالنا علينا وكانت في ذرى شاهق تفوق الأنوق
فلذلك طلب رجل من أهل الشام الفريضة من معاوية فجاد له بها
فسأل الولاية بأباب العشيرة فقال دعونيه

طلب الأبلق العقوق فلما لم يجده أراد بيض الأنوق

والذي يكون العقوق لا من الإناث وإذا كانت من الأبلق
كانت بلقاً وإنما هذا كقولهم جمل والجمل لا يكون له [illegible]
وقد يرون بيض الأنوق لكن ذلك قليلاً ما يكون وأقل من القليل

[illegible]

لان

لأن بيضها في المواضع الممتنعة وليس فيها منافع فيتعرض في
طلبها المتكلف وأنا أظن أن معاوية لم يقل كما قال لو كان
قد تم في اللقط بيض الأنوق فقال طلب بيض الأنوق فلما لم
يجده طلب الأبلق العقوق وأما قول ابن أحمر

يمشي بأوظفة شداد أسرها شُمّ السنابك لا تقي بالجدجد
أو صحصحة طاو بها ذا أبشر وفؤاد زجل كخرق الهدهد

فقد يكون أن لا يكون عنى بهذا الهدهد لأن ذكور الحمام
وكل شيء غنا من الطير وهدر ودعا فهو هدهد وقد قال
بأصيته الحمام وإذا استتر أدرتها هدهد مثل المدالك خضبته بجساد
قال وخطب رجل جميل امرأة وخطبها معه رجل دميم
فتزوجت الدميم لماله وتركته فقال

ألا يا عباد الله ما تأمروني بأقبح من دولا وأسمجهم فعلا
يدب على أحشائها كل ليلة دبيب القرنبى بات يعلو نقا سهلا

والأجناس التي تريد العذرة وتطلبها كثيرة كالخنازير
والدجاج والكلاب والجراد وغير ذلك ولكنها لا تبلغ مبلغ

الجعل والرخمة وقال ابن أبي كريمة كنت عند أبي مالك عمرو
بن كركرة وعنده أعرابي يجري ذكر القرنبى قال فقلت
له أتعرف القرنبى قال وما لي لا أعرف القرنبى فوالله لربما لم
يكن غذائي إلا القرنبى حسحس لي قال فقلت له إنها
دويبة تأكل العذرة قال ودجاجكم تأكل العذرة
قال وقال بعض المدنيين لبعض الأعراب أتأكلون الحيات
والعقارب والجعلان والخنافس قال نأكل كل شيء إلا
أم حبين قال فقال المدني لتهن أم حبين العافية قال
وحدثنا ابن جريج عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله
بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه قال
من الدواب أربع لا يقتلن النملة والنحلة والصرد والهدهد

القول في الخفاش

فأول ذلك أن الخفاش طائر وهو مع أنه طائر من عرض الطير
فإنه شديد الطيران كثير التكفي في الهواء سريع
التقلب وطعمه من البعوض وقوته من الفراش وأشباه

الفراش

الفراش ثم لا يدخل إلا في وقت طيرانه في الهواء وقت سلطانه
لأن البعوض إنما يتسلط بالليل فلا يجوز أن يبلغ ذلك إلا
بسرعة الاختطاف والاختلاس وشدة الطيران ولين الأعطاف
وشدة المتن وحسن التأتي والرفق في الصيد وهو في ذلك
ليس بذي ريش وإنما هو لحم وجلد فطيرانه بلا ريش أعجب
وكلما كان أشد كان أعجب ومن أعاجيبه أنه لا يطير
في ضوء ولا ظلمة وهو طائر ضعيف قوى البصر قليل
شعاع العين الفاصل من الناظر ولذلك لا يظهر في الظلمة
لأنها تكون غامرة لضياء بصره غالبة لمقدار قوة شعاع
ناظره ولا يظهر نهارا لأن بصره يضعف ناظره يلمع في
شدة بياض النهار ولأن الشيء المتلألئ يضار العيون
الموصوفة بحدة البصر ولأن شعاع الشمس يخطف الفه
تخرج أضوائه وذهابه يكون رادعا للشعاع ناظره
ومعرفا له فهو لا يبصر ليلا ولا نهارا فلما علم ذلك احتاج
إلى الكسب والطعم التمس الوقت الذي لا يكون فيه من الظلام

ما يكون غامرًا قاهرًا وعاليًا غالبًا ولأن من الصبيان ما يكون
معشيًّا إذا دعا ومعرفة فإذا دعا ما التمس ذلك في وقت غروب
القرص وتغيبه الشفق لأنه وقت هيج البعوض وأشباه
البعوض وارتفاعها في الهواء ووقت انتشارها في طلب
أرزاقها فالبعوض يخرج للطعم وطعمه دماء الحيوان
والخفافيش للطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق
فيصير ذلك هو رزقه وهذا أيضًا مما جعل الله في الخفافيش
من الأعاجيب ويزعمون أن السك الآذان والممسوحة
من الحيوان إنما تبيض بيضًا وأن كل أشرف الآذان فهو
يلد ولا يبيض ولا ندري لم كان الحيوان إذا كان أشرف
الأذن ولودًا وإذا كان ممسوحًا بائضًا والآذان الخفافيش
حجم ظاهر وشخوص بين وهي وإن كانت من الطير فإن
هذا لها وهي تحبل وتلد وتحيض وترضع والنا[illegible] ذلك
من الأرنب والضبع لمكان الحيض وقد زعم صاحب المنطق
أن ذوات الأربع كلها تحيض على اختلاف في القلة والكثرة

والزمان

والزمان والتجربة والصفرة والغلظ والرقة قال ويبلغ من ضن أنثى الخفافيش
بولدها ومن خوفها عليه أنها تحمله تحت جناحها وربما قبضت
عليه بفيها وربما أرضعته وهي تطير وتقوى من ذلك وتقوى
ولدها على ما لا يقوى عليه الحمام والشاهمرك وسباع
الطير وقال معمر أبو الأشعث ربما أتانا الخفاش
فيحمل معه الولدين جميعًا فإن عظما عاقبت بينهما
والخفاش من الطير وليس له منقار مخروط وله فم فيما بين
مناسر السباع وأفواه البوم وفيه أسنان حداد
صلاب موضوعة من أطراف الحنك إلى أصول الفك الأعلى
كأنها نفس الخطم وإذا قبضت على الفرخ وعضت عليه
لتطير به عرفت ذرب أسنانها فعرفت أي نوع ينبغي
أن يكون ذلك العض فتجعله أزمًا ولا تجعله عضًا ولا
تنييبًا ولا ضغمًا كما تصنع الهرة بولدها فإنها مع ذرب
أنيابها وحدة أطرافها ودقتها لا تخدش لها جلدًا
إلا أنها تمسكها ضربًا من الإمساك وتأزم عليها ضربًا

من الأرض قد عرفته ولكل شيء حد به يصلح ومجاوزته والتقصير
دونه يفسد وقد ترى الطائر يغوص في الماء نهارا ثم يخرج
كالشعرة سل من العجين عنه من بلل الريش ولا لثق
الجناحين ولو أن أرفق الناس رفقا راهن على أن يغمس طائرا
منها في الماء غمسة واحدة ثم خلى سبيله ليكون هو الخارج
منه متعجن الريش فيفسد النظم منقوض التأليف ولكان
أجود ما يكون طيرانا أن يكون كالجادف فهذا أيضا
من أعاجيب الخفاش ومن أعاجيبه تركه ذرى الجبال وبسيط
الفيافي وأقلاب النخل وأعالي الأغصان ودغل الغياض
والرياض وصدوع الصخر وجزائر البحر ومجيئها تطلب
مساكن الناس وقربهم ثم إذا صارت إلى بيوتهم وقربهم
قصدت إلى أرفع مكان وأحصنه وإلى أبعد المواضع من
مواضع الاجتياز وأعراض الحوائج ثم الخفافيش بعد من
الحيوان الموصوف بطول العمر حتى تجوز حد العقارب
والورشان إلى النسور وتجوز حد الفيلة والأسد وحمير

لا إلى الشجر الكثير الملتف واستتار الشجر وكثرته فافهم

الوحش

الوحش إلى أعمار الحيات ومن أعاجيب الخفافيش أن أبصارها
تصلح على طول العمر ولها صبر على طول فقد الطعم فيقال إن
اللواتي يطرن في القمر من الخفافيش هن المسنات المعمرات
وإن أولادهن إذا بلغن لم تقو أبصارهن على ضياء القمر
ومن أعاجيبها أنها تضخم وتجسم وتقبل اللحم على الكبر
وعلى السن وقد زعم صاحب المنطق أن الكلاب السلوقية
كلما دخلت في السن كان أقوى لها على المعاظلة وهذا
عجيب جدا وقد علمنا أن الغلام أحد ما يكون وأشبق
وأنكح وأحرص عند أول بلوغه ثم لا يزال كذلك
حتى يعطفه الكبر أو الضعف أو تعرض له آفة ولا تزال
الجارية من لدن إدراكها وبلوغها وحركة شهوتها على
شيء بمقدار واحد من ضعف الإرادة كذلك على
حتى إذا اكتهلن وبلغت المرأة حد النصف فعند ذلك
يقوى عليها سلطان الشهوة والحرص على الباه فإنما
تهيج الكهلة عند سكون هيج الكهل وعند إدبار

أي الجماع

شهوته وكذلك الحيرة وأما قول الناس وأشباه الناس في
الخفافيش فإنهم يزعمون أن الخفاش إذا عض الصبي
لم يبرح سنه من لحمه حتى يسمع نهيق حمار وحشي
فلا الصبي فزع من سن الخفاش ولا وحشي من قربه إيمانا
بذلك القول إلى أن بلغت وللناس وأشباه الناس في
الخفافيش شبيهة خرافات عسى أن نذكر منها شيئا
إذا بلغنا إلى موضعه إن شاء الله ومن الطير وذوات الأربع
ما يكون نافذ البصر منه وما يكون سيء البصر فأما
قولهم أن الفارة والسنور وأشباهها إذا أبصرت بالليل فهو
باطل والإنسان رديء البصر بالليل والذي لا يبصر بالليل
تسميه العرب شبكورا وتأويله أنه أعمى بالليل وليس له
في لغة العرب اسم أحسن من أنه يقال للذي لا يبصر من
الناس بالليل العين هدبد ما سمعت إلا بهذا فأما
الأعشى فإنه السيء البصر بالليل والنهار جميعا وإذا
كانت المرأة مغربة العين وكانت رديئة البصر بالنهار

قيل

١٢٥ (٣١، ١٢١) مكرر ٢
١٧٧

تبطلها جهرا وأنشد الأصمعي في الشاة
جهراء لا تألو إذا هي أظهرت بصرا ولا من عيلة تغنيني
وذكر أن الجهراء التي لا تبصر في الشمس وقال لا تألو
أي لا تستطيع وقوله أظهرت أي صارت في الظهيرة والعيلة
الفقر قال يعني به شاة وقال الكميت منصور في هجايه بعض
آل المصعق
يا للنقيبي والمنى للبيش ثم عتيبة كيف اقتصا مثل ثار الأحيا
أتنكحون مواليهم كما فعلوا أم تغمضون كإغماض الخفافيش
وقال الأخطل
وقد غبر العجلان حينا إذا بكى على الزاد ألقته الوليدة في
فيصبح كالخفاش يدلك عينه فقبح من وجه لئيم ومن حجر
وقال مروان بن محمد هذا أبو الشمقمق الغث البارد
أنا بالأهواز محزون وبالبصرة داري
في بني سعد وسعد حيث أهلي وقراري
صرت كالخفاش لا أبصر في ضوء النهار

الكسر بكسر الكاف وإسكان السين جانب البيت

وقال السحاة مقصورة اسم الخفاش والجمع سحا وقالوا في اللغز

وهم يعنون الخفاش

أبا شعرا الناس لا تخبروني معذ ذهبوا في الشعر في كل مذهب

بجلد انسان وصورة طائر واظفار يربوع وانياب ثعلب

هشام الدستوائي قال حدثنا قتادة عن زرارة بن أوفى عن

عبد الله بن عمر انه قال لا تقتلوا الضفادع فان نقيقهن تسبيح

ولا تقتلوا الخفاش فانه اذا خرب بيت المقدس قال يا رب

سلطني على البحر حتى اغرقهم قال وحدثنا حماد بن سلمة قال

حدثنا قتادة عن زرارة بن أوفى قال قال عبد الله بن عمر

لا تقتلوا الخفاش فانه استاذن البحر ان ياخذ من مائه

فيطفي نار بيت المقدس حيث حرق ولا تقتلوا الضفادع

فان نقيقها تسبيح قال وحدثنا عثمان بن سعيد القرشي

قال سمعت الحسن يقول نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن قتل الوطواط وامر بقتل الاوزاغ قال والخفاش

تاتي القراد ذي على شجرها فينقب عليها فياكل كل شي فيها

[illegible]



